الرحلة العلمية وتأثيرها على الحياة الفكرية في واسط خلال العصر الايلخاني

أ.د. فاضل جابر ضاحي **سوسن فاضل كاظم**

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى اله وصحبه أجمعين.

لقد أصبح من مهام الدولة الإسلامية فضلاً عن نشر الدين الإسلامي هو نشر العلم والمعرفة، وقد سهل الدين الإسلامي التواصل المعرفي، وانتقال الناس وطلبة العلم في أرجاء المعمورة، وهذا ما عرف بالرحلة في طلب العلم، وان للرحلة العلمية أهدافاً سامية في الإسلام، إذ إن الرحلة العلمية هي التي قام بها علماؤنا الأجلاء وتلامذتهم طلبا للعلم وللمعرفة فتنقلوا من بلاد إلى أخرى ولاقوا صعوبات ومشاق متعددة، وقد تحملوا كل ذلك ناذرين أنفسهم للعلم، وبهذا أصبحت الرحلة العلمية تشكل إحدى أهم الوسائل للتواصل المعرفي بين أرجاء الدولة الإسلامية، وقد رحل الكثير من العلماء من أرجاء واسعة ومتعددة ليطلبوا العلم في العراق ومدنه ونخص بالذكر مدينة واسط، فالتقى هؤلاء العلماء بمشاهير الشيوخ وتتلمذوا عليهم، ومنهم من استقر في العراق ومنهم من رحل إلى بلاده لينشر ما اكتسبه من علم ومعرفة فيها .

وبما أن مدينة واسط من المدن المهمة في العراق ومن أهم المراكز العلمية فقد مثلت مركز استقطاب العلماء واحتضانهم، ومما تجدر الإشارة إليه أن رحلات اغلب العلماء الواسطيين لم تكن مقتصرة على العراق وإنما تعدتها إلى بلدان أخرى مثل الحجاز وبلاد الشام ومصر وغيرها، وبالمقابل فقد رحل بعض علماء العالم الإسلامي إلى واسط ليكتسبوا العلم والمعرفة ولينشروا ذلك إذما حلوا، وبفضلهم دخلت مؤلفات عدة في العلوم العقلية والنقلية إلى هذه البلاد.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن نقسمه إلى مقدمة ذكرنا فيها أهمية البحث وأهم المصادر المعتمدة في البحث،والمبحث الأول تناول تعريف الرحلة العلمية ثم ذكرنا أهم العلماء الذين رحلوا من المدن الإسلامية إلى واسط، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه أهم العلماء الواسطيين الذين رحلوا من واسط وشيوخهم وتلاميذهم ومصنفاتهم وأخبارهم.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على العديد من المصادر والمراجع، ومعظم تلك الكتب اختصت بالتراجم ومنها :

١ـ كتب الطبقات والتراجم :

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت في البحث كتاب معجم شيوخ الذهبي للذهبي، وهو من الكتب المشهورة في تراجم العلماء، ذكر فيه شيوخه وتلاميذهم ومصنفاتهم، فكانت الفائدة منه جيدة .

أما كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد المتوفى سنة (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) فيعد أفضل كتاب جامع ، تناول القراء والمقرئين وبعض حملة علوم القران وانمازت بعض ترجماته بطولها إذ ذكر كثيراً من العلماء المقرئين وشيوخهم وتلاميذهم ومصنفاتهم بشكل تفصيلي، وعرض المؤلفات التي قرئت وسمعت عن المترجم له لا سيما المشاهير منهم وقد جمع خلاصة المؤلفات التي سبقته واستوعبها إذ ذكر العلماء الذين رحلوا من العراق إلى المدن الإسلامية، وكان ينهي ترجمة العالم بذكر أثاره ومؤلفاته وسنة ولادته ووفاته ، فهو كتاب قيم يعطي صورة واضحة عن القراء وعلم القراءات.

وكتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي،المتوفى سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) هو كتاب شامل اعتمد على اغلب الكتب التي سبقته في هذا الفن ، فضلاً عن الكثير من الكتب الأدبية والتاريخية وكتب التراجم ومشاهداته وذكره لعلماء عصره وشيوخه وأورد فيه النحويين واللغويين وأخبارهم وفوائدهم ومناظراتهم وأشعارهم ومروياتهم، وكان قد رتبه على حروف المعجم وابتدأ بمن اسمه محمد ثم احمد وتكمن فائدته في ترجمته لبعض اللغويين والنحويين ذاكراً شيوخهم وتلاميذهم ومصنفاتهم وألقابهم وولادتهم ووفاتهم ثم الحديث عن علوم اللغة العربية وآدابها .

المبحث الأول

الرحلات العلمية

(**الرحلة العلمية**): هي أحدى وسائل التعلم التي كان لها أهداف سامية في الإسلام وكان للدين الإسلامي أثر كبير في دفع المسلمين للانصراف إلى العلم والرحلة من اجله وخير دليل على ذلك ما أكده القرآن الكريم في محكم كتابه، بقوله تعالى (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرون)(١) كما حث الرسول محمد(ﷺ) على طلب العلم في الأحاديث الشريفة كقوله(من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع)**(٢)**، ولهذا كانت دوافع الرحلة العلمية متواجدة لدى علمائنا الأجلاء، أما العلماء الذين رحلوا من المدن الإسلامية إلى واسط فكان من أهمهم:

١- محمد بن عبد الله السبتي (ت٦٦٠هـ) :

محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سلمان الأزدي السبتي ، كان محدثاً ثقة كثير الرحلات، رحل إلى واسط وسمع على يد العديد من علمائها وشيوخها **(٣)**.

٢- العالم علي بن احمد بن عبد الدائم بن نعمة بن احمد المقدسي (ت٦٩٩هـ): مسند زمانه ابن ، الحنبلي الزاهد، وهو احد شيوخ الذهبي ، ولد في سنة (٦١٧هـ)، وقد عرف بالشهيد، وقد سمع من البهاء بن عبد الرحمن وابن الزبيدي وابن عنان والاربلي والهمداني ، وكان من العلماء البارزين الذين عرف عنهم بحب الرحلة والترحال من اجل العلم، فقد رحل إلى بغداد ولحق بالكاشغري ونسخ بخطه، كذلك عرف عنه رواية الحديث وتلاوة القران الكريم، وقد سكن بعلبك، ومن ثم رحل إلى البصرة وقد زار واسط واخذ من علمائها وعلومها**(٤)** .

٣- فرج الصفدي (ت٧٥١هـ):

هو فرج بن عبد الله المغربي الصفدي الزاهد الفقيه الشافعي نزيل صفد كان من العرب ونشأ بصفد ثم دخل العراق وقرأ بواسط القراءات وتعلم العلم، وهذا دليل على التواصل العلمي مابين المدن الإسلامية ومن ثم طاف هذا الفقيه في الشرق ولقي الصلحاء ثم رجع إلى بلاده فوجد أن حاله قد تغير وسلب ما كان حصل له إلى إن الله سبحانه وتعالى فتح عليه على يد الشيخ عبد العزيز المغربي ببلاد عجلون، ومن ثم تحول إلى قرب طبرية فأقام بها واشتهر؛ وقد كان له أصحاب وأتباع في كل مكان وكان يتكلم في العلم وأدلة الكتاب والسنة ويسددها على لسانه كأنها مرآته**(٥).**

وهكذا كانت مدينة واسط من المدن الإسلامية التي جعلها العلماء محطة لرحلتهم العلمية التي كان لها الفضل في ازدهار الحركة الفكرية في مدينة واسط فضلاً عن دور الرحلة في ازدهار المدن الأخرى

وللرحلة العلمية الدور في أتاحت الفرصة إلى علماء واسط للتعرف على ثقافات الدول الأخرى .

المبحث الثاني

علماء واسط ورحلاتهم العلمية

لقد كان لعلماء المدن الإسلامية الأخرى أثرالكبير في نشاط الرحلة العلمية وكان انتقالهم إلى مدينة واسط لانتفاعهم من علماءها وعلومها المتنوعة أهمية كبرى في ازدهار الحياة الفكرية، كما أن لعلماء واسط دور لايقل عن أثرأولئك العلماء إذ نجد العديد من علمائها قد شدوا الرحال إلى المدن الأخرى في العراق فضلاً عن أرجاء واسعة من العالم من اجل طلب العلم والمعرفة وكان من هؤلاء العلماء:

١-عبد الله الواسطي (ت٧٤٠ هـ): هو عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي بن المبارك المقرئى التاجر الواسطي، من علماء واسط الأجلاء خلال القرن الثامن الهجري، ولد في سنة (٦٧١هـ)، عرف عنه حبه للتجارة والرحلة والترحال، ولد بواسط وقدم دمشق وتوفى ببغداد(٦)، إذ إن التجارة قد أسهمت إسهاما كبيراً في صقل شخصية هذا العالم الجليل فبزغت عنده روح التعلم ولكونه قد أتاحت له التجارة فرصة الرحلة والاطلاع على علوم الدول الإسلامية الأخرى.

٢-عمرالقزويني(ت٧٥٠هـ):

العالم الفاضل،عمر بن علي بن عمر القزويني(تاج الدين) محدث وحافظ (٧)، ولد بقزوين سنة (٦٨٣هـ)، وقد شد الرحال إلى مدينة واسط وتعلم بها ولم يكتف بذلك بل رحل إلى بغداد وواصل التعلم والتدريس وتوفى فيها وله تصانيف منها الفهرست(٨) .

٣- العالم الجليل كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي(ت٧٥٤هـ):

والذي عرف بالعالم الفاضل(٩)، ووصف بـ(الفقيه الزاهد)(١٠)، كما وصف بـالحافظ المتقن الفقيه المحقق، وقد وجد في مدينة الحلة ما لم يجده في المدن العراقية الأخرى، فقد عرفت الحلة في تلك المدة الزمنية كمركز فكري وحضاري مهم وذلك بسبب الاستقرار السياسي الذي شهدته تلك المدينة(١١)، ولكونها قد ضمت كوكبة رائعة من العلماء والمفكرين ومنهم السيد عبد الكريم ابن طاووس، الذي تتلمذ على يده عالمنا الجليل كمال الدين وحصل على إجازة منه(١٢)، وعد من مشايخ ابن معيه(١٣)، وكان حصيلة إبداع هذه الشخصية الرائعة تأليفه لكتاب (القصائد في مدح الرسول والأئمة)(١٤) والذي يعتبر من أهم الكتب التي شملت على قصائد مدح للرسول محمد(ﷺ) والائمة الأطهار(عليهم السلام).

ب-الرحلة من واسط إلى المدن الإسلامية:

١- الرحلة إلى الشام :

١- تقي الدين الواسطي (ت٦٩٢هـ):

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن احمد بن فضل الصالحي الحنبلي، فقيهاً زاهداً،ولد سنة (٦٠٢هـ)، وهو شيخ الحديث بالظاهرية(١٥) بدمشق، ودرس بالصاحبية(١٦) ،إذ وجد من بلاد الشام مركزاً للتعلم ونشر علومه إذ درس في هذه المدرسة عشرين سنة وعند رحلته الى الشام سمع بدمشق من ابن الحرستاني، وابن البنا، والشيخ موفق الدين وابن أبي لقمة(١٧)،وأجمعت المصادر التاريخية عنه انه كان رجلاً صالحاً، عابداً مخلصاً، تفقه ببغداد، ودرس في مدرسة أبي عمر، وعرف عنه بأنه كان من خيار عباد الله تعالى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(١٨).

٢-أبي تغلب الفاروثي الواسطي (ت٦٩٦هـ):

العالم أبو تغلب بن احمد بن أبي تغلب بن أبي الغيث الشيخ الجليل، نجم الدين الفاروثي(١٩)الواسطي، وهو والد المقرئى شمس الدين، الذي ولد في بغداد سنة (٦٠٥هـ)، وكانت الرحلة

هي إحدى أهدافه في الحياة إذ رحل إلى مصر(٢٠)، فسمع من علمائها وهو احد شيوخ الذهبي،وشد الرحال إلى دمشق وتوفي فيها وله من العمر إحدى وتسعين سنة(٢١).

٣- احمد الواسطي (ت٧١١هـ):

احمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي، البغدادي، الحنبلي، الدمشقي، الصوفي، فقيه، ولد شرقي واسط في سنة (٦٥٧هـ)، من علماء الفقه والحديث إذ قرأ شيئاً من الفقه على المذهب الشافعي ثم دخل بغداد وصحب بها طوائف من الفقهاء وحج واجتمع بجماعة منهم وأقام بالقاهرة(٢٢)، ثم رحل إلى الشام وقد توفى في دمشق، وله مآثر عديدة منها شرح منازل السائرين للسهروردي (٢٣).

٤- العالم الجليل نجم الدين عبد الله(ت٧٢٢هـ) :

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم المعروف بـ(نجم الدين)، من أعلام واسط ولد فيها سنة (٦٧٠هـ)، وقد نشأ فيها وقرأ على الأخوين احمد ومحمد ابني غزال، وهو كسابقيه من العلماء الذين شدوا الرحال، إذ قدم دمشق سنة ٦٩٧هـ، فاستوطنها وجلس للإفادة، اخذ عن الذهبي(ت٧٤٨هـ)(٢٤) .

٥- العالم والفقيه والمحدث(٢٥)،ابن عبد الحق الواسطي(ت٧٤٤هـ):

إبراهيم بن علي بن احمد بن يوسف بن إبراهيم أبو اسحق، ويعد من علماء واسط ولد في سنة (٦٦٧هـ)، وله رحلة في طلب العلم والمعرفة ، سمع من أبي الحسن علي بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي البخاري، رحل إلى مصر وولي القضاء بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، درس وأفاد وناظر فأجاد وصنف شرح الهداية ومن آثاره المهمة انه اختصر السنن للبيهقي في خمس مجلدات، فضلاً عن اختصاره لكتاب(التحقيق) لابن الجوزي في مجلدة وكتاب الناسخ والمنسوخ لابن شاهين ووضع كتاباً في الفروع الفقهية وسماه المنتقى، كما نجد له مسائل فقهية مهمة ومنها مسألة قتل المسلم بالكافر، ولم يستقر في مصر إذ خرج هذا العالم والفقيه إلى دمشق وتوفي بها وذلك سنة أربع وأربعين وسبعمائة للهجرة (٢٦).

٦- بن معتوق الواسطي (ت٧٥٠هـ):

علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق الواسطي(٢٧)،يعرف بابن ثردة: من عقلاء المجانين، أصله من واسط ولد فيها سنة (٦٩٧هـ) ونشأ ببغداد كان واعظاً، يقول الشعر، وهو من علماء واسط الذين رحلوا إلى دمشق فسكن فيها وجلس للوعظ، ثم اختلط ووضع في المارستان، وكان ينظم الشعر الجيد في حال اختلاله، وكان لديه من الكتب في بغداد ما يقدر بألفي مجلد وان جماعة من التجار الذين قدموا إلى دمشق اغتصبوها وأخذوها منه وتوفى في المارستان (٢٨) .

٧- العالم الواسطي محمد الواسطي(ت٧٧٦هـ):

محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم الحسيني(٢٩)،الواسطي، الشافعي(٣٠)، ولد في سنة (٧١٧هـ)، نزيل الشامية الجوانية، من أفذاذ العلماء وأساطين الفقهاء، أصولي، مفسر، متكلم إخباري(٣١)، توفى بدمشق في ربيع الأول، أما أهم تصانيفه التي ذكرتها المصادر التاريخية: مختصر الحلية لأبي نعيم في مجلدات وسماه(مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب)(٣٢)؛ وتفسير كبير شرح منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل في ثلاثة مجلدات، فضلاً عن كتاب في أصول الدين وكتاب في الرد على الاسنوي في تناقضه(٣٣).

٨- علي بن محمد الواسطي(توفى بعد سنة ٧٦٠هـ):

وهو علي بن محمد بن أبي سعد المعروف بالديواني، كان محمود السيرة حسن الأخلاق، تلا على الشيخ علي خريم وغيره رحل على البرهان الاسكندراني بدمشق، وعلى البرهان الجعبري بالخليل ثم رجع واشتهر، ونظم الإرشاد للقلانسي لامية، كذلك من آثاره المهمة اللوامع في الشواذ وكانت

أرجوزة(٣٤)، بهذا نجد أن العلماء الذين رحلوا قد تنوعوا في علومهم التي يجيدوها، فنجد منهم من يتلو القرآن الكريم ومنهم من يقرأ الحديث، فعالمنا هذا يعد من العلماء الذين أبدعوا في علم القراءات، والذي عرف به أهل واسط.

٩- عبد الرحمن الواسطي:

عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله بن نصر بن المعمر عبد الدايم بن المعمر بن البكري، الواسطي، البارزي من العلماء الواسطيين الأجلاء ولد في سنة (٧١١هـ)، من العلماء الذين رحلوا من واسط إلى بلاد الشام، عرف بالفقيه الشافعي، كذلك شارك في الفنون وله نظم حسن، وعاش وتوفى بدمشق (٣٥).

ولم تكن المرأة الواسطية بعيدة عن النشاط الثقافي في ذلك الوقت ولم تكن اقل شأناً من العلماء الرجال وشهدت واسط كوكبة رائعة من العالمات الواسطيات، وقد اتسع اثر فكانت الخطوة التالية هي الرحلة ومن المدن الأخرى التي برزت فيها العالمة الواسطية هي الشام فأثبتت نفسها في تلك الرحلة وهذا خير دليل على أن المرأة في تلك الحقبة قد تمتعت بحقوقها في التعلم والتعليم إذ مارست نشاطها الفكري وفي جميع جوانب العلوم، وورد في طيات الكتب التاريخية والتراجم أسماء تلك العالمات ومنها آمنة بنت إبراهيم بن علي الواسطية وكانت ممن تلقين العلم على يد والدها بواسط وببغداد ومن ثم غادرت العراق إلى الشام وتوفيت سنة(٧٢٦هـ) بدمشق(٣٦)، الأمر الذي يدل على مشاركة نساء واسط في الحركة العلمية والثقافية في المدن الإسلامية الأخرى.

٣- الرحلة إلى مكة المكرمة:

لم يقتصر علماء واسط في رحلتهم على المدن العراقية وبلاد الشام فحسب؛ بل نجد أن مكة المكرمة قد فتحت أبوابها أمام علماء واسط ومن أهم العلماء الذين رحلوا إلى مكة العالم:

١- محمد السكاكيني(ت٨٣٨هـ): وهو محمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري الشيرازي الأصل، الواسطي، الشافعي(٣٧)؛ نزيل الحرمين ويعرف بالسكاكيني، فقيه، أديب، ناظم، ولد في سنة (٧٥٧هـ) بواسط(٣٨) ؛ وتوفى بمكة المكرمة وكانت له جهود في الفقه وفي الشعر ومن أهمها: شرح المنهاج الأصلي، تخميس البردة وبانت سعاد وسماه تنفيس الشدة
(٣٩)؛ ولقد اختلفت المصادر التاريخية في ترجمة محمد السكاكيني إذ يقال انه محمد بن عبد الله بن عبد القادر الواسطي السكاكيني، الشافعي، وتوفي بمكة ايضاً ومن اثاره: شرح المنهاج للبيضاوي، نظم بقية العشرات، ومكملة الشاطبي(٤٠).

٤- الرحلة إلى مصر:

والواقع إنه في هذا الوقت من التاريخ الإسلامي حدث تحول فكري في البلدان الإسلامية ومن أهم تلك البلدان مصر التي بدأت تحتل مكانة علمية بارزة، فالتفتت لها أنظار العلماء ومن ضمنهم العلماء الواسطيون، إذ أسهم العلماء العراقيون مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الفكرية فيها، ومن ابرز العلماء الواسطيين الذين رحلوا إلى مصر والذين كان لهم اثربارز في النشاط الفكري هم:

١- إبراهيم بن عمر بن مضر بن محمد بن قاسم بن فارس بن إبراهيم الواسطي(ت٦٦٤هـ): برهان الدين التوزري المعروف بابن مضر التاجر، ولد في واسط سنة (٥٩٣هـ)، درس علم الحديث في مصر وسمع صحيح مسلم وحدث به ، سمع على أبي الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوي وعن المؤيد بن محمد الطوسي إجازة سمعه عليه الشيخ الأمام محيي الدين النووي، وقد توفي بالإسكندرية(٤١).

٢- ومن العلماء البارزين الذين شدوا الرحال إلى مصر إبراهيم بن علي بن احمد بن فضل، الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أبو اسحق ، ابن الواسطي الصالحي الحنبلي (ت ٦٩٢هـ):

عالم متأله متعبد آمر بالمعروف درس في الصاحبية **(٤٢)**، ولد في سنة (٦٠٢هـ)، كان كبير القدر له وقع في القلوب ملازم للتعبد ليلاً ونهاراً ويعظم الحرمات والشعائر وعنده علم جيد، وقد عرف بترحاله من اجل العلم والتعلم**(٤٣)**، رحل إلى بغداد وسمع من الفتح وعلي بن بورنداز، كما رحل إلى مصر وسمع من ابن الحرستاني ، وابن البناء وابن جلاجلي وغيرهم**(٤٤)** .

٣- علي بن الفلك الواسطي(توفى بعد سنة ٦٩٥هـ):هو علي بن الفلك محمد بن أبي المفاخر العلوي، الحسيني، المعمر ولد بواسط في جمادي الآخرة من سنة ستمائة للهجرة وهو من العلماء الأفاضل الذين عرف عنهم الرحلة والترحال، فقد رحل إلى مصر ، فعلم وتعلم بها إلى نهاية حياته وكان من الشيوخ الذين درس على أيديهم الذهبي وكان مقيماً بالسميساطية وأجاز للذهبي في سنة ٦٩٥هـ **(٤٥)** .

٤- الفقيه الواسطي ابن الاعلاقي (ت ٦٩٦ هـ):

أبو العباس احمد بن عبد الكريم ولد سنة ٦١٠هـ، تتلمذ على أبيه عبد الكريم ابن الاعلاقي ، وهو احد شيوخ شمس الدين الذهبي وذكر ترجمته**(٤٦)**، وعمل أبو العباس احمد إماما لأحد مساجد مصر وتلقب بالمصري لطول مقامه بها، وعرف جده بلقب الاغلاقي لكونه كان يأمر غلمانه بالاحتراز بغلق الأبواب**(٤٧)**.كذلك هناك بعض العلماء قد كانت ولادتهم في مصر لكنهم واسطيو الأصل أي أن هجرتهم واستقرارهم في مصر كان مسبقاً وبعد اطلاعي على كتب التراجم وجدت الفقيه:

٥- عبد الرحمن بن احمد الواسطي (ت٦٩٧هـ):هو احد هؤلاء العلماء فهو واسطي الأصل، مصري المولد والوفاة تصدر للإقراء بأماكن مختلفة كما تولى مشيخة الحديث بالشيخونية**(٤٨)**.

٦- محمد بن علي بن احمد بن فضل المعمر المسند المبارك، شمس الدين ابو عبد الله ابن الواسطي، الصالحي ، الحنبلي (ت٦٩٩هـ)**(٤٩)**:من العلماء الأجلاء الذين رحلوا من واسط ، ولد في سنة (٦٥١هـ)، وقد سمع من الشيخ الموفق وابن أبي لقمة والقزويني وأبي القاسم، وقد قاسى الشدائد من التتار ثم دخل المدينة وتعلل ومات بالمارستان**(٥٠)**.

٧- كذلك العالم العلوي الجليل علي بن احمد الهاشمي الحسيني الواسطي (ت ٧٠٤هـ): وهو علي بن احمد بن عبد المحسن بن احمد بن محمد بن علي بن حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ولد في سنة (٦٢٨هـ)، عرف عن والده انه تاجراً محباً للأسفار، عرف بالغدافي وكان كثير التلاوة، سريع الكتابة، معمور الأوقات بالخير، سمع الحديث وتتلمذ على العديد من العلماء أمثال علي ابن جبارة وعلم الدين السخاوي**(٥١).**

٨- محمد بن احمد بن علي بن احمد بن فضل، أبو عبد الله الواسطي، ثم الصالحي الحنبلي ، الطحان الملقب خار الله**(ت ٧٠٤هـ)(٥٢)**:

عالم جليل من العلماء الذين عرفوا عنهم الرواية، ولد في سنة (٦٢٦هـ)، سمع من ابن الزبيدي والهمداني وغيرهم من المحدثين.

٩- يوسف بن علي بن ارسلان الواسطي المقرئى (ت ٧٠٨هـ):

عرف عنه بأنه رجل مبارك قرأ على الشيخ علي الموصلي، وقد قرأ على المرجي وعلى الشريف الداعي بواسط **(٥٣)**.

١٠- القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي أبو نصر النحوي الضرير(توفى في القرن الثامن الهجري):وهو احد علماء واسط ، وقد رحل إلى مصر واستوطن فيها وقرأ عليه أهلها ، وله مآثر عديدة فقد صنف كتاباً في النحو وشرح اللمع وجمل الزجاجي ومات بمصر**(٥٤)**.

١١- علي بن احمد بن أبي الفضل الهاشمي الواسطي (ت ٧٢٠هـ):وهو من علماء واسط الأجلاء عرف بالمقرئى إذ قرأ القراءات على الشيخ برهان الدين الاسكندراني وسمع من الفوي والشيخ الموفق النصيبي

وكان يدخل في علوم الكيمياء، وهو احد شيوخ العالم الذهبي(٥٥) .
١٢- محمد بن احمد بن علي بن احمد بن فضل ابن الواسطي،أبو عبد الله، ابن جار الله (ت٧٢١هـ):العالم الجليل، ولد في سنة (٦٧٥هـ)، وقد سمع من العديد من العلماء وسمعوا عنه(٥٦).
١٣- محمد بن احمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي ، الصالحي،الحنبلي (ت٧٢٦هـ)(٥٧):

عرف بالعالم الرحالة شمس الدين، أبو عبد الله، بن الزراد الحريري ابن أخت القدوة الإمام تقي الدين ابن الواسطي(٥٨)، وقد ولد في سنة (٦٤٦هـ) وله مشاركة في العلم إذ سمع من محمد بن عبد الهادي والبلخي، والبكري وغيرهم ، وكانت نهاياته قد كبر وعجز وافتقر(٥٩).
١٤- علي بن الحسن بن احمد الواسطي الإمام القدوة العابد (ت ٧٣٣هـ): من العلماء الأفاضل عرف بأنه إمام زاهد، ولد في سنة (٦٥٤هـ)، رحل أكثر من مرة إلى دمشق ومصر، ويقال انه حج مرة وقد طاف مرات وهو يتلوالقرآن من العشاء وحتى الصباح ، وكان صنفاً غريباً من التأله والتعبد والانقباض على الناس وعلى ذهنه علوم نافعة(٦٠) .

١٥- الحسن بن إبراهيم الواسطي (ت ٧٤١هـ) (٦١):

الحسن بن علي بن إسماعيل، عز الدين أبو محمد ولد ببغداد سنة (٦٥٤هـ)،ونشأ بواسط وقرأ القراءات وقدم مصر سنة ٦٩١هـ وسمع العديد من علماء مصر أمثال الدمياطي وابن الظاهري ولابرقوهي وسمع جمال الدين ابن النقيب وحج مرات وناب في الإمامة بالمسجد النبوي (٦٢).
١٦- تقي الدين عبد الرحمن بن علي الواسطي (ت ٧٨١هـ):

عبد الرحمن بن احمد بن علي بن المبارك معالي أبو محمد بن البغدادي(٦٣)، ولد في سنة (٧٠٢هـ)، نزيل مصر شيخ القراء قدم القاهرة وتلا على تقي الصائغ(٦٤)، وسمع من حسن سبط زيادة، ووزيره وتاج الدين بن دقيق، وبما أن علماء واسط وصلوا درجة علمية عالية وزاولوا مهنة التدريس، فنجد العالم تقي الدين الواسطي يدرس القراءات بجامع ابن طولون، وقرأ بعض القراءات وشرح الشاطبية، ونظم في غاية الإحسان لشيخه أبي حيان أرجوزة، وتوفي في تاسع صفر من سنة إحدى وثمانين وسبعمائة عن تسع وسبعين سنة(٦٥).
١٦- الغمري، (ت٨٤٩هـ):

محمد بن عمر بن احمد، أبو عبد الله شمس الدين الواسطي الأصل الغمري المحلي الشافعي ولد في سنة(٧٨٦هـ)، صاحب الجامع الشهير المغازلي بالقاهرة ولد بمنية غمر(بمصر) وتعلم بالأزهر، وقال السخاوي في ذيله:ممن كثر أتباعه، وانتشر ذكره وصنف مع اقتفاء السنة، والبعد عن بني الدنيا والمحاسن الجمة، مات بالمحلة ليلة سلخ شعبان سنة تسع وأربعين وثمانمائة(٦٦)، وقد زاد على السنين وقال غيره مولده سنة ست وسبعين وسبعمائة(٦٧).ومن الجدير بالذكر إن من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار التصوف في مصر هو وجود العراقيين فيها وخاصة من أهل واسط وقد انشأ الواسطيون بعض المؤسسات العلمية في مصر منها رباط الواسطي(٦٨)؛ وزاوية الشيخ أبي السعود محمد الواسطي(٦٩).أما جهد المرأة في الحياة الفكرية فنجد إن للمرأة الواسطية أثر في الرحلة العلمية كما وجدناها المدن الأخرى، فضلاً عن جهدها البارز في الحركة الفكرية في مدينة واسط ، إذ عرف عن النساء الواسطيات كمحدثات في العديد من البلدان الإسلامية، أما وجود المرأة الواسطية في تلك البلدان فتعود إلى أسباب عدة أدت بها الى الرحلة العلمية أو الهجرة ، فكأن تكون قد رحلت مع زوجها وأولادها، أو مع والدها وأهلها، وهذا ما استنتجته بعد أن تتبعت بعض العالمات الواسطيات واللائي لم تذكر لنا المصادر التاريخية كيفية وصولهن إلى تلك البلدان، ومن أهم العالمات الواسطيات اللواتي كان لهن الاثر البارز في الحركة الفكرية في مصر.
١٧- زينب بنت علي بن احمد بن فضل، أم محمد ،بنت الواسطي(ت ٦٩٥هـ):

امرأة عابدة صوامة قوامة عرف عنها خشوعها وقنوتها(٧٠)، كان أخوها الإمام تقي الدين ابن الواسطي، الذي كان يقصدها للتبرك بها، وهي والدة المسند المعمر أبي عبد الله بن الزراد، وقد سمعت من عدة شيوخ أمثال الشيخ الموفق، وقد توفيت بعد أن قاربت التسعين أو أكملتها.

١٨- زينب بنت القدوة تقي الدين إبراهيم بن علي ابن الواسطي (ت ٧٠٢ هـ):

عالمة ومحدثة وراوية للحديث ،عرفت بأم محمد والدة خطيب زملكا الشيخ عز الدين بن العز عمر، وقد رويت عن العديد من المحدثين مثل سنقر الحلبي ،احمد بن هبة الله النحوي وخديجة بنت الرضي وغيرهم(٧١).

١٩- فاطمة بنت القدوة الإمام أبي اسحق إبراهيم بن علي بن احمد بن فضل ابن الواسطي (ت٧٠٥هـ):العالمة الفاضلة، ولدت في سنة (٦٥١هـ)، وهي زوجة قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن الحسن بن الحافظ أم عبد الله، وتعد من النساء الراويات للحديث وقد سمعت عن إبراهيم بن خليل بن عبد الدائم(٧٢). ومن خلال دراستنا للرحلة العلمية نجد أن معظم العلماء الواسطين كانت هجرتهم ورحلاتهم إلى مصر تزودوا خلالها بالعلوم والمعرفة فاثروا وتأثروا وكان لهم الأثر البارز في الحركة الفكرية هناك، ويمكن أن نستدل إن من أهم الأسباب التي أدت توجهه أنظار العديد من علمائنا إلى مصرفي تلك الحقبة الزمنية، هو كونها تمتعت بشيء من الاستقرار السياسي، كما أن القاهرة في هذه الحقبة الزمنية تبوأت مكانة بغداد فأصبحت هي العاصمة الإسلامية لاسيما بعد إقامة الخلافة العباسية هناك سنة ٦٥٩هـ بعد سقوطها في بغداد، فأصبحت بذلك محط أنظار الطلبة والشيوخ على حد سواء.

الخاتمة وخلاصة البحث

تعد مدينة واسط من المدن التي عرفت بازدهارها الفكري والحضاري في الدولة الإسلامية وقد ساعدها على أن تكون إحدى مراكز الاستقطاب للعلماء واحتضانهم، فتوافد عليها العلماء وطلبة العلم من جميع أرجاء المعمورة، ويمكننا ملاحظة:

١- أن الإقبال الواسع النطاق على العلوم الشرعية على اختلاف أصنافها لكون مدينة واسط قد عرفت بأنها مركز مهم من مراكز التدريس العلوم الدينية وتعليل إقبال علماءنا على تلك المراكز الدينية وذلك لأن المسلمين على اختلاف عصورهم التاريخية كانوا قد ركزوا على علوم عقيدتهم الدينية لكونها تؤسس القاعدة الإيمانية للإنسان المسلم من خلال رسم طريق العبادات الصحيحة والمعاملات الصحيحة وهنا يبرز ذلك التوحد بين جهد العقل وجهد الحواس أي التوحد بين قيم الأرض وقيم السماء.

٢- كما نستنتج أن علماء واسط من عشاق الرحلة والترحال وقد تحملوا جميع مشاق الرحلة من اجل التواصل المعرفي مع البلدان الأخرى، وأصبح لهم دور كبير في تلك المدن لكونهم قد تتلمذ على أيديهم العديد من الشيوخ والعلماء وطلبة العلم واستطاعوا أن ينشروا العلم والمعرفة في تلك المدن.

هوامش البحث

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٢) السجستاني، سنن أبي داوود ، ص٣١٧.

(٣) ابن الجزري، طبقات القراء،ج١/ ص٤٢٩- ٤٣٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج٢/ ص٢٧٠، ٢٧٢؛ ابن رافع السلامي، المنتخب المختار، ص٦٩ - ٧٠.
(٤) الحر العاملي، أمل الآمل، ج٢ / ص١٧٩ .
(٥) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٢/ ص٣٩٠.
(٦) الأفندي، رياض العلماء،ج٣/ ص٤٢٥.
(٧) الحر العاملي، أمل الآمل، ج٢ / ص١٧٩؛ الخوئي، معجم رجال الحديث،ج١٢/ ص٣٩٠.
(٨) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١٧/ ص٨٦.
(٩) الكتاني، فهرس الفهارس،ج٢/ ص٢٢٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٥/ص٢١٨.
(١٠) الحر العاملي، أمل الآمل، ج٢ / ص١٧٩.
(١١) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٢/ ص٣٩٠.
(١٢) ويقصد بها المدرسة الظاهرية الجوانية، إذ هناك مدرستان الظاهرية البرانية والظاهرية الجوانية، إذ تقع المدرسة الظاهرية الجوانية داخل بابي الفرج والفراديس جوار الجامع شمالي باب البريد وقبلي الاقباليتين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى، بناها الملك الظاهر السلطان ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي الصالحي النجمي صاحب مصر والشام وذلك في سنة ٦٧٦هـ، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١/ ص٢٦٣.
(١٣) وهي المدرسة التي تقع بسفح قاسيون من الشرق في جبل الصالحية وتنسب هذه المدرسة إلى ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب والتي توفيت بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة في دار العقيقي التي صيرت المدرسة الظاهرية ، ودفنت بمدرستها تحت القبور، وقد أرشدتها خادمتها الصالحة العالمة امة اللطيف بنت الصالح الحنبلي إلى وقف المدرسة الصاحبة بقاسيون على الحنابلة، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج٢/ ص٦٣؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج ٦/ ص٤٤.
(١٤) الذهبي، العبر في خبر،ج٥/ ص٣٧٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج١/ ص١٠٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب ، ج٥/ ص ٤١٩.
(١٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص٣٩٣؛ النعيمي ،الدارس في تاريخ المدارس،ج٢/ ص٦٥.
(١٦) يدعى بالفاروثي نسبةً إلى (الفاروث) هي إحدى الأعمال التابعة إلى واسط، وهي قرية كبيرة ذات سوق على شاطيء دجلة بين واسط والمذار، ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١/ص٨٤٠؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٦٠.
(١٧) الذهبي، معجم شيوخ، الذهبي، ص٦٨٤ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩ / ص٢٢٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥ / ص٤٣٧.
(١٨) الذهبي، العبر، ج ٣/ ص٣٨٨ .
(١٩) ابن العماد، شذرات الذهب،ج٦/ ص٢٤-٢٥.
(٢٠) عبد القاهر بن عبد الله بن حمويه، كان مقيماً ببغداد، إمام عالم مفت كبير الشأن ارتقي وبلغ في التصوف الغاية وبنى مدرسة ورباطاً واسكنها المتفقهة والصوفية، ذكر الاصبهاني الكاتب صاحب الخريدة انه درس عليه، خريدة القصر،ج٣/ص١٤١؛اليافعي،مرآة الجنان،ج٤/ ص٢٥٠؛ ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج١/ ص٣٣١.
(٢١) البغدادي، إيضاح المكنون، ص٢٢٩، ٣٤٣.
(٢٢) السبكي، الطبقات الشافعية،ج٣/ص٨٨؛الزركلي، الأعلام،ج١/ ص٥١.
(٢٣) معجم المصنفين،ج٣ / ص٢٤٧.
(٢٤) الصفدي، فوات الوفيات، ج٢/ ص ٢٧٦ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٨؛النعيمي، الدارس،ج١/ ص٣٢٨؛ البغدادي.
(٢٥) البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢ / ص٥٧٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٤/ ص٢٥١.

(٢٦) ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر، ص ٩٠.
(٢٧) ابن قطلوبغا، تاج التراجم في الطبقات الحنفية ، ص٦.
(٢٨) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١ / ص ٤٢٠.
(٢٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١١٢٢ ،١٥٩٦ ،١٨٣٦؛ البغدادي، هدية العارفين،ج٢/ ص١٦٨، ١٩٨.
(٣٠) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٣/ ص١١٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦ / ص٢٠٥ - ٢٠٦ ،٢٢٤.
(٣١) ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر،ج١/ ص٨٦.
(٣٢) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١/ ص٤٤١؛ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين ، ج٢/ ص٣٧.
(٣٣) المصدر نفسه، ج٢/ص١٢٧؛ الصفدي، أعيان العصر،ج٢/ ص٧١٩.
(٣٤) ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج٧/ ص ٢٢٨-٢٢٩.
(٣٥) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٨ / ص٦٧، ٦٩.
(٣٦) البغدادي، إيضاح المكنون، ص٣٤٣ ،٢٢٩.
(٣٧) البغدادي، هدية العارفين، ص١٨٩، ١٩٠.
(٣٨) ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج١ / ص٢٠٣ -٢٠٤.
(٣٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ ،ج٤/ ص١٤٧٧؛ معجم شيوخ الذهبي ، ص١١٣ .
(٤٠) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦/ ص٦٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ / ص٤١٩.
(٤١) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج٢/ ص٣٢٩، ٣٣١ .
(٤٢) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص٤٢٣.
(٤٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٠؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ج٤ / ص١٤٨٠.
(٤٤) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص٥٣.
(٤٥) المصدر نفسه، ص٨٦.
(٤٦) الذهبي، العبر،ج٣/ ص٤٠٣؛ ابن التغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج ٨/ ص١٩٣.
(٤٧) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص٥٣١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥/ ص٤٥٣.
(٤٨) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص٣٥٦.
(٤٩) المصدر نفسه، ص٦٥٨.
(٥٠) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٧٨.
(٥١) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٢٩؛ الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص٣٦١ .
(٥٢) الذهبي ،العبر ، ج٤ / ص١٠ ؛ معجم شيوخ الذهبي ، ص ٤٦٤.
(٥٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٦/ ص٦٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ / ص٤١٩.
(٥٤) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢/ ص٣٢٩، ٣٣١ .
(٥٥) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي،ص٣٦٥.
(٥٦) السيوطي، بغية الوعاة ، ص٦٩٤-٦٩٥.
(٥٧) ابن التغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ / ص١٩٣؛ السيوطي، تذكرة الحفاظ، ص١٤٨٩؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥/ ص٤٥٣.
(٥٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤ / ص٢٨١؛ الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٥٥٧.
(٥٩) الذهبي، العبر، ج٤ / ص١٠ ؛ معجم شيوخ الذهبي ، ص ٤٦٤.
(٦٠) الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ص٣٦٤؛ ص٢٦٢.
(٦١) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٢/ ص٣٢٣.
(٦٢) السيوطي، بغية الوعاة ، ص٥٤٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب ، ج٦/ ص ٢٧١.

(٦٣) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي، ص٣٠٢.
(٦٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ،ج٥/ ص٤٣٠.
(٦٥) لقد انشأ الشيخ شهاب الدين أبو علي منصور بن ابو الفتوح نصر بن ابي الفضل الواسطي رباطا له ولمريديه بالإسكندرية نسب إليه وعرف برباط الواسطي ليجمع فيه الأتقياء والصالحين وبشر بها على الطريقة الرفاعية التي تأثر بها واعتبار أن الشيخ احمد الرفاعي كان من واسط، ويقع هذا الرباط شرقي مسجد أبي العباس المرسي وعليه لوحة رخامية ذكرت فيه وفاته سنة ٦٧٢هـ، سحر السيد عبد العزيز سالم،العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري ، ص ٥٣.
(٦٦) هو الشيخ العارف بالله محمد بن أبي العشائر القرشي الباذبيني الواسطي، ولد في باذبين بالقرب من واسط سنة ٥٧٧هـ ثم قدم إلى مصر وانشأ بها زاوية خاصة وله (كرامات خارقة ومناقب حسنة) وكانت وفاته سنة ٦٤٤ واستمرت هذه الزاوية إلى سنوات عدة،سحر السيد عبد العزيز سالم ، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري، ص ٥٣.
(٦٧) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص١٩٨؛ابن العماد ، شذرات الذهب ،ج٥/ ص٤٣٠.
(٦٨) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي ، ص٤٢٤؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ج٤/ ص٢٤ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٤٦١.
(٧٠) المصدر نفسه ، ص٣٠٢.
(٧١) الذهبي، العبر، ج٣/ ص٤١٠ ؛معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٥٥ ؛ابن التغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٩٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥ / ص٤٥١.
(٧٢) محمد سعيد رضا، الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي ، ص١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً : المصادر الأولية

١- القرآن الكريم

الاصبهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين الكاتب(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٢-خريدة القصر وجريدة العصر،ج٤،المجلد الثاني، تحقيق، محمد بهجت الأثري، دار الحرية،(بغداد-١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤١ هـ).

٣- مسالك الممالك، باعتناء دي غويه، (ليدن- ١٩٢٧).

الأفندي،الأصفهاني الميرزا عبد الله(ت١٢٣٠هـ/١٨١٤م).

٤- رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق احمد الحسين،(قم-١٤٠٣هـ).

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد البابانى(ت١٩٢٠).

٥- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عدد أجزاء:٢ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت- د.ت).

٦- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ط٣، المطبعة البهية،(استانبول – ١٠٥١م) وأعادت طبعة بالاوفسيت المكتبة الإسلامية بطهران.

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) .

٧- المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (

القاهرة ، ١٩٨٦)

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ،(القاهرة - د.ت).

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن احمد (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٣م).

٩- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجبسترا، مكتبة الخانجي، (مصر-١٣٥٢هـ/١٩٣٢م).

الحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القطنطيني(ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م).

١٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، عدد أجزاء:٢، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٢م).

ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .

١١- أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي ، (مطبعة لجنة إحياء التراث العربي الإسلامي ، القاهرة، ١٩٩٨م).

١٢- الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة، تحقيق:عبد الوارث محمد علي، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت أنباء الغمر، ط١، ١٩٧٧م).

الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م).

١٣- آمل الآمل، تحقيق احمد الحسيني، مطبعة دار الكتاب الإسلامي، قم، ط١,١٤٠٤هـ.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ / ٨٩٣م)أو(٣٠٠هـ/٩١٢م) .

١٤- المسالك والممالك ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).

١٥- سنن أبي داود ، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٠م.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن احمد(ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م).

١٦- طبقات المفسرين، عدد اجزاء:٢، دار الكتب العلمية،(بيروت- ١٩٨٣م).

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٧- تذكرة الحفاظ، عدد الأجزاء:٤، مكتبة الحرم المكي،(دائرة المعارف العثمانية- د.ت).

١٨- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط٣، مطبعة حكومة الكويت،(الكويت – ١٩٤٨).

١٩- معجم شيوخ الذهبي، تحقيق، روحية عبد الرحمن سيوفي، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

ابن رافع السلامي،أبو المعالي محمد(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٢٠- تاريخ علماء بغداد المسمى بالمنتخب المختار، انتخاب تقي الدين الفاسي المكي المتوفي سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، تحقيق عباس العزاوي، ط٢،(بيروت- ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين(ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م).

٢١- الذيل على طبقات الحنابلة، عدد الأجزاء:٢، دار الباز للنشر والتوزيع، دار المعرفة،(مكة المكرمة، بيروت- د.ت).

ألسبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩م)

٢٢- طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة ، ١٣٢٤ هـ) .

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٨م)

٢٣- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (القاهرة، ١٩٦٦ م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م).
٢٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،عني بتصحيحه وقراءته محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة ،(مصر- ١٣٢٦هـ).
٢٥- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة(القاهرة-١٣٩٦هـ).
الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
٢٦- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، فالح احمد البكور، دار الفكر (بيروت، ط، ١٩٩٨م).
٢٧- الوافي بالوفيات، دار الفكر، (بيروت – ١٤٢٥٠١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري (ت ١٠٨٩هـ / ١٦١٩م).
٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ،(دمشق-١٤٠٦هـ) .

ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين قاسم (ت ٨٧٩هـ)

٢٩- تاج التراجم في طبقات الحنفية ، بغداد، بلاط ، مط العاني، ١٩٦٢.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
٣٠- البداية والنهاية، دار إحياء العربي ، بيروت - لبنان ، سنة الطبع١٩٨٨م.
النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٧٨هـ/١٥٢٢م).
٣١- الدارس في تاريخ المدارس، عدد الاجزاء: ٢، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،(بيروت – ١٤١٠م).

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي(ت ٧٦٨هـ)

٣٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، ط٢، مطبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٧٠.

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي،
(ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) .
٣٣- معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د. ت) .
اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)

٣٤- معجم المصنفين في ظل الدولة السلطان الملك الدكن حماه الله، سنة ١٣٤٤، مطبعة وزنكروف بيروت – سوريا.
ثانياً / المراجع الثانوية
الخوئي، ابو القاسم الموسوي.
٣٥- معجم رجال الحديث ، مطبعة مكتبة المنار، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.

رضا، محمد سعيد

٣٦- الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات العلمية، دار الشؤون الثقافية،(بغداد – ١٩٩١م).

الزركلي، خير الدين

٣٧- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٤، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٩م).

الطهراني ، اغا بزرك .

٣٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط٢ (بيروت- ١٤٠٣هـ) .

عبد العزيز سالم، سحر

٣٩- العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،١٩٩١.

العزاوي، عباس

٤٠- تاريخ العراق بين الاحتلالين،٨ أجزاء(بغداد: مطبعة بغداد،١٣٥٣هـ/١٩٣٥م).

الكتاني، عبد الحي محمد بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي ٠

٤١- فهرس الفهارس ، بيروت ومكتبة النصر، (الرياض- ١٩٦٦م).

كحالة، عمر رضا .

٤٢- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دمشق، ط٢، مط الهاشمية، ١٩٥٩.

موقف مدينة قلعة سكر وعشائرها من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤- ١٩٢٠ دراسة تاريخية

أ .م. د . عكاب يوسف الركابي
كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة واسط

المقدمـــــــــة

غطت الكثير من الدراسات والبحوث التي أنجزها المؤرخون والباحثون ، جوانب كثيرة من تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال البريطاني ، وبالرغم من ذلك ، فأن المجال لا يزال متاحاً لدراسة موضوعات كثيرة تتصل بتلك الحقبة ، ومن بينها موضوع بحثنا الموسوم " موقف مدينة قلعة سكر والعشائر المحيطة بها من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤ – ١٩٢٠ . إذ تحتاج المدن العراقية ومواقفها السياسية إلى دراسات تأريخية متخصصة قادرة على تقديم المعلومات التاريخية بدقة وتحليلها بموضوعية ، ولما كان موضوع البحث يؤلف ركنا أساسياً من تاريخ العراق الحديث ، بوصفه منفذاً مهماً لتقصي السياسة التي انتهجتها بريطانيا في المنطقة ، بعد ان ورثت ادارة العراق بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ، على ان قسما من الدراسات التاريخية تناولت جوانب عامة لم تركز على تفاصيل الحوادث السياسية المهمة التي حصلت في المدن وعشائرها ، لذا ظلت الحاجة ماسة إلى دراسات جديدة في تاريخ العراق الحديث تركز على التأريخ المحلي وتفصيلاته خلال تلك المرحلة التاريخية ، حتى تكون لنا صورة متكاملة الملامح عن الوضع العام للبلاد من خلال ما ساد المدن من ادارة ونظم ومدى تطبيقها وما ترتب عليها من مشاكل ، لذا جاءت دراسة موقف مدينة قلعة سكر وعشائرها من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤ ــ ١٩٢٠ لتسد جزءاً من هذا النقص .ومن المؤسف ان أغلب المختصين والمهتمين بتأريخ هذه المنطقة ، مروا بتاريخ مدينة قلعة سكر مرور الكرام ، وكل الذي كتبوه عنها وعن موقفها المشرف من الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٢٠ ، لا يتعدى سوى بعض الإشارات ، على انها كانت اول مدينة في لواء المنتفك ، تثور أو تنتفض بوجه الإحتلال البريطاني دون الغوص في التفاصيل والأسباب أن ميدان البحث هذا ، يقتصر على جوانب محددة من تاريخ مدينة قلعة سكر والعشائر المحيطة بها ، فهو يبين طبيعة موقفها من الاحتلال البريطاني للعراق والتعبئة التي حصلت في معارك الجهاد التي حصلت بين عامي ١٩١٤-١٩١٥ وما تبعها من موقف وطني مشرف يشار اليه بالبنان لهذه المدينة وعشائرها في ثورة العشرين .لقد كانت حرب الجهاد في الشعيبة في العام ١٩١٤ – ١٩١٥ وثورة العشرين ، الإطار الذي برزت فيه عناصر وطنية في مدن عديدة من العراق ، كان لها الاثر الفاعل في حركة تاريخ العراق في عهده المعاصر ، ومن هذه المدن كانت مدينة قلعة سكر التي كانت أولى المدن العراقية التي ثارت ضد الأحتلال البريطاني عام ١٩٢٠ ، بل وربما هي تعتبر ثالث أو رابع مدينة عراقية ، لها أثر فعال في هذه الثورة والمشاركة في تفجيرها وبخاصة في رفع علم الثورة العربية واثارت قلق سلطة الأحتلال البريطاني في بغداد ، التي أرسلت طائرات لمهاجمة المدينة " مع قلة الطائرات المتيسرة حينذاك " ، فضلاً عن المواقف المشرفة للعشائر المحيطة بهذه المدينة في مواجهة الأحتلال البريطاني .ان هذا التاريخ المشرق لهذه المدينة وعشائرها وحفاظاً على تاريخ أولئك الرجال الذين صنعوا هذا التاريخ من الضياع والنسيان ، شجعني على كتابة هذا البحث .واتماماً للفائدة ولكي تكون الصورة واضحة امام القاريء ، فقد مررنا بصورة سريعة على تاريخ نشأة هذه المدينة وتركيبتها السكانية وطبيعة العلاقة بينها وبين إمارة المنتفك ، وتوقف البحث عند نهاية العام ١٩٢٠ ، الذي شهد توقف العمليات الحربية لثورة العشرين ، إذ شهدت تلك المدة ولادة أول حكومة عراقية تحت الاحتلال البريطاني كنتيجة من نتائج الثورة [١] .

اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة والتي استعمال قسم منها لأول مرة ، على حد علم الباحث ، لاسيما الرسائل الشخصية المتبادلة بين بعض من علماء الدين وبعض زعماء العشائر وكذلك الوثيقة الخاصة بالاجتماع الذي عقد في قضاء الشطرة لبعض زعماء العشائر الذي نوقشت فيه بعض الامور الخاصة بحرب الجهاد في الشعيبة ، ومن ناحية ثانية ، فأن بحثنا لا يمكن له أن يستغني عن مؤلفات الرحالة الذين زاروا العراق ، واخص منهم بالذكر الضابط البريطاني الرحالة لوريمر الذي زار مدينة قلعة سكر وسجل بعض الملاحظات المهمة عن المدينة في كتابه دليل الخليج القسم الجغرافي الذي يعد من ابرز مصدر وثائقي عن الخليج العربي ، وكذلك الرحالة البريطاني أوبنهايم وكتابه البدو في

مجلداته الخمسة .أما الكتب سواء العربية أو المعربة ، فقد زودت البحث بمعلومات شتى ويأتي في مقدمتها الكتب التي عالجت كل ما يتعلق بتاريخ المنتفك ، مثل كتاب قلعة سكر ١٨٧٣ ـــ ١٩٥٨ دراسة في الحركة الوطنية والاجتماعية في الغراف لمؤلفه الدكتور عبد الرزاق مطلك الفهد ، وهو من الدراسات المهمة الذي أفاد البحث كثيرا في فهم أبعاد قضايا عدة تخص صلب الموضوع ، ورغم أن مؤلف الكتاب حاول قدر المستطاع اتخاذ الحياد والايجابية في كتابه ، إلا أن ميوله العاطفية نحو عشيرته وأسرته ، كانت واضحة في تحليله لبعض الحوادث ، كما اعتمد الباحث أيضاً على كتاب ، لواء المنتفك في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٢١ دراسة في أحواله الادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لمؤلفه عبد العال وحيد عبود العيساوي ،وتأتي أهمية كتاب العيساوي ، كونه كان في الاصل رسالة اكاديمية فضلاً عن تحليله لبعض الحوادث المهمة واعتماده على الكثير من الوثائق والمصادر البريطانية التي تنشر لأول مرة والخاصة بمدينة قلعة سكر ، وكذلك كتاب ، إمارة المنتفك وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦ – ١٩١٨ لمؤلفه حميد حمد السعدون وهو من الدراسات المهمة التي تخص الموضوع إذ افاده البحث بمعلومات قيمة عن الموضوع .

وأعانت الرسائل الجامعية غير المنشورة ، الباحث كثيرا سواء من إذ فتح أفاق جديدة أمامه أو إرشاده إلى مواطن المعلومات ، وتأتي في المقدمة منها ما كرس لدراسة المنطقة بما فيها قلعة سكر أو لدراسة العشائر العراقية بما فيها عشائر القلعة مثل رسالة ، شيماء طالب عبد الله المكصوصي الموسومة المنتفك دراسة تاريخية سياسية ١٩٢١ – ١٩٣٩ التي زودت الموضوع بمعلومات قيمة لاسيما في ما يخص الضباط البريطانيين الذين عملوا بصفة مساعدين للحاكم السياسي للمدينة وفيها معلومات عن مدن المنتفك ومنها مدينة قلعة سكر ، فضلاً عن تناولها للأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية للواء المنتفك ، وكذلك رسالة فاطمة فالح جاسم الخفاجي المعنونة بـ أثر نواب لواء المنتفك في مجلس النواب العراقي ١٩٢٥ – ١٩٤٥ دراسة تأريخية ، والتي امدت البحث بمعلومات مهمة عن بعض الشخصيات التي شاركت في ثورة العشرين ، فضلاً عن رسالة حيدر شهيد جبر الخفاجي المعنونة الشطرة في العهد الملكي ١٩٢١ – ١٩٥٨ دراسة تأريخية . واعتمد البحث على مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨ – ١٩٢٠ وتأتي اهميتها ، لكون صاحبها حكم مدينة الشطرة وقلعة سكر وتمكن تدوين الأحداث المهمة فيهما وحرص الباحث على القيام ببعض المقابلات الشخصية مع العديد من الشيوخ والوجهاء ، الذين زودوه ببعض المعلومات القيمة والنادرة التي لم تتوفر في المصادر الأخرى ، مع الأخذ بنظر الاعتبار الحيطة وعدم الانحياز للآراء المسجلة ، إلا ان من المؤسف ، ان كثيراً من الاحداث قد ضاعت تفاصيلها بوفاة اصحابها الذين ساهموا في صنعها وأخذوا ما اختزنته ذاكرتهم إلى العالم الآخر ، من دون ان يلتفت أحد من الباحثين إلى تسجيلها عنهم في حينها ، مما جعلنا نستعين بأحفادهم ممن حفظوا عن هؤلاء الرجال من مرويات تعتمد على الذاكرة أحياناً والتي غالبا ما تكون عرضة للتداخل أو النسيان أو المبالغة احياناً .

كما أن للأثريات العربية أثراً بالغاً في ثنايا البحث واحتلت حيزاً واضحاً في هوامشه ، واهمها جريدتي زوراء والعراق وبعض أثريات جامعتي البصرة والقادسية ومجلة آفاق عربية والتراث الشعبي وغيرها من المجلات العربية واجهت الباحث بعض الصعوبات في مرحلة جمع المصادر ، تمثلت في ندرة المصادر لاسيما الكتب التي تتحدث عن مدينة قلعة سكر، فضلاً عن عدم الحصول على بعض الوثائق المهمة ولاسيما البريطانية منها ، بسبب الوضع الأمني المضطرب الذي يعيشه البلد وحالات التلف والحرق الواضحة التي اجتاحت المكتبات العراقية وخاصة المكتبة الوطنية إن نظرة فاحصة إلى قائمة المصادر والمراجع الخاصة والعامة الملحقة بالبحث وهذا الاستعراض المقتضب لنماذج منها ، تظهر دون ريب أو مبالغة ، مدى الجهد الذي كان على الباحث ان يبذله لجمع مادته وغربلتها على اساس المقارنة والمنطق بعيدا عن العاطفة التي تسربت سلباً أو ايجاباً لمروياتها وفي سياق عام لا خاص إلى ثنايا غير مصدر ومرجع ورواية تخص غير جانب من جوانب دراسته ، التي يتمنى صاحبها ان تحظى

بأهتمام ابناء مدينته الإجلاء ورضاهم وتقديرهم لتأريخها ، وفي الوقت نفسه فأن تلك المراجع والروايات ، تؤكد اهمية موقع قلعة سكر وأثرها السياسي في تأريخ العراق الحديث والمعاصر ، هذا الموضوع الذي كان يصعب تحديد جميع ابعاده كما ينبغي ، دون الرجوع إلى تلك المصادر بغض النظر عن مآخذنا القليلة على ما ورد في بعض منها ، وافتقار معظمها إلى التحليل والاستنباط . وأخيراً فقد استعمل الباحث في بعض الاحيان ، كلمة العشيرة على القبيلة أو الإمارة ، وذلك لان العشيرة هي اساس القبيلة علماً بأن الإمارة تتكون من مجموعة القبائل والقبيلة تتكون من مجموعة من العشائر والآخيرة تتكون من مجموعة من الأفخاذ .

توطئـــــــة:

حفل تاريخ العراق المعاصر بأحداث ألفت في مسارها إنعطافة تاريخية في مجرى الأحداث اللاحقة لها، بإذ لا يصعب على المتتبع لمسيرة التاريخ المعاصر لهذا البلد، أن يلمس تغييراً في البنية التاريخية التي كونت فيما بعد كيانه السياسي وأرست دعائم الدولة الحديثة، ولعل أهم تلك الأحداث، الاحتلال البريطاني للعراق ورد فعل العراقيين ، الذي تمخض في معارك الجهاد في العام ١٩١٤-١٩١٥ ونشوب ثورة العشرين [٢] وتلك المعارك قامت لعوامل عديدة تفاعلت وتداخلت مع بعضها، فأدت إلى قيامها بمشاركة شعبية كبيرة ومع إيماننا بأن التاريخ تصنعه الشعوب بنضالها، إلا انه في الوقت نفسه، فأن تلك الشعوب تحتاج إلى قيادات مبدعة تمتلك مواصفات معينة تؤهلها لتهيئة الشعب وتمكينه من رسم مسار تاريخه وصنعه، فتترك بصماتها على الأحداث بصورة واضحة .إنَّ ما يتمتع به العراق من إمكانات إقتصادية كبيرة وما يمنازبه من موقع إستراتيجي مؤثر وفاعل في منطقة الشرق الأوسط، أغرى بريطانيا أن تجعله محور إهتمامها ومجالها الحيوي في نشاطها الأستعماري في المنطقة منذ القرن السابع عشر [٣] ، لاسيما إنَّ قربه من منابع النفط في إيران قد أضفى عليه أهمية خاصة [٤] ، إلى جانب ذلك، فإن بريطانيا كانت معنية بتوفير فرص العمل للهنود أو ما يسمى بسياسة تهنيد العراق"***Indianisation***" [٥] ، لتتمكن من السيطرة على إمكانات هذا البلد البشرية في مشروعاتها وتوجهاتها الاستعمارية [٦] ، وكان العراق البلد المناسب لإيواء مثل هذه الأعداد الكبيرة التي ستفد إليه من الهند، لأنه بلد زراعي يمكن أن يستوعب الكثير من هؤلاء للعمل في الزراعة، وهذا الأمر بالتأكيد كان وراء سعي بريطانيا المستمر لأنهاك الدولة العثمانية، فكان انضمام الأخيرة في ٥ تشرين الثاني عام ١٩١٤ إلى الألمان ضد الحلفاء "بريطانيا وفرنسا وروسيا"، إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨،بناء على معاهدة سرية ابرمت بينها وبين الالمان، وعلى الرغم من أن ذلك الاشتراك لم يكن متوقعاً من الحلفاء، إلا أنه وفر الفرصة المناسبة لتحقق بريطانيا ما كانت تصبو إليه في تنفيذ أطماعها، وهو ما دفعها في أوائل شهر تشرين الأول عام ١٩١٤، إلى إصدار الأوامر بإرسال حملة من الهند بقيادة العميد ديلامين (***W. S. Delamain***) والمرابطة في البحرين بالتوجه نحو جنوب العراق إذ نزلت القوات البريطانية إلى البر" وكان ذلك أول وطأة قدم لبريطانيا في العراق" إذ استولت على الفاو في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤ بغطاء قصف المدفعية ودون مقاومة تذكر [٧] ، وبعد معارك غير متكافئة مع قوات عثمانية صغيرة، احتل البريطانيون البصرة " ميناء العراق الوحيد " في ٢٢تشرين الثاني عام ١٩١٤، وهذا الأمر مهد لخطوط الأحتلال البريطاني للعراق أن تكتمل لتضع الإدارة البريطانية بعد ذلك ، آلية عمل تمكنت من خلالها، تثبيت كيانها كدولة محتلة للعراق، فبدأت بالتقرب من العشائر بوصفها قوة فاعلة في المجتمع العراقي إلى جانب وضعها لجهاز إداري وضفته لخدمة مصالحها بالدرجة الأولى، وأمام ذلك فأن عموم العراقيين لم يثقوا بهذه السلطة الجديدة، ومما زاد في الأمر سوءاً، تداعيات سياسة الأحتلال على حياة العراقيين بين عامي ١٩١٤ و١٩٢٠، لاسيما بعد ما عمد إليه قادة الثورة البلشفية في روسيا القيصرية عام ١٩١٧ من الكشف عن النوايا والخطط التي أبرمت بالسر بين الحلفاء وما كانت تبتغيه من اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية المهزومة في الحرب، ونقصد بها وثائق معاهدة سايكس بيكو ٩ – ١٦ مايس عام ١٩١٦[٨] بالاضافة إلى "وعد بلفور ***CaptenF.C.C.BaIfour***" في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ والأعلان بعد ذلك عن مؤتمر " سان ريمو***San Remo*** " في ٢٥ نيسان عام ١٩٢٠ " الذي قضئ بأن يكون العراق وفلسطين تحت

الأنتداب البريطاني [٩] وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ونشر البريطانيون تلك المقررات في العراق في ٣ ايار من السنة ذاتها ، وبذلك انكشفت اهداف بريطانيا الحقيقية في العراق وان ما صرح به الجنرال مود عند احتلال بغداد من وعود التحرير والتقدم ، ما هو الا محاولة لتخدير اعصاب الشعب الذي كشف بشكل لا يقبل الشك عن خداع بريطانيا لوعودها مع العرب ، فبدأ الرأي العام العراقي بالتظافر ضد الأحتلال البريطاني، فترتب على ذلك، ردة فعل في عموم العراق لاسيما في مناطق الفرات الأوسط، فقد كان معاون الحاكم السياسي في النجف الكابتن مارشال***Capten.W.M.MarshaII*** [١٠] الذي كان لسياسته القمعية الأثر الكبير في التصادم مع الأهالي، مما دفع إلى اقتحام مكتبه وقتله، وقد أثارت هذه الحادثة حفيظة السلطة البريطانية لتتخذ إجراءات تعسفية بحق الأهالي، فكانت خطوة ممهدة للتقاطع الذي برز ما بين الزعماء العشائريين وسياسة الأحتلال، وازداد هذا التقاطع ليصل إلى ذروته حين اصدر الشيخ مُحَمَّد تقي الشيرازي [١١] فتواه الشهيرة في أوائل شهر تموز عام ١٩٢٠ بضرورة المواجهة المسلحة للاحتلال [١٢] ، فكانت خطوة مهدت إلى تفجير ثورة العشرين التي قدم فيها أبناء الشعب العراقي المئات من الشهداء والجرحى وتكبد فيها المحتلون، اضعاف ما قدمه العراقيون من القتلى والجرحى والاسرى، فضلاً عن الخسائر المادية التي تعد بالملايين من الجنيهات والمعدات والاسلحـــة [١٣] .

لامح النشأة التأريخية والتركيبة السكانية لمدينة قلعة سكر خلال العهد العثماني :

هيمنت إمارة المنتفك على مناطق واسعة في جنوب العراق تمتد على ضفتي نهر الفرات من مدينة السماوة إلى منطقة القرنة ، وتشمل أيضاً الضفة اليمنى لنهر دجلة من منطقة العزير [١٤] إلى القرنة [١٥] ، وكان رجال الإمارة قليلو الإستقرار ويميلون في طريقة معيشتهم إلى البداوة ، ففي بداية شهر شباط من كل سنة يحملون معهم خيامهم وأطفالهم وأزواجهم ويتوجهون بمواشيهم نحو الصحراء الشامية ، وكان أمير المنتفك يتنقل معهم دون تمييز ترافقه قطعان كثيرة من الماشية التابعة له ، ويبقون هناك لمدة ثلاثة أشهر يتجولون في البر في رحلة لا تخلوا من المخاطر والغزو [١٦] ، بحثاً عن المراعي والإعشاب لرعي حيواناتهم [١٧] . وفي هذه الاجواء المضطربة والتي لا تخلوا من النزاعات والاقتتال لأسباب شتى حينذاك ، قضى الشيخ سكر يعقوب [١٨] هو وعشيرته المشلب [١٩] شطراً من حياته في هذه المضارب والتي جاءها مرتحـــلاً من مضارب الفرات الإوسط [٢٠] . وتختلف الروايات على كثرتها [٢١] ، حول الاسباب التي حدت بالشيخ سكر إلى ترك هذه المضارب والرحيل بعيداً عنها ، ومهما يكن من صحة هذه الروايات ، الا ان هناك روايتين تبدوان أقرب إلى الواقع من غيرهما ، إذ تذهب الاولى ، إلى ان الشيخ سكر دخل هو وعشيرته في نزاع عشائري مع أحد العشائر القاطنة هناك وتسمى عشيرة البأثر [٢٢] في منطقة القطيعة القريبة من السماوة ، وربما في ظل الاعراف العشائرية السائدةحينذاك ترتب على الشيخ سكر الرحيل عن هذه المنطقة [٢٣] ، بينما تشير الرواية الثانية والتي جاءت على لسان السيد كاظم باجي الخالدي [٢٤] والتي يؤكد صاحبها بأنه سمعها من بعض معمري المشلب في مدينة قلعة سكر ومنهم الشيخ العام للعشيرة نفسه [٢٥] ، إذ يذكر الخالدي ، بأن الشيخ سكر المشلب كان كريماً إلى حد كبير وربما هذا الكرم والعطاء هو الذي جعل ابناء العشائر الاخرى ترتاد مضيفه ومجلسه وتلتف حول مشيخته ، ويبدو ان هذا الامر، فضلاً عن النزاع العشائري الذي حصل بين عشيرة الشيخ سكر وعشيرة البأثر، ازعج الشيخ ناصر باشا السعدون [٢٦] شيخ المنتفك ، وجعله يعطي الشيخ سكر أراضي الجزرة على الضفة اليسرى من نهر الغراف [٢٧] " قلعة سكر حالياً " على شكل التزام [٢٨] ، لكي يرحل اليها ليس حلاً للنزاع ، وانما لغرض ابعاد هذا المنافس القوي في الكرم عنه [٢٩] ، ويبدو ان الشيخ سكر هو الآخر ، فضل الرحيل ايضاً إلى مكانه الجديد بحثاً عن الامن والاستقرار لعشيرته ولتفادي اسباب الاحتكاك مع ناصر باشا السعدون ، أو لأسباب يتعذر معرفتها الآن [٣٠] ، وهكذا ومن خلال الحقائق والوقائع المار ذكرها واللقاءات التي أجرينها ، يبدو ان الرواية الآخيرة ، تبدو أقرب إلى الواقع والصواب من غيرها .ويتصل بهذه القضية أمر لابد من الإشارة إليه لأنه يعكس جانبا مهما من شخصية الشيخ سكر ويدعم ما ذهبنا اليه ، وهي صفة الكرم التي ظلت ملازمة له حتى عندما ارتحل إلى منطقة الجزرة وأنشأ فيها مدينته " قلعة سكر " ، إذ كان يأمر اخوانه بأن يخلوا بيوتهم ليحلوا بها الضيوف الوافدين على مستوطنته قائلاً لهم ما نصه: " انهم اجانب وخطاطير " [٣١] ، وهذا يعني ان كرمه طبيعة فيه وليس

تطبعاً. ويبدو ان هذه الصفة ، عززت من سمعته بين القبائل والمناطق المجاورة للمدينة ، فكان ذلك مدعاة لهجرة اعداد لا باس بها من الناس إلى قلعة سكر ومجاورته أما للعمل أو طلباً للامان ، الامر الذي أدى إلى توسع المدينة وزيادة عدد سكانها بصورة سريعة [٣٢] . والمهم من ذلك ، فأن الشيخ سكر وعشيرته قد رحل إلى ديرته الجديدة التي وصلها في العام ١٨٧٠ على الأرجح ، إذ وجدها عبارة عن أرض واسعة مغطاة بالحطب والزور وبعض الحشائش الاخرى وتعيش بها الحيوانات المفترسة ومنها الأسود [٣٣] ، وهكذا بدأ رجال العشيرة وبأشراف الشيخ سكر بتطهير بعض اجزاء المنطقة ، إذ تم اختيار منطقة قلعة سكر الحالية على الجهة اليسرى من نهر الغراف [٣٤] لتكون مستقراً للشيخ سكر [٣٥] هو وافراد عشيرته وكـــــان ذلك في العام ١٨٧٣ على الأرجح [٣٦] .ظلت قلعة سكر حتى بعد تسع سنوات من تأسيسها خالية من التشكيلات الرسمية العثمانية ، إذ كانت خاضعة لنفوذ وسلطات الشيخ سكر وعشيرته المشلب حتى العام ١٨٨٢ ، الذي شهد أخضاع قبائل المنطقة لسلطة الحكومة العثمانية المباشرة ، وفي هذا العام اسست تشكيلات حكومية في قصبات المنطقة [٣٧] ، إذ ذكرت جريدة " زوراء " بتكون ناحية [٣٨] قلعة سكر تابعة ادارياً لقضاء الحي وكان ذلك في العام ١٨٨٢[٣٩] ،وبذلك اصبحت المدينة ومنذ ذلك التاريخ ولحد الآن ، تسمى رسمياً بناحية قلعة سكر ، إذ بدأ يظهر اسمها ومعلومات عنها فيما بعد في السالمانات [٤٠] العثمانية الرسمية التي كانت تصدر عن ولاية البصرة ، إذ كتبت أول سالمانة عثمانية معلومات عن المدينة جاء فيها ما نصه : " قلعة سكر هي قرية جعلت مركز ناحيتها وفيها قدر ماية وخمسين دار من الطين ومقدار من الحوانيت الغير منتظمة وسكانها الف وخمسمائة نفس تقريبا كلهم يشتغلون بالزراعة ويتكلمون العربية ومذهبهم جعفري" [٤١] وتذكر المعلومات ، ان المدينة كانت بدرجة ناحية وان أول مدير لها هو عبد القادر بك وكاتبها مهدي افندي وهي جزء من تشكيلات قضاء الحي " حالياً ضمن محافظة واسط " ، الذي كان مرتبطاً بلواء المنتفك حينذاك طيلة العهد العثماني [٤٢] ، إذ بقي هذا الارتباط وهذه الدرجة ، حتى بعد انسحاب القوات العثمانية منها بعد العام ١٩١٥[٤٣] ، إذ تولى إدارتها الشيخ عطية السعيد [٤٤] حتى العام ١٩١٨ ، ويبدو ان الشيخ المذكور ، مارس عمله الاداري وفرض سيطرته على الناحية بكل قوة وأقتدار ، بسبب ما كان يتمتع به من نفوذ مؤثر في المنطقة ، الا ان سيطرته على الناحية كانت إلى حين وصول الضابط البريطاني الكابتن هيسوم.**HaisomCap** في حزيران العام ١٩١٨ ومساعده عزت سركيس " عراقي ارمني "واستلام مسؤولية الإدارة ، وقد رحب به الشيخ عطية الذي أصبح رئيساً للمجلس العشائري [٤٥] بعد تشكله من قبل هيسوم [٤٦] .

ويبدو ان لموقع مدينة قلعة سكر تأثيراً كبيرا في حياة سكانها ، إذ هاجرة الى المدينة اعداد كبيرة من سكان القرى القريبة منها ، للاستفادة من الخدمات التي تقدمها المدينة ، فضلاً عن موقعها التجاري الذي عزز من اهميتها [٤٧] ، وكما اسلفنا فأن التقديرات العثمانية سجلت ارتفاعاً كبيراً في اعداد نفوس المدينة قياسا مع مدن المنتفك الاخرى ، إذ بينت أول عملية تخمين عثمانية لسكان المدينة" بالرغم من تحفظنا عليها "بعدد ١٥٠٠ نسمة [٤٨] من السكان المدنيين من مختلف الطبقات التي تعايشت في المدينة .

قلعة سكر وحركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٤ـ ١٩١٥

بعد اعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وانضمام الدولة العثمانية [٤٩] في ٥ تشرين الثاني من العام نفسه الى جانب ألمانيا في حربها ضد الحلفاء "بريطانيا وفرنسا وروسيا"، وظهور الدلائل القوية على نية القوات البريطانية التحرك من الهند لاجتياح الأراضي العراقية، وعندما شرعت تلك القوات باحتلال الفاو في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤ ورفعت العلم البريطاني فوق قلعة المدينة دون مقاومة تذكر، ثم واصلت تقدمها نحو مدينة البصرة واحتلتها في ٢٢ تشرين الثاني العام نفسه، وبذلك تمكن البريطانيون من السيطرة على مدخل الخليج العربي، فضلاً عن النيات الاستعمارية البريطانية المبيتة للسيطرة على العراق، إذ انتشرت أخبار هذا الأحتلال في مدن العراق وبخاصة الجنوبية منه ، لذلك أرسل وجهاء وشيوخ مدينة البصرة برقية في ٩ تشرين الثاني عام ١٩١٤ إلى علماء الدين في المراكز الدينية في النجف الأشرف وكربلاء وسامراء ومختلف المدن العراقية، تستنهض همم المسلمين في الدفاع عن البصرة جاء فيها:" ثغر البصرة الكفار محيطون به الجميع تحت السلاح نخشى على باقي بلاد الإسلام

ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع " [٥٠] ، وكان لتلك البرقية اثر فاعل في نفوس المسلمين، لاسيما علمائهم الذين عدوّا هذا التحرك قد جاء لضرب الدين الإسلامي، فكان ذلك مسوغاً لهم للتحرك والتطوع والافتاء [٥١] بالجهاد ضد "الكفار" وحمل السلاح دفاعاً عن العراق وحماية له واوعزوا بذلك الى عمـــــوم عشائر العراق، وكان السَّيد مُحَمَّد سعيد الحبوبي [٥٢] من الرجال المميزين في هذا المجال وممن واجه الاحتلال قبل وقوعه، فقد كان السيد الحبوبي ورغم تجاوز عمره الستة والستين عاماً (٥٣) ، يتجول في المدن والقرى العراقية، لاسيما النجف التي كانت في مقدمة المدن العراقية التي استجابت لنداء الجهاد الذي اعلنه الحبوبي وبعض علماء الدين في فيها، فأتصل بالزعماء العشائريين وبالاخص منهم زعماء عشائر المشخاب [٥٤] وبعض عشائر المنتفك [٥٥] ، وبالرغم من أن بعض العشائر العراقية ، كانت غير راغبة في الاستجابة لدعوة الجهاد، بسبب الكره الذي كانت تضمره دوماً للأتراك العثمانيين، لسياستهم التعسفية وسوء سلوكهم في ادارتها لهم [٥٦] أو وجود خصومات عشائرية بين هذه العشيرة أو تلك، إلا أن نشاط السيد الحبوبي ساعد في حلها وتذليلها [٥٧] .واستجابة لفتاوى علماء الدين بالجهاد ، فضلاً عن حرص أغلب هؤلاء الزعماء والوجهاء على سلامة أرض الوطن، أقنع الكثير منهم بالاشتراك في الجهاد [٥٨] ، وعلى اية حال فإن قوة الفتوى والجهود المثابرة لعلماء الشيعة ولا سيما الحبوبي اتت ثمارها.

لقد اجمعت أغلب مدن وعشائر لواء المنتفك ، من حدود مدينة قلعة سكر إلى الناصرية على مقاومة البريطانيين ، وان واجب المسلم الدفاع عن نفسه ووطنه ، إذ لا يجوز الجمع بين الإسلام والسيطرة الأجنبية [٥٩] .

وفي هذا المجال يذكر ، أن المنهاج الذي أعده المرجع السيد محمد كاظم اليزدي [٦٠] لولده السيد محمد ومن معه في السير بمقتضاه عند سفره للجهاد وتبليغه العشائر القاطنة في الطريق بفتوى والده للجهاد ، كان يتضمن مرور نجل المرجع بـ مدينة قلعة سكر لتبليغ أهل المدينة والعشائر المحيطة بها ، بنص فتوى والده الخاصة بالجهاد لمحاربة الأحتلال البريطاني [٦١] وفي الاتجاه نفسه ، فان السيد الحبوبي وهو يطوف بين المدن والعشائر العراقية، لغرض حثها على المشاركة بالجهاد ضد الاحتلال البريطاني ، زار مدينة قلعة سكر التي وصلها راكباً زورقاً شراعياً في نهر الغراف عن طريق مدينة الكوت وذلك في منتصف شهر آيلول العام ١٩١٤ [٦٢] .وفي قلعة سكر ، التقى السيد الحبوبي بالسيد جواد السيد حمزة الياسري [٦٣] في مضيفه والوجيه جنديل الشيخ محمد الخزعلي [٦٤] والوجيه محمد حسين الخطاب [٦٥] وبعض وجهاء المدينة وشيوخ العشائر فيها ، لغرض حثهم على الجهاد والتنسيق معهم في سبيل قيادة جموع المجاهدين من اهالي قلعة سكر والعشائر الاخرى من المتطوعين للأشتراك في الجهاد ضد الاحتلال البريطاني [٦٦] .ودون أدنى شك فإن تواجد رجال الدين وبهذا المستوى والتأثير في مدينة صغيرة مثل قلعة سكر فضلاً عن وجود ممثل المرجعية الدينية فيها الشيخ حسن الدخيل [٦٧] الذي اتصف بالنشاط والحركة في هذا المجال ، كان له صداه الايجابي في التأثير على مشاعر الناس في التطوع للجهاد ، الأمر الذي أدى إلى زرع بذرة الاستعداد إلى مقاومة كل اشكال الاحتلال وقد لمس فعل ذلك جلياً في ثورة العشرين وكما سيرد لاحقاً . ويبدو ان الكثير من أهالي قلعة سكر والبعض من ابناء العشائر المحيطة بالمدينة ، استجابوا لفتوى الجهاد التي كان يحملها السيد الحبوبي ونجل المرجع اليزدي ، وتطوعوا للجهاد استجابة لنداء رجال الدين ورؤساء عشائرهم وتحقيقاً للشعار المرفوع: " محاربة الكفار من الانكليز " [٦٨] ، وراجت ايضاً ، بعض الفتاوي المحلية لصغار علماء الدين في المنطقة منها: " الذي لا يذهب للجهاد تحرم عليه مرته ــ زوجته ــ " [٦٩] . ومهما يكن فأن ذلك يعكس شدة أستجابة العشائر لفتاوي رجال الدين واوامر رؤسائها لمواجهة البريطانيين . ولغرض تنظيم وترتيب عمل جموع المجاهدين ، فقد انقسم المتطوعون إلى عدة أقسام ، قسم يقوده السيد جواد السيد حمزة الياسري وآخر بقيادة الوجيه جنديل الشيخ محمد الخزعلي وقسم من المتطوعين من ابناء قبيلة بني ركاب ومجموعات اخرى انضوت تحت قيادة الشيخ غدير الصبح الروضان [٧٠] شيخ عشيرة الجدوع من بني ركاب، فضلاً عن بعض المتطوعين من رجال عشيرة آل حميد المشلب [٧١] .وفضلاً عما مذكور من اسماء من قادة المجاهدين اعلاه ، وعلى الرغم من اننا لم نتمكن من معرفة كل اسماء مجاهدي قلعة سكر واعدادهم لعدم تيسر المصادر اللازمة لذلك [٧٢] ، الا ان المقابلات التي اجرينها مع احفادهم وأقاربهم وبعض المصادر

المساعدة والرغبة التي تحدونا في المحافظة على تاريخ هولاء الرجال ، اهدتنا إلى اسماء عدد من المجاهدين من مدينة القلعة وعشائرها ممن تطوعوا للجهاد ضد الاحتلال البريطاني للعراق ،علما أن هذه الأسماء تمثل زعماء العشائر ووجهاء المدينة فقط ، أما الذين تطوعوا للجهاد من أبناء قلعة سكر والعشائر والذين أنضموا تحت قيادة هؤلاء فهم كثر تعذر أحصاؤهم وطواهم النسيان [٧٣] ، ومن هذه الأسماء التي ذكرت:اسحاك بدر غضبان المشلب [٧٤] وفرحان ضيدان غضبان المشلب [٧٥] وجدوع مناحي المشلب [٧٦] وهؤلاء جميعاً من عشيرة المشلب ، وذكرت ايضاً اسماء ، جابر حمدان وشقيقه ساير حمدان وهما من عشيرة الشناتي الطوكية [٧٧] ، ومن عشائر بني ركاب ، ورد اسم الشيخ بريس مطرود حسين الركابي [٧٨] **ومجبل** مطشر الركابي [٧٩] وعباس بندر الركابي ، ومن مركز مدينة القلعة ذكرت اسماء ، حيدر باقر داغر الجرجري [٨٠] وخريوت حمزة الدبي [٨١] وسلمان ريسان علي وكاظم الحاج علي موسى [٨٢] والسيد سلمان السيد كعود الصافي [٨٣] وفلفل علي الربيعي [٨٤] وعدد من ابناء عشيرة الطربوش العميرات بينهم ساجت هليل طربوش العميري [٨٥] وطربوش حسين جبر العميري [٨٦] ومن عشائر الطربوش الطوكية ، ذكر اسم الشيخ ناصر حمود فزع الطربوش [٨٧] وعدد من متطوعي رجال عشيرة المغصوب من عشائر الطوكية [٨٨] .

ويذكر ان عدد كبيراً من الميسورين مالياً من أهالي مدينة قلعة سكر ، تبرعوا بالمال لدعم المجاهدين ، كما ان بعض هؤلاء شارك بالجهاد وتبرع بالمال ايضاً [٨٩] ، في حين فضل اخرونا المشاركة بالمال دون غيره [٩٠]

.ويبدو ان لندرة عتاد البنادق في قلعة سكر خاصة ومناطق الغراف عامة حينذاك ، جعل البعض من المتطوعين ، بأن يكون متخصصاً في تصنيع وتوفير العتاد المحلي للمجاهدين ، وهنا يذكر احد المهاويل " الهوسة " التالية بحق المجاهد حيدر باقر الذي يبدو انه كان يتولى تلك المهمة قائلاً بحقه:" شُد حيدر يكرص بمتونه " [٩١] . وفي قصيد طويلة نقتطف منها الابيات التالية ،اشاد احد شعراء المدينة [٩٢] بزعامة وقيادة الوجيه جنديل الشيخ محمد الخزعلي ، لأحد الفصائل المتوجه من قلعة سكر إلى الجهاد في الشعيبة قائلاً بحقه :

ابا كريم [٩٣] بشعري اليوم أرثيكا اوانصف القول فيكم إذ اناجيكـــــا
وانصف القول يا جنديــل منطلقاً مما روى لي اناس عن معاليكـــــا
جدي وخالي لقد قصوا مفاخر كم كنت الزعيم لرهط [٩٤] يفتخر فيكا

وفي يوم ٢٤ كانون الثاني العام ١٩١٥ توجهت جموع المجاهدين من قلعة سكر إلى النّاصريَّة في موكب مهيب مستخدمين القفة [٩٥] والابلام [٩٦] في تنقلهم عبر نهر الغراف .ويبدو ان موكب مجاهدي القلعة كان من الاهمية الكبيرة ، إذ كان في وداعه عدد لامن الرجال فضلاً عن عدد من النسوة الائي قمن بتوديع ازواجهن [٩٧] .وأستجابة لنداء بعض زعماء ومشايخ العشائر في المنتفك ، حضر بعض مشايخ العشائر المحيطة في مدينة قلعة سكر ، اجتماعاً عاماً عقد في الشطرة في العام ١٩١٥ أي قبل معركة الشعيبة ، وكان الهدف من هذا الأجتماع الذي حضره أيضاً ، بعض مشايخ العشائر في لواء المنتفك ، هو التأكيد على التزام هؤلاء المشايخ وعشائرهم ، بالدفاع عن الوطن والدين والوقوف ضد الاحتلال البريطاني ، بوصفه محتل كافر والتمسك بتوجيهات المراجع الدينية ، كما لم يخف هؤلاء المجتمعون مشاعرهم ، بأن الدولة العثمانية دولة اسلامية وان الدفاع عنها هو واجب شرعي ، وقد حضر من مشايخ قلعة سكر لهذا الأجتماع ، الشيخ مجلي المطرود [٩٨] والشيخ حمادي الشاتي أحد مشايخ بني ركاب والشيخ يوسف الخير الله شيخ عشائر الشويلات في قلعة سكر والرفاعي والشيخ ابراهيم اليوسف [٩٩] والشيخ فشاخ الفارس شيخ عشيرة البحمزة من بني ركاب والشيخ شلال الفيصل احد شيوخ بني ركاب والشيخ خيون العبيد [١٠٠] وغيرهم [١٠١] ، وقد وقع هؤلاء المشايخ على وثيقة عهد ، ونظراً

لأهمية هذه الوثيقة التي عثرنا عليها في مجال البحث ولكونها تنشر لأول مرة ، أثرنا ان ننشر نصها كاملاً دون تصحيح في املائها والفاظها ، فقد جاء فيها ما نصه: " نحن المحرره اسمائنا ـ كذا ـ ادناه عشائر آل حميد وبني ركاب وخفاجه وبني زيد والبو سعد والعبودة قد حضرنا في نفس الشطرة واجتمعنا مجمعا يرضي الله ورسوله "ص" دفعا ـ كذا ـ للدين والدولة العثمانية أننا ندافع ونحارب الطاغي الانكليزي المهاجم على اوطاننا ونحافظ على هذه البقعة المقدسة لكي نطهرها من اقدام الكافرين وقد تعاقدنا وتحالفنا على هذا الرأي اننا رأي واحد ....ومن هذه النية والعقيدة الحسنة والذي يتخلف من عندنا فالله ورسوله يذله في الدنيا ويعاقبه في الاخرة ونحنو جميعا حسب الجهد نجري التنكيل بحق الخائن وقد اوجب الله سبحانه عزه وجل الجهاد والدفاع على كل مسلم مكلفوذم تخاذل وتقاعد هذا لوجه المشروع والبسه الله تعالى ثوب الذل وسم الخسف ـ كذا ـ وقد حررنا هذه الورقة وشرحناها باسمائنا وختمناها بختومنا ونحنو ـ كذا ـ مسؤلون امام الله بذلك والسلام الى كافة اخواننا المسلمين والدعاء" [١٠٢] . وفي التاسع عشر من شباط العام ١٩١٥ ، توجه ركب المجاهدين العام ومعه مجاهدو مدينة قلعة سكر وعشائرها إلى الشعيبة [١٠٣] ، التي وصلوا ضواحيها في اوائل نيسان العام ١٩١٥فضربوا خيامهم في موضع يسمى" النخيلة " [١٠٤] على جرف الهور بين الغبيشية [١٠٥] والشعيبة ، بانتظار أن يضع القائد العسكري العثماني سليمان عسكري بك [١٠٦] الخطة اللازمة للهجوم على البريطانيين، التي يبدو ان متطوعي لواء المنتفك تحملوا العبء الأكبر منها،وذلك لكثرة المتطوعين من عشائر اللواء [١٠٧] وتمرسهم في القتال ، بحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، فضلاً عن سياسة القوة التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية ضدهم [١٠٨] . وسبقت المعركة بين الطرفين مواجهات في منطقة النخيلة بمقربة من البرجسية كانت بمثابة مناوشات ومحاولات لجس النبض من قبل الطرفين، كان للمجاهدين أثر واضح فيها، اما المعركة الرئيسة فقد بدأت ليلة الاثنين ١١/ ١٢من نيسان عام ١٩١٥[١٠٩] ، إذ شرع الجيش العثماني والمجاهدون بمهاجمة المواضع البريطانية المحصنة، الأمر الذي دفع البريطانيين بقيادة الجنرال فراي إلى شن هجوم تعرضي في اليوم التالي، إذ دارت رحى معركة غير متكافئة مع القوات البريطانية الغازية أستمرت ثلاثة أيام [١١٠] . وعلى الرغم من أن المصادر ، لا تشير بشكل أو باخر إلى الأثر الذي لعبه مجاهدو مدينة قلعة سكر وعشائرها في تلك المعركة، إلا أن هناك اشارات إلى صمود هؤلاء المجاهدين في منطقة البرجسية والشعيبة، كما تشير المصادر ذاتها إلى حدوث اشتباك مباشر بين المجاهدين والقوات البريطانية ، ورغم قساوة المعركة والخسائر التي لحقت بهم نتيجة لانعدام التكافؤ العسكري ، فقد ابدى المجاهدون بسالة رائعة وقدموا عدداً من الشهداء والجرحى منهم ، السيد كاظم الياسري اخ السيد جواد السيد حمزة الياسري ، الذي استشهد نتيجة اصابته بشظية من قذيفة طائرة [١١١] وكذلك السيد سلمان السيد كعود الصافي الذي استشهد نتيجة قصف الطائرات وهو في طريقه للجهاد واستشهد ايضاً الشيخ بريس مطرود الركابي ومجبل مطشر الركابي وجرح عباس بندر الركابي وعبد الله الفليح شيخ عشائر الصالح ، وهؤلاء جميعاً من عشائر الجابر من بني ركاب [١١٢] وجرح ايضاً كاظم الحاج علي موسى ، الا أن النتيجة كانت لصالح القوات البريطانيين وهزيمة القوات العثمانية والعشائر المتحالفة معها في ١٤ نيسان العام ١٩١٥[١١٣] ، وكان ذلك سبباً في أنتحار القائد العثماني سليمان عسكري بك عند أطلاعه على هذه النكبة وتكبيد قواته وقوات المجاهدين ، خسائر لا يمكن التقليل من شأنها وخيبة آمال معظم العشائر العراقية وانعدام ثقتها بقوة العثمانيين العسكرية . ومهما يكن فإن معركة الشعيبة ، تعد من أهم معارك الحرب العالمية الأولى في العراق [١١٤] .وقد أعقب ذلك انسحاب المجاهدين والجيش العثماني نحو مدينة الناصرية، ثم بدء انسحاب المجاهدين والعلماء تدريجياً إلى مناطقهم الأصلية ثم انسحابهم نهائياً، بعد أن توقفت الأعمال الحربية في جبهات البصرة في ١٤ آب عام ١٩١٥[١١٥] .

وبذلك أنتهى الطور الأول لحركة الجهاد في العراق الذي اتسمت خلاله بالمقاومة المسلحة شبه النظامية وكذلك بالتعاون الوثيق بين المسلمين الشيعة بشكل أساسي والعثمانيين [١١٦] .ويبدو ان سوء ادارة الاتراك لمعركة الشعيبة وضعف ثقتهم بأنفسهم وعدم تموينهم لجيوش المجاهدين بالسلاح والعتاد والغذاء ، اذ اعتمدت العشائر على امكاناتها الذاتية من اسلحة قديمة ذات عيارات مختلفة لا قيمة حربية لها وغير متناسقة ولا موحدة، فهذا يحمل بندقية انكليزية وذاك " موزر ***Mauser*** تركية " وهذا بيده سيف، مكن

الجيش البريطاني الذي يتفوق عليهم في الخبرة والتنظيم والمدد والامتداد من الانتصار في نهاية المعركة، بالاضافة إلى ان المتطوعين من أبناء العشائر غير النظاميين الذين شكلوا على عجل ، لم تكن لهم خبرة في القتال الحديث فكانوا عاملاً تسبب في اضطراب الجبهة العثمانية وكشفوها امام العدو بسبب اختلاطهم بالقوات النظامية في المعركة، الامر الذي أدى إلى صعوبة السيطرة عليهم وتوجيههم الوجهة المطلوبة لأنعدام الضبط والتنظيم والتدريب العسكري في صفوفهم، فضلاً عن عدم وجود قيادة عسكرية عراقية موحدة ذات اهداف محددة ، مما ادى إلى تكبدهم خسائر فادحة، إذ قدرت خسائر الأتراك والمجاهدين بستة الاف اصابة بين قتيل وجريح [١١٧] . ومن الناحية العسكرية، لم تكن نتائج حركة الجهاد في معركة الشعيبة ذات أهمية تذكر، بل على العكس أنها حطمت كل الآمال المعقودة على حملت جهاد كبيرة ومنظمة، الا ان اهميتها السياسية تستحق النظر من جهة آخرى، فقد كشفت بشكل لا يقبل الشك ، عن قوة تأثير علماء الدين وقدرتهم على تحريك العشائر العراقية، ولا سيما في الفرات الاوسط والمنتفك، واظهر الجهاد ايضاً قوة العامل الديني المتجاوز للطائفية، وذلك بوحدة الشيعة مع الحكم السني المتمثل بالتراك دفاعاً عن البلاد ضد الغزاة الاجانب، كما ان تأثير مشاركتها المعنوي في نفوس البريطانيين كان من الامور الواضحة، إذ انه فجر الجسور المتبقية بين العثمانيين والعراقيين وجعل الانكليز ينظرون إلى سكان المدن المشاركة ، بعين الريبة والشك ويعيدون حساباتهم السياسية والعسكرية وفق الواقع ، الامر الذي سمم علائق العشائر العراقية مع الانكليز إلى حد كبير [١١٨] ، وإلى حد ما يمكن القول، أن بذرة ثورة العشرين، قد بذرت في حركة الجهاد عام ١٩١٥، ومع هذا فان اقل ما يقال عن هذا الحدث الكبير رغم فشله العسكري في معركة الشعيبة في أواسط شهر نيسان عام ١٩١٥، أنه كان مجرد بداية لعهد جديد من العلاقات المتوترة بين العراقيين والسلطة البريطانية، عهد تميز بالشك والحذر والتأهب لمجابهة كان موعدها في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠[١١٩] .

قلعة سكر تصبح قضاء تحت سيطرة الاحتلال البريطاني للعراق :

أصبح لواء المنتفك ، بعد ان استكملت القوات البريطانية احتلاله في أوائل آذار العام ١٩١٨ برمته يسمى منطقة ، إذ طبقت سلطات الاحتلال نظام الادارة المدنية**civiI commission** التي قسمت العراق إلى الوية **division** وهذه قسمت إلى مراكز **districts** ثم إلى مديريات ، وتبعاً لذلك النظام ، اصبح لواء المنتفك يتكون أربعة مراكز " أقضية " تحت ادارة دائرة الحاكم السياسي **poIiticaI office** وهي ، الناصرية [١٢٠] وتتبعها ناحية واحدة هي البطحاء وقضاء سوق الشيوخ وتتبعه خمس نواح هي الخميسية وبني خيكان والعكيكة والحمار والبو صالح والحسن وكرمة بني سعيد وقضاء الشطرة وضم ناحيتي السويج والدواية وقلعة سكر التي رفعت إلى درجة قضاء عند الاحتلال البريطاني في العام ١٩١٨[١٢١] تتبعها ناحية واحدة هي الكرادي "الرفاعي حالياً" وفك ارتباطها الاداري من قضاء الحي لترتبط بلواء المنتفك [١٢٢] .

وعلى هذا الأساس اصبحت جميع اقضية منطقة الناصرية ، تدار من قبل الضباط البريطانيين بصفة مساعدين للحكام السياسيين ، وهم الملازم اوركيل**OrigII** في مركز قضاء الناصرية والنقيب ديتجبرن**Ditchburn** في قضاء سوق الشيوخ والكابتن هيسوم **.HaisomCap** في قضاء الشطرة والكابتن باريت **Barrett** ومساعده عزت سركيس في قضاء قلعة سكر خلفاً للكابتن هيسوم ، وكان هؤلاء الضباط يخضعون لسلطة وأوامر الرائد ديكسون**Dixon** حاكم منطقة الناصرية السياسي [١٢٣] .

وفي تلك المدة تعاقب على مدينة قلعة سكر عدة من الضباط البريطانيين للعمل كحكام عسكريين للمدينة وهم على الوجه الاتي:

١-اللواء ميلليس [١٢٤] **MiIIis** وهو أول حاكم سياسي بريطاني يصل إلى مدينة قلعة سكر في ٣ آذار العام ١٩١٨ وعمل بصفة مساعد للحاكم السياسي فيها ولغاية ٢٧ تشرين الثاني من العام نفسه [١٢٥] .

٢- الكابتن هيسوم**.HaisomCap** عين في ٢٧ تشرين الثاني العام ١٩١٨ ولغاية ١٢ كانون الاول من العام نفسه ، أي لمدة خمسة عشر يوماً ، وفي عهده أصبحت قلعة سكر ، مقرا للحاكم السياسي البريطاني لمنطقة الغراف جميعاً ، واصبح هيسوم حاكماً للشطرة وقلعة سكر معاً بأسم حاكم الغراف [١٢٦] ، ويبدو ان أختيار قلعة سكر لتكون مقراً للحاكم العسكري البريطاني جاء نتيجة ، لطيب مناخها

وكثرة خيراتها وأهمية موقعها ودرجة تطور سكانها مدنياً ، ولان فيها نشاط وطني معادي للانكليز [١٢٧].

٣- الكابتن بارت**Cap. Parret** وعزت سركيس معاون الحاكم السياسي ، إذ وصل الاول إلى المدينة في ١٢ كانون الاول العام ١٩١٨ بينما وصل معاونه في ١ كانون الأول من العام نفسه [١٢٨] وبقي الاثنان في منصبهما حتى ٢٨ شباط العام ١٩٢٠ [١٢٩].

٤-الكابتن برترام توماس [١٣٠] **Bertram Tomas**وقد أضيفت إلى واجباته مهمة حكم قضاء قلعة سكر ، فضلاً عن كونه حاكماً للشطرة ، وكانت مدة حكمه خلال شهر شباط العام ١٩١٩ ولأيام معدودة تعذر معرفتها [١٣١] .

٥- الكابتن كروفورد**.CrowfordCap** مساعد الحاكم السياسي والكابتن هول **.HaIIF.w**مساعد القائد العسكري للفوج الثالث البريطاني المتواجد في قلعة سكر وموسى أفندي معاون الحاكم السياسي ، إذ وصل الاول في ٢٨ شباط العام ١٩٢٠ ، بينما وصل معاونه في ١٠ آذار من العام نفسه [١٣٢] وبقي الثلاثة في منصبهم حتى ١٢ آب من العام نفسه [١٣٣] ، إذ حررت المدينة نتيجة أحداث ثورة العشرين وكما سيرد لاحقاً .

قلعة سكر وثورة العشرين :

لم يكن الإعداد لثورة العشرين حدثاً طارئاً وإنَّما جاء عن تخطيطٍ مُسبقٍ مهَّدَت له أمورٌ وأحداثٌ كثيرة ،كانت بمثابة مُقدماتٍ لها، فبعد أن وجد القائمون بالحركة الوطنية ،انَّ مجرد الرغبة في شكل الحكومة الواجب إقامتها في العراق لم تكن كافية لتحقيقها بصورة سلمية هادئة ، إذ وجدوا امامهم عدواً شرساً مجهزاً بآلة دمار رهيبة لذلك عمدوا على تهيئة الظروف التي تساعدهم على المقاومة المسلحة، ومن أهم الوسائل التي لجأوا اليها، تقوية الصلة بينهم وبين علماء الدِّين وخصوصاً الامام الشِّيرازي رأس الحركة الوطنية المفكر في ذلك الحين والذي إنتقل من سامراء إلى كربلاء التي كانت وسطاً بين النجف الأشرف وبغداد . يبدو ان علماء الدين في النجف الأشرف [١٣٤] وزعماء ثورة العشرين في الفرات الأوسط خلال اعدادهم للثورة ، لم يغفلوا في جهادهم الوطني هذا أخوانهم من زعماء العشائر العراقية في مناطق المنتفك بسبب ما لمسوه من مشاعر وطنية في الرغبة في التطوع للجهاد ،إذ كان للرسائل [١٣٥] التي كان يبعثها هؤلاء العلماء والزعماء ومنهم السيد علوان الياسري [١٣٦] والسيد كاطع العوادي والسيد هادي آل الزوين [١٣٧] والشيخ عبد الواحد الحـــــاج سكر [١٣٨] وغيرهم ، إلى اخوانهم من زعماء ومشايخ المنتفك ، مثل عشائر [١٣٩]عبوده وخفاجه في الشطرة والشويلات في الرفاعي وآل حميد وبني ركاب في الرفاعي وقلعة سكر [١٤٠] ،لغرض حث وتشجيع هؤلاء المشايخ على المساهمة في الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، في محاولة من قادة الثورة توسيع نطاقها إلى اقصى ما يمكن الوصول اليه من مناطق العراق لتضييق الخناق على بريطانيا واجبارها على الاستجابة لمطاليب العراقيين ،أصابت حظا كبيرا من النجاح ، إذ اتت تلك الرسائل بثمارها في بعض المناطق ، فقد جاء في احدى الرسائل المؤرخة في العام ١٩٢٠والموجه إلى الشَّيخ مزعل آلحميده [١٤١] شيخ قبيلة بني ركاب العام في المنتفك ما نصُّه: " السلام عليكم والشوق الكثير اليكم لا يخفاكم لقد قابلنا مساعيكم العربية بكل ارتياح فنحن وكافة المشايخ نبارك على نجاحكم في اعمالكم وثباتكم في الدفاع عن قضيتكم وانا لنا الفخر كل الفخر بكم انتم الذين ثبتم فأثبتم انكم اكبر انصار الأستقلال ومن آلدا اعداء الانتداب فبشراكم بالفوز وبشرانا بجهادكم في كل مواقفكم . . . وفي هذه الاوقات الميمونة وفي الأخير نتمنى لكم مواصلة اعمالكم ومساعيكم بثبات ومن الله التوفيق والسلام ...

هادي الزوين سيد كاطع العوادي

سيد علوان الياسري عبد الواحد الحاج سكر

سيد نور الياسري" [١٤٢] .

وفي رسالة آخرى لا تختلف في مضمونها عن سابقتها ، بعثها زعماء الثورة إلى الشيخ

صكبان [١٤٣]علي الفضل شيخ عشيرة خفاجة العام في الشطرة ومما جاء فيها : " الافخم الشيخ صكبان العلي ... لا يخفاكم لقد قابلنا مساعيكم العربية بكل ارتياح فنحن وكل المشايخ نبارك لكم على نجاحكم في اعمالكم وثباتكم في الدفاع عن قضيتكم وانا لنا الفخر كل الفخر بكم انتم الذين ثبتم فأثبتم انكم من اكبر انصار الأستقلال ... التواقيع : هادي آل زوين ...سيد كاطع العوادي

سيد علوان الياسري ... عبد الواحد الحاج سكر ...

... سيد نور الياسري " [١٤٤] .

ويذكر السَّيد كاطع العوادي أنه:"كانت هذه الرسائل أكبر سند على مشروعية الثَّورة ووجوب الدفاع عنها" [١٤٥] ، ولعل هذه الرسائل، كانت من أحد الأسباب المهمة لأشعال فتيل الثَّورة في مناطق الفرات الاوسط ، ولعلها ساهمت إلى حد كبير ، باتجاه اطلاق الرصاصة الاولى للثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني في ٣٠ حزيران العام ١٩٢٠ [١٤٦] .وبهذا الصدد يذكر محمد رضا الشبيبي [١٤٧] ، انهم ــ أي البريطانيين ــ لما خرجوا من مدينة الناصرية ، كتبوا إلى زعماء القبائل في الغراف ما نصه: " اننا قادمون إلى الغراف فمن كان معنا فنعمت ، ومن لم يكن فليبد لنا صفحة جديدة ، فأجاب القوم : انا لا نصير مع الأنكليز ما دامت الراية الأسلامية ثابتة مع العثمانيين " [١٤٨] . وكانت العشائر العراقية في لواء المنتفك تتذكر دوماً ، سياسة التجويع التي مارستهـــــا الإدارة البريطانية اتجاههم ، عندما احكمت سيطرتها على تلك العشائر عند احتلالها مدينة الناصرية عام ١٩١٥ وفرضها حصاراً اقتصادياً قاسياً على أبناء عشيرة خفاجة حتى اصبحت حالتهم تنذر بالخطر ، حسب ما قاله أحد الحكام السياسيين البريطانيين نتيجة ذلك الحصار ، وذلك بسبب رفض شيخها العام علي الفضل [١٤٩] ، اعلان ولائه للإدارة البريطانية [١٥٠].ومن الواضح ان العراقيين كانوا يدفعون نسبة اعلى من الضرائب خلال العهد البريطاني منها في العهد التركي ، ويتضح ذلك بجلاء من الجدول المذكور وبعبارة أدق ، فإن الواردات قد تضاعفت ثلاث مرات في الفترة مابين العهدين ، ويبدو ان زيادة الضرائب في منطقة المنتفك كانت اكثر بروزاً من غيرها ، والجدول الآتي الذي يوضح مجموع ما جبي من ضرائب من السكان للمدة من العام ١٩١٥ ولغاية العام١٩٢٠ [١٥١] :

السنة / المنطقة	١٩١٥ / ١٩١٦	١٩١٦ / ١٩١٧	١٩١٧ / ١٩١٨	١٩١٨ / ١٩١٩	١٩١٩ / ١٩٢٠
قلعة سكر	-	-	-	-	٢٧٦٧٩٤
الشطرة	-	-	-	٣٨٦٢٤	٣٦١٩١٠
الناصرية	١١٣٤١	١٥٤٠٣	٧٠٣٩٥	١٠١١٢٧	٢٤٥٠٤٤
سوق الشيوخ	٢٢٢١٦	٣٧٠٦١	٦٤٧٤٤	٣٢٦٢١٩	٤١٧٧٩١
المجموع	٣٣٥٥٧	٥٢٤٦٤	١٣٥١٣٩	٤٦٥٩٧٠	١٣٠١٥٣٩

ولعل مدينة قلعة سكر كانت في طليعة مدن المنتفك التي استجابت لنداء قادة الثورة ، إذ ظهرت فيها بوادر التحفز للانقضاض على الانكليز [١٥٢]، وبهذا الخصوص يستحق ما ورد على لسان الضابط البريطاني برترام توماس **Bertram Tomas** صاحب الخبرة السياسية السابقة كمعاون للضابط السياسي في الشطرة ، بعض التفحص والتمعن ، فقد كتب توماس في مذكراته قائلاً ما نصه :" وكانت قلعة سكر تقع متاخمة لمنطقة الكوت انها لم تعرف سابقاً موطىء قدم للجنود الانكليز كالفرات ودجلة ، انها كانت مشهورة بتمردها وعصيانها لأن فيها ظلاً للأتراك كان منذ سنوات ، ان لم يكونوا في الحقيقة قد سيطروا عليها بتاتاً ..." [١٥٣] .ويبدو ان الضابط البريطاني ، كان يغمز إلى الوجود العثماني في

العراق ومدى تأثيرات هذا الوجود من الناحية الدينية على مدن العراق ومنها مدينة قلعة سكر على اعتبار ان الدولة العثمانية دولة اسلامية والوقوف إلى جانبها هو واجب ديني تحتمه سنن الشرعية الاسلامية .

وفي الاتجاه نفسه ، فأن أحد الاسباب التي جعلت القيادة العسكرية البريطانية في الناصرية ، تتخذ من مدينة قلعة سكر مقراً للحاكم السياسي البريطاني لمنطقة الغراف جميعاً ، هو : " لأن فيها نشاط معادي للانكليز " [١٥٤] . ويبدو ان معظم القادة البريطانيين في المراحل الاولى من الحرب ، قد أدركوا طبيعة المجتمع العراقي وأهمية شيوخ عشائره في استتباب الأمن وتوطيد دعائم الأستقرار العسكري والسياسي البريطاني ، فقد وصف أحد الضباط البريطانيين السياسة البريطانية بقوله : " كانت حاجتنا الكبرى في بلاد عشائرية إلى حد كبير من السكينة ... وكان اعتقادنا إن خير من يحقق هذا الشرط هو حكم مقنع يتولاه الرؤساء الطبيعيون الذين اخرجتهم تربة وطنهم ، ألا وهم شيوخ العشائر " [١٥٥] . لذا سعت الإدارة البريطانية في لواء المنتفك ، بالتقرب من بعض شيوخ العشائر في اللواء ، وذلك بتوزيع الهدايا والاموال عليهم وتخصيص رواتب شهرية لهم وتعين عدداً منهم بوظائف إدارية مختلفة [١٥٦] ، لا على أساس الكفاءة أو المؤهلات الإدارية ، وانما على أساس نفوذهم المؤثر بحكم انتمائاتهم القبلية أولاً ،ولضمان ولائهم ومنع اشتراك أبنائهم في الثورة ضدها ثانياً [١٥٧] ، أخذت الأحداث تسير بسرعة غير متوقعة ، إذ لعب علماء الدين أثراً مهما في توجيه أبناء العشائر وحثهم على مقاومة الاحتلال ، فقد حمل الشيخ حسن الدخيل، رسائل المجتهد كاظم اليزدي إلى عشائر المنتفك ، وقد أدركت الإدارة البريطانية ، مدى تأثير هذه الرسائل في نفسية أبناء العشائر ومقاومة الاحتلال ، فأصدرت أمراً بإلقاء القبض على الشيخ حسن في ٨ شباط ١٩١٧ [١٥٨] . وهكذا فقد بدأ الغليان الشعبي في قضاء قلعة سكر ، يطفو على السطح منذ يوم ١٥ تموز من عام الثورة [١٥٩] ثم تحول ذلك الغليان من مجرد خلجات تأثر في إذهان الناس إلى نوع من العمل المنظم الذي يساهم بتجسيد اهداف الثورة ، وقد لمس تلك التطلعات الكابتن كراوفورد [١٦٠] **Capt .W.F.Crowford** الحاكم الانكليزي لمدينة قلعة سكر ، إذ اكد ذلك في تقرير كتبه إلى قيادته في الناصرية في ٢٧ تموز عام ١٩٢٠ قائلاً ما نصه: " ان عشائر قلعة سكر في حالة استعداد واضحة للاشتراك في الثورة ومن المرجح أن ذلك يحصل في غضون ثلاثة ايام فقط " [١٦١]، ثم التمس كراوفورد في تقريره من قيادته ، بأرسال طائرتين لأستعراض القوة وأرهاب العشائر [١٦٢] .

أحدثت هذه المعلومات قلقاً عميقا في نفوس القادة البريطانيين في الناصرية ، الامر الذي جعل الرائد ديتجبرن**Capt. Ditchburn** معاون الحاكم السياسي في الشطرة ، يتصل هاتفياً بالكابتن كراوفورد الذي ظهر على الهاتف متعكر المزاج ومرتبكاً ، إذ كرر طلبه السابق بالنجدة من القيادة ، بأرسال طائرتين إلى القلعة للقيام باستعراض جوي فوق البلدة بغية إرهاب الأهالي والعشائر المحيطة واشعارها بقوة بريطانيا القادرة على القضاء على أي محاولة تهدف إلى الثورة [١٦٣] . وقد أدرك البريطانيون ، إن بوادر اشتعال الثورة في قلعة سكر ، ربما سيْعجَل بأنفجار الموقف في عموم لواء المنتفك [١٦٤]، لذا استجابت قيادة بغداد إلى طلب الحاكم البريطاني وارسلت اليه طائرتين،الا ان النتائج جاءت عكسية تماما ، إذ سقطت إحدى الطائرتين وارتطمت بالأرض على مقربة من قلعة سكر [١٦٥] قبل إتمام مهمتها ، وصار الاهالي يستهينون بالقوات البريطانية وعدوا سقوط الطائرة معجزة ربانية [١٦٦] وتعزيزاً لما يجول في افكار المجاهدين حينذاك من ان :" يد الله مع المسلمين ضد الانكليز الكفار " [١٦٧] ، وكان ذلك ايضاً ، مدعاة لحالة من الحماس الوطني المتوثب الذيلم تشهد مثله المنطقة منذ ايام حرب الجهاد في الشعيبة عام ١٩١٤-١٩١٥ [١٦٨]، مما أثر سلبا على الإنكليز وزاد من عزيمة الثوار في قلعة سكر للتحرك على الانكليز ، والتي تعد المدينة الأولى في لواء المنتفك التي ظهرت فيها الثورة [١٦٩] .كان قلق القيادة العسكرية البريطانية في الناصرية ، يتمثل بكيفية حماية الضباط العسكريين والموظفين البريطانيين في قلعة سكر وتأمين وسائل الدفاع عن أنفسهم ، إذ كثرت حوادث القتل واصبح الجنود والضباط البريطانيون لا يستطيعون التحرك دون سلاح [١٧٠] ، لذلك أرسلت السلطات المحتلة صناديق السلاح والعتاد والقنابل بشكل سري وفي صناديق الأمتعة وحقائب السفر إلى الكابتن كراوفورد والكابتن هول **HaII** مساعد القائد العسكري للفوج الثالث في منطقة قلعة سكر والفرات الأوسط ، وحرصوا على

عدم ظهور أي تلميح لعمل غير أعتيادي لدى سكان المدن والعشائر خوفاً من اكتشاف أمر الأسلحة التي ستؤدي إلى تعقيد الأمور في المناطق المحاذية للقلعة ، وقد عهدت هذه المهمة إلى أمر القوات ليفي الفرات الثالثة ، الذي قام بإخفائها في صناديق المشروبات الروحية وقناني المياه ، إذ تم إيصالها إليهم [١٧١] . ويبدو أن الغرض من أرسال هذه الأسلحة والأعتدة ، كان في سبيل ادخال الطمأنينة في نفوس العسكريين والموظفين البريطانيين في قلعة سكر بأن قيادتهم لم تتركهم لمصير مجهول من ناحية ، ورفع معنوياتهم والصمود بوجه الاخطار ولو مؤقتاً من ناحية اخرى حتى ينجلي الموقف وفي خضم هذه الأحداث وردت أخبار عن انسحاب قوات الأحتلال من الديوانية ، فتأججت الروح الوطنية في النفوس وأخذت عشائر قلعة سكر بتصعيد الموقف إذ تقيم العرضات " وتهوس " بسلاحها ، الامر الذي أدى إلى توتر الوضع في المدينة واصبح الموقف يكتنفه الغموض ، إذ قطع الثوار خط التلغراف أكثر من مرة لدرجة ان الوضع جعل الكابتن ديتجبرن ، يتخوف على مصير حاكم القلعة قائلاً:" أنه لا يعرف بالضبط كم يدوم الوقت للكابتن كراوفورد ــ الذي كان محاصرا في داره الواقعة على نهر الغراف في القلعة [١٧٢] ــ للحفاظ على نفسه " [١٧٣] .

ولعل تخوف الضباط البريطانيين على حاكمهم في القلعة كان في محله ، ففي السادس من آب عام ١٩٢٠ ، بدأت اعمال العنف تنشط في المدينة ، إذ قام ستة من رجال مدينة قلعة سكر بنصب كمين لقتل حاكمها الانكليزي الكابتن كراوفورد ، الذي عرف بنشاطه في البلدة وما حولها ، عند عودته من مأدبة الغداء التي اقيمت له في مضيف أحد شيوخ عشيرة آلمشلب واطلقوا عليه النار من بنادق تسمى " أملولة" [١٧٤] لكنه تمكن من الهرب ونجا من الموت بأعجوبة ولم يصب من حاشيته المرافقة له سوى حصانين [١٧٥] ، وعلى الرغم من اننا لم نتوصل إلى اسماء القائمين بهذه العملية والتي تبدو انها كانت منظمة ومبيتة ، الا ان تقرير سري بريطاني ينسب تلك الحادثة إلى عشيرة المشلب ايضاً [١٧٦] وبتحريض من الشيخ ناصر الطربوش [١٧٧] الذي تبنى عملية الاغتيال [١٧٨]

ومن الجدير بالذكر ، انه وقبل أسبوعين من هذا الحادث ، قام الثوار بقطع خطوط الهاتف الممتدة بين الشطرة وقلعة سكر [١٧٩] ، الامر الذي يؤكد على وجود خلية ثورية تخطط بالخفاء لطرد الانكليز من المدينة وامام هذا الوضع الحرج للضباط والموظفين البريطانيين في قلعة سكر ولغرض القيام بعمل ما يهدىء الاوضاع المضطربة في قلعة سكر ، قام الكابتن ديتجبرن مساعد الحاكم السياسي في الشطرة ، بزيارة بالطائرة للمدينة وما حولها يومي ٩ و١٠ آب عام ١٩٢٠ ، في محاولة منه حسب زعمه: " إصلاح الوضع العشائري وإنهاء ثورته التي أشرفت على تحرير المدينة من الوجود البريطاني" [١٨٠] . ويبدو ان الضابط البريطاني وعلى الرغم من انه التقى الشيخ الشاب موحان الخير الله [١٨١] وإنذره ووضعه تحت الكفالة المالية لضمان هدوء العشائر مستقبلاً [١٨٢] ، الا انه وكما يبدو قد لمس عن قرب حقيقة وخطورة الاوضاع القائمة في قلعة سكر والتي تكاد تنفجر بآي لحظة ، لذلك طلب النجدة والمساعدة الفورية من الناصرية والتي بأثرها اتصلت ببغداد ولكن الوضع كان سيئا في عموم العراق الامر الذي حال دون ذلك [١٨٣] ، ومع ذلك فقد طالب مرة اخرى بارسال المساعدة لأجلاء حاكم القلعة قبل فوات الاوان [١٨٤] . ويبدو ان القيادة العسكرية البريطانية في الناصرية ، كانت تنظر بعين القلق والخوف إلى ما يجري في قلعة سكر وما تؤول اليه الامور فيها والمصير المجهول الذي ينتظر جنودها وضباطها وموظفيها إذا انتفضت المدينة ، إضافة إلى موقفهم المتردي في الفرات الأوسط ، لذلك أبرقت تلك القيادة إلى القيادة العسكرية البريطانية في بغداد البرقية التالية التي هي اقرب إلى التحذير من كونها طلب للمساعدة ، إذ كتبت القيادة ما نصه :" إذا عجزتم عن إرسال طائرات إلى قلعة سكر فإننا مضطرون لإخلائها ، وإذا سقطت قلعة سكر بأيدي الثوار فإننا مضطرون إلى إخلاء الشطرة ايضا " [١٨٥] ، الا ان القيادة العسكرية البريطانية في بغداد ، اعتذرت عن تلبية الطلب بحجة قلة الموجود لديها من الطائرات التي لا تتجاوز الخمس فقط وهم محتاجون اليها في اماكن اخرى [١٨٦] . ولما أخذت الأوضاع في قلعة سكر تسير من سيء إلى أسوأ ، اضطر الانكليز بالرغم من وضعهم المتردي إلى الرضوخ للأمر الواقع ، إذ وفروا صباح يوم ١٢ آب العام ١٩٢٠ طائرة استطلاع لتقلع فوراً إلى قلعة سكر في محاولة لمعالجة الموقف وادخال الرهبة والتخويف في قلوب الناس من جهة ، وأجلاء الحاكم المحاصر في داره في القلعة

من جهة اخرى ، وبنفس اليوم وصلت الطائرة إلى القلعة مع أمر حازم من المندوب المدني يقضي بأن: " يستفيد الكابتن كراوفورد من الطائرة لإخلاء نفسه إلى الناصرية " [١٨٧] التي وصلها صباح يوم ١٣ آب من العام المذكور [١٨٨].وبعد مغادرة كراوفورد القلعة ، هجم أهالي القلعة الثائرون على سراي ومقر الحاكم الانكليزي وتم إحراق بيت الحاكم البريطاني ودار الحكومة [١٨٩] وأستحوذ الثوار على أسلحة واعتدت البريطانيين والشبانة [١٩٠] وقطعوا أسلاك التلغراف وأنزلوا العلم البريطاني من فوق السراي ، وكان إنزال العلم البريطاني من على سراي قلعة سكر ، يعني تحرير المدينة من النفوذ البريطاني واشتعال فتيل الثورة في لواء المنتفك [١٩١] ، وقد أنزله أشراف البلدة آنذاك وهم: " الشيخ حسن الدخيل [١٩٢] معتمد المرجعية الدينية في المدينة والسيد جواد الياسر ي، ابن عم السيد علوان الياسري ،وابناؤه السيد علي الياسري والسيد جليل الياسري والسيد إدريس الياسري والسيد حسين السيد سلمان الياسري والحاج عبد العباس مهدي الغريباوي [١٩٣] واولاده الحاج علي ومزهر الغريباوي ، كما ساهم في هذا الحدث ،طربوش حسين العميري [١٩٤] والشيخ غدير الصبح الروضان وعدداً من ابناء عشيرته [١٩٥] ، علما بأن قسماً من هذه المجموعة وبتوجيه من الشيخ حسن الدخيل ،والذي كان له مساهمة فعلية في هذه الحركة ، إستولى قبل هذا الموعد على عدد من البنادق والاعتدة الإنكليزية دون أن يقتل أحداً من الحراس [١٩٦] . وعلى الرغم من مساهمة أغلب ابناء قلعة سكر وعشائرها في تحرير مدينتهم من الوجود البريطاني ، الا ان موقف واندفاع السادة آل ياسر المتواجدين في قلعة سكر كان واضحاً للعيان ، لذلك يستحق هذا الموقف منا تسليط اضاءة عليه لمعرفة دوافعه، إذ يتراءى لنا ، وعلى الرغم من أننا لا نملك الوثائق الكافية التي تبين سبب هذا الموقف من الحماس والأندفاع والمساهمة الفعالة في هذه الثورة والتي جاءت متزامنة مع انفجار الثورة في مناطق الفرات الاوسط ، الا اننا نرجح سبب هذا الحماس لجملة من الأمور التي تدفع هؤلاء السادة للمشاركة بصورة عفوية في احداثها منها :

١-ان نسبهم العلوي اعطاهم مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس وهذه المكانة تفرض عليهم ان يكونوا بمقدمة الصفوف في المدينة عند المحن ليكونوا كما تعتقد الناس بهم أولياء صالحين لأن انزواءهم يعطي صورة سلبية عنهم .

٢- التصاقهم بممثل المرجعية الدينية في قلعة سكر الشيخ حسن الدخيل ، يدفعهم إلى المشاركة تأكيدا ان التزامهم لممثل المرجعية ليس صداقة عابرة وانما هو ايمان والتزام باوامرها .

٣- علاقة النسب القوية التي تربطهم بالسيد علوان الياسري بالاضافة إلى الايمان بالجهاد تفرض عليهم ان يكون موقفهم انعكاسا صادقا لموقف ابناء عمومتهم وعميدهم السيد علوان الياسري الذي تزعم الثورة في منطقة الفرات الاوسط ، فضلا عن ذلك ، فأننا لا نستبعد من أنهم تلقوا رسائل خطية من السيد علوان الياسري ، تحثهم على المساهمة في تلك الثورة كبقية زعماء ومشايخ عشائر المنتفك وهذا ما نرجحه .

وفي ذلك اليوم " ١٢ آب عام ١٩٢٠ " ، تكون مدينة قلعة سكر أول مدينة في لواء المنتفك تخلى وتتحرر من الاحتلال البريطاني [١٩٧]، وقد كتب الحاكم البريطاني السر أر نولد ويلسون [١٩٨] عن هذا الحدث المهم ما نصه:" أن لمجرى الاحداث تأثيراً سلبياً على هور الحمار والفرات الاسفل " [١٩٩] .

تحرير قلعة سكر وتأثيره على مدن المنتفك الأخرى:

نتيجة لتحرير مدينة قلعة سكر من البريطانيين في ١٢ آب العام ١٩٢٠ ، امتدت الثورة بعد ذلك إلى مدن المنتفك الآخرى، ويبدو ان تلك المدن وعشائرها اخذها الاندفاع والحماس المفعم بالنخوة العشائرية والروح الدينية والوطنية ، لغرض الانقضاض على جنود الاحتلال الانكليزي في مدنهم بغية تحريرها منهم ، ففي مدينة الشطرة القريبة من القلعة، ورد في تقرير سري بريطاني ما نصه: "كانت نتيجة اخلاء قلعة سكر ان اصبح الموقف صعباً وحرجاً في الشطرة وبعد ساعات قليلة وصلت معلومات تفيد بان حشود عشائرية تتراوح اعدادها بين الفين إلى خمسة آلاف شخص مع راياتهم كانت تتقدم نحو المعسكر البريطاني وعلى اية حال يمكن القول بأن الثاني عشر من آب ١٩٢٠ قد يكون اسوء ايام الاضطرابات " [٢٠٠] ، طبعاً بالنسبة للانكليز.

أجتماع المصيفي في ١٧ آب ١٩٢٠ :

عند تحرير مدينة قلعة سكر وخروج الانكليز وأعوانهم منها ، تصاعد الحماس لدى البعض من زعماء وشيوخ العشائر في المحيطة بمدينة قلعة سكر وبعض مشايخ المنتفك ، فعقدوا اجتماعاً عاماً في ١٧ آب عام ١٩٢٠ في جوار قلعة سكر في موضع يسمى المصيفي [٢٠١] جنوب مدينة الكرادي [٢٠٢] بمسافة ٩ اميال تقريباً ، أبرموا فيه ميثاق شرف سمي بـ " ميثاق المصيفي " الذي نص [٢٠٣] ، على خمسة بنود ليكون لهم دليل عمل عند إعلان الثورة [٢٠٤] ، وقد تضمنت تلك البنود ما يلي:

١-المطالبة باستقلال العراق استقلالا تاماً ناجزاً ، وانتخاب الأمير عبد الله [٢٠٥] بن الشريف حسين ملكاً عليه .

٢- المحافظة على المؤسسات الحكومية مثل المراكز الصحية والجسور وغيرها والانتفاع منها عند الحاجة .

٣- إتباع ما يأمر به العلماء المجتهدون .

٤- أن تتعهد كل قبيلة بالمحافظة على الطريق الذي يمر بأرضها وأن تضمن حماية أرواح المسافرين وأموالهم .

٥- تأليف هيئة محلية في كل مدينة يحررها الثوار ، تكون مهمتها المحافظة على الأمن والسهر على أرواح المواطنين [٢٠٦] .

وعلى الرغم من ان الشيوخ الحاضرين للمؤتمر لم يضعوا في حساباتهم ، أي خطة عمل بشأن وجود الحكام السياسيين في المنطقة ووجود القوات البريطانية المرابطة في الناصرية ، إلا ان تلك البنود تدلل بوضوح على النضوج الفكري والوعي السياسي والروح الوطنية للشخصيات التي حضرت المؤتمر ،إذا ما قورنت في ذلك الوقت المبكر من حياة البلاد التي يسودها الفقر والجهل والمرض وحجم القوات البريطانية المحتلة .

وقد حضر هذا الأجتماع كل من : الشيخ مزعل الحميدة شيخ قبيلة بني ركاب العام والشيخ إبراهيم اليوسف [٢٠٧] شيخ عشيرة آل يوسف من بني ركاب والشيخ محمد الشلال [٢٠٨] شيخ عشيرة البو عطا الله أحدى عشائر آلخنفر من بني ركاب والشيخ خيون العبيد شيخ عشائر العبودة في الشطرة والشيخ موحان الخير الله شيخ عشائر الشويلات في قلعة سكر والكرادي والشيخ صكبان العلي [٢٠٩] شيخ عشائر خفاجة في الشطرة والسيد عبد المهدي المنتفكي [٢١٠] والسيد دخيل طاهر الفياض [٢١١] والشيخ سلمان الشريف شيخ عشائر بني زيد ، أضف إلى ذلك رؤساء عشائر بني سعيد وقراغول والذين تعذر معرفة أسماءهم لعدم ذكرها في المصادر [٢١٢] .

ويبدو ان المؤتمرين أختاروا مضارب بني ركاب بالقرب من جدول المصيفي لعقد المؤتمر ، كونه يقع وسط عشائر الغراف الممتدة من قلعة سكر ، التي خرجت منها الشرارة الأولى للثورة في المنتفك ، حتى الشطرة ، ولكونه الطريق العام الذي فتحه البريطانيين والذي يمر بالمصيفي ، مما يساعد على وصول الوفود إليه ، فضلاً عن الثقة العالية التي كان يوليها رؤساء عشائر قلعة سكر خصوصاً والغراف عموماً للشيخ إبراهيم اليوسف ليكون مضيِّفاً للمؤتمر في منطقته [٢١٣] .

وبعد مؤتمر المصيفي ، وصلت الحشود العشائرية المؤلفة من خمسة آلاف ثائر تقريباً إلى الخضر تحمل الرايات وكانت مستعدة للقتال [٢١٤] ، إذ تمكنت هذه الحشود من تطويق المعسكر البريطاني المكون من ٧٥ رجلاً من الليفي وامطرته بنيران كثيفة من جهاته الأربعة ، إلا ان تدخل إحدى عربات القطار المحملة بمدفعين وثلاث عشر مدفع هاون ، حال دون احتلاله [٢١٥] . وفي ٢٠ آب العام ١٩٢٠ جاء في تقرير سري بريطاني ما نصه: " بعد التخلي عن قلعة سكر قام الاغلبية من شيوخ قلعة سكروالقضاء " الشطرة " وابناء العشائر التابعة لهم والذين كان يصل عددهم إلى حوالي ٢٠٠ شخص، بدخول الشطرة تدريجياً بحجة مفاوضة الكابتن توماس وكان هدفهم قتله والسيطرة على الشطرة ولكن هروب توماس انقذه من موت محتم " [٢١٦] .

ويبدو ان المتظاهرين في الشطرة ، ليس هدفهم قتل حاكمها الكابتن برترام توماس فقط والذي نجى من الموت بمساعدة الشيخ خيون نفسه ، وانما السيطرة على المدينة كلها [٢١٧] . وعلى الرغم من اندفاع العشائر وموقفها البطولي هذا وحاجتها إلى قيادة الشيخ خيون العبيد ، إلا ان عدم مشاركته

وتنصله من مقررات مؤتمر المصيفي ، وذلك بمنعه عشائر قلعة سكر والعشائر المتحالفة معها من الذهاب عن طريق الشطرة للمشاركة في تحرير مدينة الناصرية ، فضلاً عن تأييده المغلف بالغموض والذي عبر عنه حينما قال: " سأنظم إليهم عندما تسقط الناصرية " [٢١٨] ، أحبط الهجوم على مدينة الناصرية وتحريرها [٢١٩].وفي ٢٥ آب من عام الثورة ، وصلت الأمور إلى ذروتها وتوترت الأوضاع في مدينة الشطرة ، وقد وجد توماس الذي أصبح حبيساً في بيته ، وأصبح إطلاق النار في المدينة أمراً شائعاً وأخذ المتجمهرون بالتجمع حول بيته وهم يرددون الأهزوجة التالية : " يلحاكم جمباز [٢٢٠] نريده " [٢٢١] .

وبالرغم من موقف الشيخ خيون العبيد السلبي والمتردد ، إلا أنه لم يمنع عشائر الشطرة من قيامها بأعمالها المسلحة ضد البريطانيين ، إذ قام الشيخ عباس الطعمة والشيخ كاظم الفرهود وهم من شيوخ خفاجة في الشطرة ، بقطع خطوط الاتصال بين الشطرة والناصرية ورافق ذلك هدم وتخريب القناطر الواقعة على طريق الناصرية لقطع خطوط التموين والاتصال وحرمان الانكليز منها [٢٢٢] .

وهكذا أستمر التوتر في الشطرة حتى صباح يوم ٢٧ آب ١٩٢٠ ، إذ وجد توماس أن البقاء في الشطرة أصبح أمراً متعذراً ، لذلك استعد للمغادرة وأعلم حاكم بغداد بالأمر والذي أبلغه بأن طائرتين ستصلان يوم ٢٧ آب لنقله هو ومساعده هول **HaII** إلى الناصرية ، وفي نفس اليوم وصلت الطائرتان إلى الشطرة وكانت مهمتهما إخلاء الكابتن توماس ومساعده منها بأمر حازم من الحاكم الملكي العام في بغداد جاء فيه :"أرسلت إليكم طائرتان لتنقلكم إلى الناصرية ، عليه ينبغي لكم مغادرة الشطرة على الفور ، ومهما تغيرت الأحوال بعد إرسال هاتين الطائرتين ، لا يصح لكم قط البقاء ويعتبر هذا الكتاب كأمر نهائي لمغادرة الشطرة " [٢٢٣] . وقبل أن يغادر توماس الشطرة ، أرسل في طلب الشيخ خيون وأودعه حكم المدينة وأخبره بأن أهل الشطرة سيشكرون له موقفه فيما بعد ، لأنه أنقذ المدينة من أنتقام الجيش البريطاني الذي سيأتي قريباً [٢٢٤] ، بعدها غادر توماس ومساعده الشطرة يحيط بهما عددا من الشيوخ منهم الشيخ خيون للحماية ، بعدها توجهت عشائر الشطرة نحو سراي الحكومة ونهبتها وأنزلت العلم البريطاني [٢٢٥]. وعن موقف الشيخ خيون هذا ، عبر الضابط البريطاني هالدن قائد القوات البريطانية في العراق أبان ثورة العشرين قائلاً ما نصه: " إن الشيخ خيون لم يصغ لنداء الجهاد الذي أعلنه العلماء ضدنا واحتفظ بولائه لنا حتى الأخير " [٢٢٦] ، وقال أيضاً : " أن جهود الشيخ خيون المذكور كانت السبب الرئيس في عدم توسع الثورة وشمولها لمنطقة شط الحي" [٢٢٧] وبالرغم من موقف الشيخ خيون هذا ، فقد وصل لهيب الثورة إلى مدينة الناصرية وسوق الشيوخ [٢٢٨] ، وفي الأخيرة أعلن الثوار عن رغبتهم في طرد المحتلين منها ، وقد تحقق ذلك فعلاً في الحادي والثلاثين من آب العام ١٩٢٠ ، عندما تسلموا إدارتها وأنزلوا العلم البريطاني من سراي الحكومة ورفعوا بدله علم الثورة العربية [٢٢٩] . ونتيجة لهذه الاحداث المتسارعة ، تعاظمت قوة الثوار في منطقة الخميسية جنوب المنتفك ، واصبح وجودهم خطراً على وسائل وطرق المواصلات ، إذ قاموا بقطع خطوط الاتصال والتموين ، وقد ردت السلطات البريطانية ، بالقصف الجوي طيلة شهر أيلول من عام الثورة ونفت بعض شيوخ العشائر خارج العراق [٢٣٠]. وأخيراً أجتمعت العشائر فيما بعد ، لتشكل جبهة من حدود مدينة الناصرية الشرقية لتشدد الحصار على الحامية البريطانية المجتمعة فيها من أطراف المدينة، إذ استمرت معها في المناوشات طوال أيام الثورة على الرغم من شدة القصف الجوي الذي كانت تتعرض إليه [٢٣١] والتعزيزات العسكرية التي كانت ترسلها قوات الأحتلال في الناصرية إلى مناطق القتال ، إذ وصل لواء بريطاني يتألف من ٦٠٠ شخص والذي كانت قد أوعزت القوات المحتلة بحركته يوم ١١ آب العام ١٩٢٠ [٢٣٢] .

ومع آخر هجوم ليلي على الناصرية شنه الثوار والذي ردت عليه القوة الجوية البريطانية رداً مضاعفاً ، تفرق الثوار في مناطق المنتفك ، ومع هذا التفرق بدأت حدة الثورة تهدأ في مناطق اللواء الأخرى بسبب عدم التكافؤ بين الجانبين ، عندها أبلغ الحاكم السياسي في الناصرية قيادته في بغداد في ١٧ تشرين الثاني العام ١٩٢٠ ، بتحسن الموقف في المنتفك وتوافد عدد من الشيوخ على المدينة والتي صاحبها رفع جميع الخيم التي كانت منصوبة في الشطرة وعودة الثوار إلى قراهم ، كما شكل عدد من

زعماء المنتفك وفداً إلى الناصرية للتفاوض مع الحكومة [٢٣٣] . وبعد انتهاء حركات العشائر في جبهة الفرات الأوسط وقبولها بالشروط البريطانية [٢٣٤] ، انتهت الثورة في عموم لواء المنتفك ، وقد أسرع العديد من شيوخ عشائر اللواء ، بإعلان استسلامهم إلى الحكومة البريطانية [٢٣٥] ، فقد ورد في بلاغ بريطاني صادر من ديوان المعتمد السامي في بغداد بخصوص الحالة في المنتفك ما نصه : " تحسن الحال تحسناً مستمراً "[٢٣٦]، وعن عشائر قلعة سكر التي ذهبت إلى القتال في الشطرة يذكر البلاغ المذكور ما نصه : " ان الرسل الذين ارسلوا إلى حضرة شيخ الشريعة في النجف ، عادوا إلى الشطرة في ٣ تشرين الثاني ، وعند ذلك تفرقت جموع قلعة سكر التي كانت محتشدة في الشطرة ، وقد رفعت جميع خيم قلعة سكر التي كانت ضاربة في الشطرة وعاد رجال القبائل إلى قراهم ... " [٢٣٧].وهنا يمكن القول ، ان لواء المنتفك بمدنه وعشائره ومنها قلعة سكر ، قد أدت أثرها في الثورة العراقية الكبرى التي كانت نضالا شعبياً عظيماً شاركت فيه معظم شرائح المجتمع العراقي والتي عدت المساهمة فيها واجباً مقدساً لنيل الأستقلال وامتثالاً لنداء المرجعية في الدفاع عن الشريعة الاسلامية ورداً مباشراً على حكم وسياسة بريطانيا التعسفية في العراق

الخاتمـــــة

كان العام ١٨٧٣ يمثل بداية عهد جديد في الوجود العثماني في قلعة سكر ، حينما أضحت هذه المدينة ناحية تابعة إلى قضاء الحي التابع للواء المنتفك الذي كان يتبع إدارياً في بادئ الأمر لولاية بغداد ، ثم الحق بولاية البصرة ابتداء من العام ١٨٨٤ حتى نهاية الحكم العثماني على إثر سقوط بغداد في الحادي عشر من آذار العام ١٩١٧، وهكذا اصبحت ناحية قلعة سكر جزء مهما من التاريخ المحلي للواء المنتفك واتخذت تسميتها من ناشئها الشيخ سكر بن يعقوب المشلب .

انطوت تلك المرحلة لمدينة قلعة سكر ، على تحولات إدارية واقتصادية واجتماعية وسياسية بدرجات متفاوتة اقتربت من تحولات نوعية لم تقض على جذور الماضي وموروثه نهائيا ، وتفاوت حراكها بين عوامل داخلية وخارجية في سياق عراقي لم يخل من خصائص محلية بدرجة أو أخرى .

اسهمت المنطقة التي شهدت ولادة مدينة قلعة سكر ، بما اوتيت من خصائص طبيعية ملائمة للزراعة والتجارة ، في استقرار اعداد كبيرة من السكان من مختلف مناطق العراق ، فمنهم من انتقل من حالة البداوة والترحال والرعي إلى الزراعة والتجارة والتحضر .

وكان انتشار ظاهرة الاستيطان والنمو التجاري بالرغم من بطئه في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، مؤشراً على تغير العلاقات بين البادية والمدينة ، الأمر الذي ساعد على انشاء عدة مدن وتطور مدن اخرى وتوسعها ومن بينها قلعة سكر .

حاول البحث أن يثبت ، الأثر الواضح لعلماء الدين والدعاة والوعاظ ، في تحريك مشاعر وعواطف الناس في التصدي للاحتلال البريطاني في وقت لم يدرك العثمانيون حجم هذا الواقع .

ظلت قلعة سكر خلال مراحل البحث بالرغم من حماسها الديني والوطني ، متأخرة حضاريا ، يميل سكانها إلى الزراعة والتجارة ومزاولة الحرف المنزلية ، كما يلاحظ طغيان الصبغة العشائرية على سكان المدينة .

حاول البحث تبيان ، موقف اهالي قلعة سكر والعشائر المحيطة بها بالاستجابة لنداء الجهاد ووقوفهم المتميز إلى جانب الدولة العثمانية في معركة الشعيبة عام ١٩١٥ ، على الرغم من عهود الظلم والجور والتخلف العثمانية التي مرت على مدن العراق ومنها قلعة سكر واهلها وعشائرها ، ومع ذلك فأن موقف اهل المدينة والعشائر المحيطة بها في هذه المعركة ضد البريطانيين يثير الاعجاب ، فقد اعطت المدينة شهداء وجرحى في هذا المعركة ، ومرد كل ذلك إلى تأثير العامل الديني والعشائري على الاهالي ، الذي اعطوه تسلسلاً متقدماً وفضلوه على كل اعتبار .

واستكمالاً لهذا الأثر ، فقد بين البحث موقف اهل المدينة وعشائرها من احداث ثورة العشرين وأثرهم الواضح والمتميز في تلك الثورة ، فهو بشهادة اغلب المصادر التي عالجت احداث الثورة ، بأن قلعة سكر كانت اول مدينة في لواء المنتفك تنتفض على الاحتلال البريطاني وبفعل ذلك ، امتد لهيب الثورة ليشمل معظم مدن اللواء ، إذ لا يمكن عزل قلعة سكر وعشائرها عن المؤثرات السياسية والاجتماعية التي يمر بها لواء المنتفك خصوصاً والعراق عموماً ، فكانت تتأثر

بمثل هذه الاحداث وتؤثر فيها .

وكل ما ورد في البحث من حقائق وتطورات ، يبرر دراسة التاريخ المحلي للمدن ، من أجل استكمال ابعاد تأريخ العراق في مختلف مراحله وحقبه بصورة أفضل.

الهوامش والمصادر :

(١) في ٢٥ تشرين الأول العام ١٩٢٠ شكلت أول وزارة عراقية برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني واستقالت في ٢٣ آب العام ١٩٢١ . للمزيد . ينظر: عبد الرزاق الحسني ، تأريخ الوزارات العراقية ، ط٧،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٤ .

(٢) تسمى الثورة بـ "ثورة العشرين" نسبة إلى السنة التي قامت خلالها "١٩٢٠". وقد سميت بـ "الثورة الكبرى" أيضاً ، نظراً لشمولها معظم مناطق العراق وتميزاً لها عن الثورات الموضعية والمحلية التي سبقتها .

(٣) ويمكن تتبع تلك المصالح من خلال نشاط إثنتين من الشركات التجارية البريطانية العاملة في الدولة العثمانية وفي منطقة الخليج العربي وهما: شركة الشرق الأدنى .The Levant Co وشركة الهند الشرقية الإنكليزية . East India Company . ينظر: صالح خضر محمد ، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١ – ١٩١٤ دراسة تأريخية ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص١٦ . والكتاب في الاصل رسالة ماجستير .

(٤) اكتسب العراق أهمية كُبرى في السياسة البريطانية منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي في حدود النصف الثاني من القرن السادس عشر، فلم تكن فكرة الأحتلال وليدة الحرب العالمية الأولى و إنما كانت لها جذور بعيدة تمتد إلى أواخر القرن التاسع عشر، بعد ان عدته مجالاً حيوياً لنشاطها الاستعماري، وكذلك فأن ما يتمتع به هذا البلد من موقع استراتيجي بالغ الأهمية وثروات زاخرة، جعلته مطمح أنظار مختلف القوى التي قيض لها أن تتوسع أو تصل إلى هذه المنطقة من العالم . عن الإطماع البريطانية في العراق . يُنظر: باسم حطاب حبش الطعمة، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٧٩٨-١٨٣١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ١٥ومابعدها ؛ فواز مطر نصيف الدليمي، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٩ وما بعدها ؛ زكي صالح، العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد مابين النهرين، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٤٩، ص ١٣٢؛فيليب وبلاردايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دارالكشاف، بيروت، ١٩٤٩، ص ٩ وما بعدها. والكتاب في الاصل أطروحة دكتوراه .

(٥) تهنيد العراق:كانت الادارة المدنية والجيش البريطاني في بداية أحتلال العراق، تابعين إلى القيادة البريطانية في وزارة الهند وهي الجهة المكلفة بإدارة العراق بعد الحرب، على أمل أن تصبح كل من بغداد والبصرة على الأقل تابعة لها، وهي سياسة تهدف إلى دمج بلاد مابين النهرين ضمن الشريحة " الهندية " من الإمبراطورية، وبما أن العديد من المسلمين الهنود كانوا يعتبرون ثورة الشريف حسين ضد الخليفة العثماني ارتداداً لا يغتفر، فقد اتبع الحكام البريطانيون في الهند سياسة تهدف إلى استرضاء الهنود المسلمين تبناها عدد من الساسة والضباط البريطانيين، ومنهم السير أرنولد ولسن نائب الحاكم المدني العام في العراق والذي أصبح فيما بعد رئيسا للحكام السياسيين خلفا للسير بيرسي كوكس الذي نقل إلى طهران وقد اجهضت ثورة العشرين هذا المشروع . ينظر: تفاصيل موسعة في . جاريثستانسفيلد ، العراق الشعب والتاريخ والسياسة ، أصدارات وترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،أبو ظبي،٢٠٠٩، ص٤٥.

(٦) أكد اللورد كيرزن:*G.N. CURZON* في مجلس اللوردات عام ١٩١١، على المصالح البريطانية في العراق حين قال:" ومن الخطأ ان يظن ان مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج فإنها ليست كذلك، كما أنها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة مابين البصرة وبغداد، وإنما تمتد الى بغداد نفسها " . ينظر: عبد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، بغداد، ١٩٣٥، ص١٥ومابعدها ؛ مجيد خاثري، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق، الموصل، ١٩٣٣، ص٥٢ وما بعدها .

(٧) وقد صاحب الحملة البريطانية على العراق، السير بيرسي كوكس رئيس الحكام السياسيين البريطانيين، الذي أصدر منشوراً في ذات اليوم، يلوم فيه الأتراك على دخولهم الحرب ضد انكلترا، كما حاول استمالة العرب المقيمين على شط العرب ويطمئنهم على أموالهم وأنفسهم، إن تخلوا عن تركيا واتخذوا موقفا ودياً من انكلترا . للمزيد. يُنظر: حميد احمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١، دراسة تاريخية وثائقية للأوضاع السياسية والعسكرية والإدارية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٤٩ . والكتاب في الأصل رسالة ماجستير .

(٨) اتفاقية سايكس بيكو:*The Sykes Picot Agreement* من أهم الاتفاقيات السرية التي عقدت في ١٦ أيار عام ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا ممثلة بمندوبي البلدين السير مارك سايكس*SYKeSMark* الانكليزي الذي كان نائباً في مجلس العموم البريطاني واللورد الفرنسي فرانسوا جورجبيكو*PicoGeorgeFrancois*إذ سميت الاتفاقية بأسميهما، وقد تألفت الاتفاقية من إثني عشر بنداً مع الملحقات والخرائط، وقد قسمت مناطق النفوذ بين البلدين في ولايات الدولة العثمانية المهزومة في الحرب، فأصبحت حصة فرنسا تضم سوريا ولبنان والجزء الشمالي من العراق أي ولاية الموصل وتشمل كل من السليمانية وكركوك وأربيل والموصل، أمّا بريطانيا فحصلت على ولايتي بغداد والبصرة ومنطقة شرق الأردن وفلسطين، ويأتي هذا التقسيم أستناداً الى نصوص الاتفاقية التي نصت على قيام الأمم المنتصرة عقب الحرب باقتسام غنائم الإمبراطورية العثمانية حليفة ألمانيا ، والمقصود بالمنتصرين بطبيعة الحال فرنسا وبريطانيا . ينظر: نصوص وبنود هذه الاتفاقية في، جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص٥٧٨ ؛ الدكتور زهدي عبد المجيد سمور، تاريخ العرب المعاصر، مصر، ٢٠١٠، ص ٥٣ .

(٩) الانتداب : Mandateهو نظام اقترحه اللواء الهولندي الاصل سمتسSmutts مندوب جنوب افريقيا قبل أنعقاد الصلح في باريس عام ١٩١٩ وقد وجد فيه المؤتمرون عن تقرير مصير المناطق والمستعمرات المنسلخة من الدول المغلوبة خير وسيلة لأرضاء الدول الاستعمارية واعطاء الامل للحصول على الاستقلال للأمم الضعيفة بنفس الوقت، وعبر عنه الرئيس الامريكي ولسن بأنه مسألة ادارية بحته تقوم بها الدولة

المنتدبة بالنيابة عن عصبة الامم لتقديم المشورة والدعم ، وانه لأبد ان يأتي اليوم الذي تغادر فيه الدولة المنتدبة أراضي الدولة المنتدب عليها ، عندما تصبح قادرة على ادارة نفسها بنفسها . وهو أستعمار في صيغة جديدة وقد دخل في صلب دستور عصبة الامم، إذ ورد في الفقرة الرابعة من مادته الثانية والعشرين .

(١٠) الكابتن مارشال: معاون الحاكم السياسي البريطاني للنجف ، عرف بعنجهيته وسياسته الغليظة أتجاه الاهالي مما أدى الى نفرة الناس منه . عن ثورة النجف. يُنظر: عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، ط٤، صيدا، بيروت، ١٩٨٢،ص١٢ .

(١١) هو الشيخ مُحَمَّد تقي بن محب علي بن مُحَمَّد علي كلشن الحائري الشيرازي: أحد كبار مراجع الدين، ولد في شيراز عام ١٨٤٠ ونشأ بها وهاجر إلى كربلاء وأقام في سامراء ثم عاد إلى كربلاء عام ١٨٥٥ ودرس فيها إذ تتلمذ على أيدي علمائها ثم انتقل إلى النجف الأشرف وأخذ عن علمائها، التحق بالمرجع مُحَمَّد حسين الشيرازي وتخرج على يديه حتى عد في الطليعة من طلبه، فأصبح أحد أتباعه فأوكل إليه التدريس في مدينة سامراء، وبعد وفاة مُحَمَّد حسين الشيرازي عام ١٨٩٥ اتجهت الأنظار إليه، ارتحل مرة أخرى إلى مدينة كربلاء عند أحداث ثورة العشرين وجاور الحائر الحسيني فدعي بالحائري وسرعان ما اتسعت مرجعيته بعد وفاة المرجع الإمام مُحَمَّد كاظم اليزدي في عام ١٩١٩، لعب الشيخ الشيرازي أثراً بارزاً في ثورة العشرين وكان واضحا في مناوئة البريطانيين اثناء احتلالهم العراق إذ اشعلت فتواه الثورة ضدهم ، إلا أن وفاته المفاجئة في ١٧ أب عام ١٩٢٠ وفي خضم أحداث الثورة، أثرت سلباً في تحديد مسارها وديمومتها ، له العديد من المؤلفات في الفقه والاصول فضلاً عن كونه شاعراً بالغتين العربية والفارسية . للمزيد عن حياته ونشاطه الديني والسياسي . يُنظر: علاء عباس نعمة، مُحَمَّد تقي الشيرازي الحائري وأثره في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٥، ص ص ١٠٢-١٠٤؛كامل سلمان الجبوري، مُحَمَّد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ سيرته ومواقفه وثائقية السياسية، منشورات ذوي القربى، إيران، ٢٠٠٦، ص ص ٨٨- ٨٩ .

(١٢) يُنظر:علاء عباس نعمة، المصدر نفسه، ص٨٨ .

(١٣) دامت الثورة حوالي خمسة أشهر تكبدت خلالها القوات البريطانية خسائر كبيرة في الارواح بلغت حوالي الفين وخمسمائة شخص بين قتيل وجريح وخسائر بالاموال ناهزت اربعين مليون باون استرليني ، بعدها أضطرت بريطانيا إلى تغيير سياستها في العراق. للمزيد . ينظر: الدكتور مصطفى عبد القادر النجار ، العراق المعاصر ، بحث ضم نكتاب العراق في التاريخ ، بغداد، ١٩٨٣ ،ص٦٦٦ .

(١٤) العزير :نسبة إلى مقام النبي عزرا الذي يقع على الجهة اليسرى لنهر دجلة مابين منطقة القرنة وميسان .

(١٥) ينظر : عبد العال وحيد عبود العيساوي ، لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩٤١- ١٩٢١ ، دراسة في أحواله الادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٨ ، ص١٣ . والكتاب في الاصل رسالة ماجستير .

(١٦) ورد في تقرير بريطاني عن تلك العشائر ما نصه : " تشتهر عشائر المنتفك بشدة المراس والبلاء في الحرب وكثرة السلاح وبأستنكافها عن العمل اليدوي في اعمال الحكومة البريطانية ، ما عدا عشائر قلعة سكر التي طلب الحاكم السياسي اليها تعبيد الطريق بين قلعة سكر وحدود ربيعة والبالغ طوله ٢٠ ميلاً ، فأتمت الطريق المذكور " بالفزعة " وعمل الفلاحون دون ان يقبلوا أي أجر كان ، مدعين بأنهم جنود وانهم قاموا بواجبهم وانهم ليسوا " كوولية " أي غجر " . نقلا عن . الدكتور عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٧٩ .

(١٧) ينظر : أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجامي ، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفك ١٧٦١- ١٨٦٩ دراسة في أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٠ ، ص٢٦ ؛ خورشيد أفندي ، سياحتنامه حدود ، تعريب ، نوري عبد البخيت السامرائي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٦٠ .

(١٨) ولد الشيخ سكر يعقوب يوسف كليب المشلب في انحاء مدينة السماوة في العام ١٨٣٧ وكانت امه بدوية ، عرف الشيخ سكر بكرمه وتواضعه وشجاعته وحبه لعمل الخير ، توفي في العام ١٨٩٠ .

(١٩) تنتمي عشيرة المشلب إلى قبيلة عنزة ، وقد كانوا في نجد ورحلوا عنها في حوالي نهاية القرن الثامن عشر ثم انقسموا بعد ذلك إلى فرعين ، فرع ذهب إلى الشام وهو الفرع الاكبر والآخر أستقر في مدينة السماوة على ضفاف نهر السوير أحد فرعي نهر الفرات قبل دخوله مدينة السماوة والفرع الآخر يدعى البربوتي ، إذ يلتقي الفرعان بعد ذلك بعد مدينة السماوة ، وكانت عشيرة المشلب غير مستقرة في ديارها فهم غالباً ما يرحلون مع ابلهم إلى نجد ، بعد ذلك امتهنوا الزراعة في ربوع المنتفك إذ الاستقرار والسكن . للمزيد . ينظر : عبد الرزاق مطلك الفهد ، قلعة سكر ١٨٧٣ – ١٩٥٨ دراسة في الحركة الوطنية والاجتماعية في الغراف ، مطبعة الميناء ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص١٣ . وعن تلك العشيرة ورد في تقرير بريطاني ما نصه : " كان آل حميد يؤلفون اتحادا عشائريا في العهد العثماني وأيام السعدون مقسماً إلى فريقين مستقلين ولهما شيخان مستقلان ايضا تعترف بهما الحكومة : الاول يتألف من حجام وبني تميم والطوقية والثاني يتألف من الشويلات والقره غول " . نقلاً عن . الدكتور عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٢٠) هناك من يذهب إلى ان عشيرة المشلب كانت تمتهن زراعة الشلب في مناطق الفرات الأوسط ولذلك جاءت تسميتها بهذا الاسم ، الا ان البعض من وجهاء العشيرة يرفضون ذلك ويعتقدون بأن مشلب هو اسم لرجل من العشيرة . ينظر: عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص١٣ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ صاحب سعدون ياسين المشلب ، الشيخ العام لعشيرة المشلب ، قلعة سكر . ١٥ آب ٢٠١٢ .

(٢١) وعن تقرير بريطاني كتب في ٢٧ آب العام ١٩١٨ وردت هذه الرواية على الشكل الاتي : " ان الحاج سكر الذي سميت المدينة بأسمه كان قبل ٨٠ سنة رئيس العشيرة المجاورة آل المشلب ، وقد استطاع بالقوة وبدعم من الاتراك ان يصبح من الوجهة العملية رئيساً لعشيرة آل حميد والشخصية المتنفذة في المنطقة وكان له مستشار وكاتب اسمه الحاج سعيد والد التاجر عطية الذي يتمتع اليوم بسمعة طيبة في المدينة ، ويقال ان الحاج سعيد هرب من بني لام نتيجة لبعض الخصومات العشائرية التي حسمت من قبل آل مشلب ، وقد تبنى الحاج سكر المشلب حاج سعيد وصار يعرف من ذلك الحين بأسم الحاج سعيد المشلب " . نقلاً عن . الدكتور عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٢٢) قبيلة البأثر : من قبائل المنتفك المعروفة التي سكنت العراق منذ القدم إذ دخلته مهاجرة عن طريق الأردن وسوريا إلى الموصل ، ثم أستقرت فيما بعد في ناحية البطحاء ومنطقة الكطيعة شمال المنتفق ، عرف عن هذه العشائر ، أهتمامها برعاية الماشية وتربيتها فضلاً عن حروبها وبسالتها . للمزيد . ينظر: ثامر عبد الحسن العامري ، موسوعة العشائر العراقية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص١٩٤ ؛ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ، القبائل العراقية ، الجزء الأول ، ط٢، منشورات مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٦٤ .

(٢٣) وهي أن احد رعات الغنم من عشيرة المشلب قتل راعياً آخر من قبيلة البأثر الامر الذي أدى إلى الخصومة وتوتر الاوضاع بين الطرفين . مقابلة شخصية مع الشيخ يوسف يعقوب مكطوف المشلب ، من مشايخ عشيرة المشلب ، قلعة سكر . ٣٠ تموز ٢٠١٢ .

(٢٤) ولد السيد كاظم باجي وناس الخالدي في مدينة قلعة سكر في العام١٩٤٢وفيها اكل دراسته الابتدائية والثانوية بعدها حصل على شهادة البكلوريوس في التاريخ من كلية التربية جامعة بغداد العام ١٩٦٥ ، له العديد من المقالات القيمة المنشورة في بعض المجلات العراقية والتي تهتم بجوانب عديدة من التاريخ الاسلامي كما ذهبت العديد من مقالاته لدراسة الفلوكلور . ينظر : مقالاته في : المعلم الجديد " مجلة " المجلد ٣٦ ،ج١، وزارة التربية ، بغداد ، تشرين الاول ، ١٩٧٤ ، ص٨٦ وما بعدها ؛ التراث الشعبي " مجلة " العدد الثاني والعدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٨ و ١٩٩٨ و٢٠١٠، ص٦٥ وما بعدها وص٤٢ وما بعدها وص٧٣ وما بعدها ؛ أفاق عربية " مجلة " العدد ١٢ ، بغداد ، آب العام ١٩٨٤ . أصدر كتابا بعنوان: الشعر الشعبي والهموم الاجتماعية ، طبع في قلعة سكر في العام ٢٠١١ .

(٢٥) هو الشيخ سعدون ياسين المشلب شيخ عشيرة المشلب العام ، إذ أجرى السيد كاظم باجي الخالدي معه عدة لقاءات تمخضت عنها نشر بحث بعنوان عشيرة المشلب والنهوة . ينظر: كاظم باجي الخالدي ، عشيرة المشلب والنهوة ، التراث الشعبي " مجلة " العدد الثاني ، بغداد ، ١٩٧٨ وما بعدها .

(٢٦) ناصر باشا السعدون " الاشقر " أو " الاشكر " : أحد مشايخ السعدون المعروفين والمهمين ، ولد في ربوع المنتفك العام١٨١٥ ، أصبح اميراً للواء المنتفك ثم متصرفاً للواء الناصرية إذ سمت المدينة بأسمه ، توفي في اسطنبول يوم الخميس المصادف السابع عشر من كانون الأول العام ١٨٨٥ . للمزيد . ينظر : خالد السعدون ، ناصر باشا السعدون بين الإمارة والإدارة ١٨٦٦ -١٨٨٥ ، منشورات المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، مصر ، ٢٠١١ ، ص١٧.

(٢٧) الغراف : نهر قديم يأخذ مياهه من نهر دجلة ويصب في نهر الفرات وهو نهر قديم أحدثت فيه الفيضانات المتعاقبة ترسبات أدت إلى ارتفاع قعره وانخفاض مياهه وجفاف معظم الأراضي الزراعية التي كان يرويها مما حمل معظم القبائل التي استوطنت ضفتيه على الهجرة، ولذلك ظهرت فكرة اقامة ناظم على صدره وبناء سد أمام فتحته لتأمين جريان المياه منه صيفاً وشتاءً واحياء الأراضي المحيطة به والافادة منها. ويتفرع نهر الغراف من الجانب الايمن من نهر دجلة شمال الكوت ويجري نحو الجنوب في ارض تعد من أخصب الأراضي في العراق مخترقاً المنطقة الواقعة بين الكوت والناصرية، واهم المدن التي تقع على ضفتيه اليسرى هي الحي وقلعة سكر والرفاعي في حين تقع الشطرة على الفرع الايمن للنهر ومنها يتفرع إلى فرعين هما فرع البدعة الذي يصب في هور الحمار وفرع الشطرة الذي أقيمت عليه مدينة الشطرة الحالية، وسمي بالغراف لأن الماء يطفح فيه ويرتفع حتى حافته فيغرف منه بسهولة وعرف ايضاً بنهر المسرهد أي السمين الممتلىء بالماء أو الأحمر لكثرة غرينه. مؤيد شاكر كاظم الطائي ، السيد عبد المهدي وأثره السياسي في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، أبن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص٧٥ .

(٢٨) طريقة الالتزام أو اللزمة : يقوم الملتزم بموجب هذه الطريقة بشراء حق الدولة " الأعشار المفروضة على المحاصيل الزراعية " ثم يتولى جباية الأعشار بأسم الدولة لمصلحته ويسمى المبلغ الذي يدفعه الملتزم إلى الدولة بأسم بدل الالتزام . للمزيد . ينظر: عماد أحمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤ – ١٩٣٢ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٤٧٦ . والكتاب في الاصل رسالة ماجستير .

(٢٩) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

(٣٠) مقابلة شخصية مع السيد كاظم باجي وناس الخالدي ، قلعة سكر . ١٢ آب ٢٠١٢ .

(٣١) مقابلة شخصية مع السيد كاظم باجي وناس الخالدي ، قلعة سكر . ٢٥ آب ٢٠١٢ .

(٣٢) مقابلة شخصية مع السيد كاظم باجي وناس الخالدي ، قلعة سكر . ٢٦ آب ٢٠١٢ .

(٣٣) ينظر: ماكس فرايهير فون أوبنهايم ، البدو ، الجزء الثالث ، ترجمة محمود كبيبو ، تحقيق وتقديم ، ماجد شبر ، ط٢، شركة دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧ ، ص٦١١ ؛ عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص١٤ .

(٣٤) ذكر المؤرخ عبد الرزاق الحسني مانصه : " كانت في بداية امرها قلعة من الطين شيدها سكر بن مشلب رئيس عشيرة الطوقية سنة

١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م ، وكان افراد هذه القبيلة يعيثون فساداً في هاتيك الأطراف فأحتل جند الحكومة هذه القلعة لمنع شرورهم وصار المرتزقة يهيئون المنازل والحوانيت لما يحتاج اليه الجنود ، فلم تزل في توسع حتى اتخذت مركز قضاء ثم جعلت مركز ناحية ، ويعتقد انها شيدت بمكان " صريفين " القديمة ، إذ قال ياقوت الحموي : " وصريفيون الاخرى من قرى واسط ، ثم ذكر حديثاً آخر إذ قال : وصريفين هذه مدينة صغيرة تعرف بقرية عبد الله وهو عبد الله بن طاهر " . ينظر : عبد الرزاق الحسني ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٣، مطبعة العرفان ، صيدا ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص١٧١ .

(٣٥) وقد وصفها المؤرخ عبد الرزاق الحسني قائلاً : " بليدة مهملة بين الشطرة والحي حسنة الموقع جميلة المنظر راكبة عبر الغراف اليسرى وتحيط بها بعض البساتين المختلفة والرياض وفيها سوق مستطيلة ضيقة ومظلمة يقل فيها النور ولا ينفذ اليها الهواء لأن طراز بنائها على الوضع القديم وتبعد عن الكرادي " الرفاعي " سبعة عشر كيلو متراً " . ينطر : عبد الرزاق الحسني ، المصدر نفسه ، ص١٧١ ؛ موجز تاريخ البلدان العراقية ، ط٢، مطبعة العرفان ، صيدا ، سوريا ، ١٩٣٠ ، ص١٠٢ .

(٣٦) ورد في تقرير بريطاني ما نصه : " كان موقع قلعة سكر يسيطر على ملتقى طرق القوافل ومحلاً يقصده التجار للاستراحة وظهرت جالية للتجار يحميها الحاج سكر والحاج سعيد بل ان العديد من التجار يقدمون اليها من كردستان " . نقلاً عن . الدكتور عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص١٩٣ ؛ عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص ص١٣ -١٤ .

(٣٧) وفي العام ١٨٨١ تحولت ناحية الشطرة إلى قضاء . للمزيد . ينظر : زوراء " جريدة " العدد،١٠٥١ ، ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ ، مصورة على المايكرو فيلم تحت رقم ٢٣٩ .

(٣٨) الناحية : يديرها مدير يسمى " مدير الناحية " ويعينه الوالي بناء على رغبات وجهاء القوم الذين كانوا يعبرون عنها بمذكرة يرفعونها اليه ، وذلك بعد ان تصادق وزارة الداخلية على تعينه .

(٣٩) وقد تزامن مع تشكيل ناحية قلعة سكر الرسمي ، تشكيل نواحي عدة في لواء المنتفك منها ، ناحية كرمة بني سعيد في قضاء سوق الشيوخ وناحية بني أسد في قضاء الحمار وناحية الدجة والبدعة في قضاء الشطرة وناحية واسط في قضاء الحي . للمزيد . ينظر : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثامن ، شركة التجارة للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص٦٢ ؛ الزوراء " جريدة " العدد ١٠١١ في ١٦ جمادي الاولى سنة ١٢٩٩ هـ .

(٤٠) السالمانة : تعرف بأنها عبارة عن كتاب سنوي ، والكلمة مكونة من مقطعين من أصل فارسي إلا إنها استخدمت في اللغة التركية العثمانية ، إذ كلمة " سال " تعني السنة و " نامة " تعني الكتاب أو الكتيب لذا فيقصد بها الكتاب السنوي ، إما معناها الاصطلاحي فهو كتاب يحمل بعض الخواص التقويمية والإحصائية والعلمية والتعليمية والتاريخية . للمزيد . ينظر : طلال سعد الرميضي ، الكويت والخليج العربي في السالنامة العثمانية ، السالمية ، الكويت ، ٢٠٠٩ ، ص١٩ .

(٤١) ينظر : بصرة ولايتي سالنامة العدد الثاني ، مطبعة الولاية ، البصرة ، ١٨٩١ ، ص ١٨٥ ، والعدد الرابع لسنة ١٨٩٧ والعدد الخامس لسنة ١٩٠٠ والعدد السادس لسنة ١٩٠١ والعدد السابع لسنة ١٩٠٣ ، مكتبة السليمانية تحت رقم ٣٩٢١و ٣٩٢٢ و ٣٩٢٣ ، ص ص١٨٥ - ١٨٦ .

(٤٢) ينظر : بصرة ولايتي سالنامة العدد الرابع لسنة ١٨٩٧ والعدد الخامس لسنة ١٩٠٠ والعدد السادس لسنة ١٩٠١والعدد السابع لسنة ١٩٠٣ ، مكتبة السليمانية تحت رقم ٣٩٢١و ٣٩٢٢ و ٣٩٢٣ ، ص ص١٨٥ -١٨٦ ، ٣٤٢ .

(٤٣) وفي نهاية القرن التاسع عشر زار ناحية قلعة سكر الضابط البريطاني لوريمر وسجل ما نصه : " قلعة سكر قرية في العراق التركي على الضفة اليسرى لشط الغراف على بعد ٢٠ ميلا جنوب الجنوب الغربي لمدينة الحي ويبلغ عدد السكان نحو الف نسمة ومعظمهم فيلي كرد ويوجد بها سوق يتكون من ٢٠ محلاً تجارياً ويزرع بجوارها القمح والشعير ، ولا يوجد فائض من الحبوب للتصدير ، والعرب بها من قبيلة هاشم ويمثل الحكومة التركية نقيب فقط هو قائد الضبطية ومعه اثنا عشر رجلاً " . ينظر : ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، الجزء السابع ، قطر ، د . ت . ، ص٢٣٧٩ .

(٤٤) الشيخ عطية السعيد : من مشايخ عشيرة المشلب الطوكية قتل في نزاع عشائري عام ١٩٢٣ .

(٤٥) المجلس القبلي أو العشائري : شكلته سلطات الاحتلال البريطاني في العراق ويتألف من أربعة شيوخ في اغلب الاحيان يختارهم الحاكم السياسي أو احد مساعديه وهذا المجلس مختص في حل المشاكل العشائرية وكان يستمد أحكامه من نظام دعاوي العشائر المدنية والجزائية العام ١٩١٦ .

(٤٦) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص١٦١.

(٤٧) ينظر : ماهر يعقوب يوسف ، جوانب من النظام الحضري في محافظة ذي قار ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص١٧٣.

(٤٨) اتسمت الاحصاءات التي اجريت خلال العهد العثماني بعدم دقتها ، لأن ارقامها كانت تقريبة ، بسبب عدم وجود ثقة بين الحكومة والأهالي الذين تصوروا ان الاحصاء هو السبيل الذي تسلكه الحكومة لتجنيد الشباب واستحصال مزيد من الضرائب ، فضلاً عن صعوبة تسجيل النساء كي لا يتعرف الغير على اسمائهن ، لذلك تبدو المبالغة واضحة في عدد سكان قلعة سكر حينذاك ، إذ يعني ان معدل عدد افراد كل بيت عشرة اشخاص وهذا غير ممكن في ظل ظروف صعبة ، تتميز بكثرة الامراض وانعدام الخدمات الصحية التي تحول دون زيادة عدد المواليد في ذلك الوقت . ينظر : المصدر نفسه ، ص ص١٧٣ -١٧٤ ؛ أوبنهايم ، المصدر السابق ، ص٦١١.

(٤٩) سترد كلمة " الأتراك " في بعض الأحيان بدلا من "العثمانيين" للدلالة على نفس المعنى انسجاما مع الموضوعات .

(٥٠) ومن جانبها سعت الحكومة العثمانية لأستثمار هذه البرقيات لمصلحتها فقد ارسلت وفداً رفيع المستوى من بغداد إلى النجف مؤلفاً من بعض الشخصيات البارزة أمثال القائد العسكري محمد فاضل باشا الداغستاني الذي تولى قيادة الجيش العشائري في العراق عام ١٩١٥ وشوكت

باشا وحميد الكليدار وحكمت سليمان وآخرون ، لغرض اقناع المراجع الكبار في جمع الكلمة وتوحيد الصفوف واصدار أمر بالجهاد في العراق وقد استقبل الوفد في النجف بحفاوة وعقد اجتماع في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر منهم الشيخ عبد الواحد الحاج سكر والسَّيد علوان الياسري واخرون . يُنظر: جلال كاظم محسن الكناني، الأثر السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨ – ١٩٢٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧؛ آلاء عبد الكاظم جبار الكريطي ، موقف الفئة المثقفة في كربلاء من التطورات السياسة في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، دراسة تاريخية ، كربلاء، ٢٠٠٨، ص٩٥ . والكتاب في الأصل رسالة ماجستير ؛ وسن سعيد الكرعاوي، السيد محسن الحكيم دراسة في أثره السياسي والفكري في العراق ١٩٤٦-١٩٧٠، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، النجف، ٢٠٠٩، ص١٢٠ . والكتاب في الاصل أطروحة دكتوراه .

(٥١) فتوى: جمع فتاوي، وهو رأي ديني ملزم .

(٥٢) السَّيد مُحَمَّد سعيد بن السَّيد محمود بن السَّيد قاسم الحبوبي الحسني النجفي: ولد في النجف في العشرين من شباط العام ١٨٤٩، كان اديباً وشاعراً رقيقا بارعا وله ديوان شعر مطبوع إلى جانب كونه عالماً مجاهداً وفقيهاً كبيراً وكان من زملاء وتلامذة السيد جمال الدين الأفغاني، قاد سرايا المجاهدين في معركة الشعيبة عام ١٩١٥، وهو اول من اصدر فتوى بالجهاد ولبى النداء لمقاومة الأحتلال البريطاني، توفي في الناصرية في ١٨ حزيران عام ١٩١٥ ودفن في النجف ،متأثراً بالنكسة التي اصيب بها جيش المجاهدين في معركة الشعيبة . للمزيد . يُنظر: هدى جاسم مُحَمَّد البطيحي، السَّيد مُحَمَّد سعيد الحبوبي،حياته وشعره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ص ٦٤-٧٠ .

(٥٣) وكان من المشاركين أيضاً السيد مهدي الحيدري وهو في الثمانين من عمره وكذلك السيد محسن الحكيم الذي تجاوز الخمسين والذي أصبح فيما بعد المرجع الأعلى للشيعة .

(٥٤) إذ عمد إلى الاتصال بالسيد نور الياسري والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ مبدر آل فرعون والسَّيد علوان الياسري وغيرهم من زعماء وشيوخ العشائر والوجهاء . ينظر: المصدر نفسه ، ص ص٦٤-٧٠ .

(٥٥) المنتفك أو المنتفج أو المنتفق The Muntafiq: " محافظة ذي قار حاليا "هو الأسم الذي كان يطلق على اتحاد عشائر بني مالك والأجود وبنو سعيد وبنو ركاب وغيرهم وكان نفوذها يمتد من السماوة ـ الناصرية حتى لواء البصرة، وكلمة المنتفج: مأخوذة من الأتفاق والنون لفك الإدغام على اللهجة المحلية الدارجة في الناصرية، كما أن هناك عشائر أخرى أنضمت تحت هذا الاتحاد منها قبيلة بنو أسد وبنو خيكان والمجرة . ينظر: الدكتور حميد حمد السعدون، إمارة المنتفك وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦-١٩١٨، عمان، ١٩٩٩، ص٤٠. ومن العشائر التي اتصل بها السيد الحبوبي أو من وكلهم نيابة عنه لهذه المهمة ،عشائر بني ركاب وآل حميد والمشلب والطوكية والشويلات وخفاجة وبني زيد والعبودة والبو سعد وجموع غفيرة من اهالي القلعة والشطرة ومدن الغراف من حدود الحي إلى الناصرية وعشائر اخرى سيرد ذكرهم في سياق البحث لاحقاً .

(٥٦) إذ كانت العلاقة السلبية بين الدولة العثمانية والعشائر العراقية وبالأخص عشائر الفرات الأوسط ناتجة من الظلم والجور على أفراد تلك العشائر من إذ سياسة الإذلال وفرض الضرائب الباهضة علاوة على سياسة التتريك العنصرية والسوق القسري للجندرمة العثمانية . للمزيد عن تلك السياسة . ينظر: عماد أحمد الجواهري ، المصدر السابق ،ص٣٩ .

(٥٧) وهنا تجدر الاشارة إلى ان استمرار ولاء شيوخ العشائر ورجال الدين إلى السلطة العثمانية، لايعود لأسباب دينية ووطنية فحسب، وانما لأسباب اخرى ايضاً، منها الخوف من الأجراءات التي قد يتخذها الترك في حالة عودتهم من الحرب منتصرين ضد كل من يتعامل مع البريطانيين وكان ذلك بتاثير الدعاية التركية والدعاية الالمانية التي كانت تصرح، بان الأتراك سوف يعودون للعراق وان العراق سوف يسلم من جديد لهم لقاء تحرير بلجيكا من ربقة الالمان . يُنظر: مُحَمَّد احمد محمود، أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢ – ١٩١٨،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٢٢٣؛ عمار يوسف عبد الله عويد العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤ – ١٩٤٥ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢، ص ص ٥٠-٥٣ .

(٥٨) بالرغم من ان الجهاد بالنسبة للناس كان واجباً دينياً ، الا انه كان سياسياً اكثر من كونه دينياً من وجهة نظر الدولة العثمانية، لأنه يرمي إلى حشد القوى العسكرية والسياسية وتعزيزها ضد أعداءها . ينظر: حسن الاسدي، ثورة النجف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص٩٠ ؛ مجيد الموسوي، الحاج عطية ابو كلل، بغداد، ١٩٥٧، ص ص٩٩-١٠٠.

(٥٩) ينظر: عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد ، ١٩٦٣، ص١١٢ .

(٦٠) هو السَّيد مُحَمَّد كاظم بن السَّيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي، فقيه الأمامية ومرجعها الأعلى حينذاك، ولد في يزد في ايران عام ١٨٣١وهاجر إلى النجف عام ١٨٦٠ وهو صاحب الموسوعة الفقهية الشهيرة بـ العروة الوثقى، كان له موقفاً سلبياً من حركة المشروطة في ايران عام ١٩٠٩حينما وقف إلى جانب المستبدة، بعد ان تم اجماع اكثر العلماء على تأييدها، وقف موقفاً صلباً اتجاه الغزو البريطاني للعراق العام ١٩١٤ – ١٩١٥ ، وأفتى بواجب قتال البريطانيين وتحرك على أكثر من صعيد لمواجهة الاحتلال قبل وقوعه إذ حمل ولده فتواه إلى العديد من زعماء العشائر والوجهاء يحثهم على الجهاد والقتال ، إلا ان موقفه هذا كان عرضة للتغيير والتبدل إلى نوع من المهادنة والموالاة ، إذ وجه له النقد من اغلب الكتاب والمؤرخين الذين عالجوا احداث الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، لمواقفه المحابية للإنكليز بعد دخولهم العراق، مثل موقفه من أحكام الإعدام التي صدرت عام ١٩١٨، ضد المتهمين من النجفيين بقتل ضابط بريطاني، فقد رفض اليزدي التدخل لأنقاذهم رغم أنه كان قادراً ومؤثراً، وحينما التمسه أهل المحكومين، قال لهم:" يجب تطهير البلد من المجرمين " . وكذلك موقفه السلبي من الأحداث التي سبقت التمهيد لثورة العشرين، حينما اجتمع اليه بعض زعماء الحركة الوطنية في الفرات الاوسط في داره في النجف لأستطلاع رأيه وبيان موقفه من الاحداث طالبين منه الدعم والمساندة بصفته الدينية، فأجابهم قائلاً:" انا رجل دين لا اعرف السياسة بل اعرف هذا حلال وهذا حرام " وبعد الالحاح عليه قال:" اختاروا ماهو فيه صلاح المسلمين ". توفي اليزدي في النجف ودفن فيها ليلة الثلاثاء ٣٠ نيسان عام ١٩١٩ عن عمر تجاوز الثمانين، وقد اعتبر الإنكليز وفاته خسارة لهم . فقد ورد في تقرير بريطاني رسمي ما نصه:" أن نفوذه كان يستخدم بلا

انقطاع لمصلحتنا، موته خسارة جدية لنا "،كما وصفه الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بأنه كان:" صعب المراس شديد الشكيمة في غاية الحذر وسوء الظن لا يغر ولا يخدع " . يُنظر: الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، عقود حياتي،بيروت ،٢٠١٢ ،ص١١٩ ؛ رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة، معهد الدراسات الاستراتجية، الفرات للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٦، ص ص١٧٦ -١٧٨ ؛ الدكتور علي الوردي، لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٥، ق١، ص ٧٢ ؛ حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، لندن، ١٩٩٠، ص ص٩٩-١٠٠ ؛ الدكتور فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسية في العالم العربي ، نموذج الشيعة في العراق ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٣ . ومن الجدير بالذكر ان بعض الكتاب حاولوا التماس الأعذار لموقف الأمام اليزدي هذا، وذلك بجر بعض النصوص التاريخية خارج اطارها الصحيح . يُنظر: على سبيل المثال: كامل سلمان الجبوري، السَّيد مُحَمَّد كاظم اليزدي، سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية، قم، ايران، ٢٠٠٦ .

(٦١) كان منهاج السيد محمد نجل المرجع كاظم اليزدي يتضمن المرور بالمدن التالية : " بغيلة " أي مدينة النعمانية الحالية" وكوة الامارة والحي وقلعة سكر والبعض من اهل الشطرة وعرب قصاب وعرب محمد الياسين وعرب حمادي الحاج الشاتي وعرب جحالي وحجام " . ينظر: كامل سلمان الجبوري ، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤– ١٩٢٣، الجزء الأول ، دار المؤرخ العربي ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٩ ، ص١١٥ .

(٦٢) مقابلة شخصية مع السيد حسين السيد علي السيد جواد الياسري ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٠ تموز ٢٠١٢ .

(٦٣) السيد جواد السيد حمزة السيد نعمة السيد ادريس الياسري : كبير السادة آلياسر في قلعة سكر،من الشخصيات الدينية والاجتماعية الكبيرة،له ديوان " مضيف " كبير في الطرف الجنوبي لمدينة قلعة سكر ويتمتع بنفوذ ومهابة كبيرة عند العشائر العراقية وزعمائها ، توفي السيد جواد في العام ١٩٣٥ على الارجح . مقابلة شخصية مع السيد كاظم باجي وناس الخالدي ، باحث وكاتب له مقالات عديدة في مجالات اريخو الفولكلور، مدرس تاريخ متقاعد ، قلعة سكر ١٥تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع السيد حسين السيد علي السيد جواد الياسري ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ١٩ تموز ٢٠١٢ .

(٦٤) الوجيه جنديل الشيخ محمد حمد عباس سلمان الخزعلي : ولد في مضارب قبيلة الخزاعل المعروفة في لواء الديوانية وفيها عاش قسماً من حياته ثم أرتحل مهاجراً إلى مدينة سوق الشيوخ وهناك استقر في منطقة النواشي التي عادت ما يلقب بها ثم استقر في مدينة قلعة سكر التي عاش فيه ماتبقى من حياته ، عرف عنه رجاحة العقل وقوة البصيرة والتدبير والوجاهة الاجتماعية والنزاهة إذ كانت تستشيرة بعض المحاكم العثمانية في مدينة الحي عن تحديد سلوك بعض الافراد الذين لديهم شكاوي في المحاكم عندما تقتضي الضرورة ذلك ، توفي الحاج جنديل قلعة سكر في عام ١٩٢٤ على الارجح . مقابلة شخصية مع السيد بشير الجنديل ، قلعة سكر . ٢١ تموز ٢٠١٢ .

(٦٥) محمد حسين الخطاب : من عائلة بغدادية استوطنت قلعة سكر ، شاعر يمتاز بالاخلاص والنزاهة ، عند تشكيل الدولة العراقية اصبح عضوا في المجلس التأسيسي العراقي في العام ١٩٢٤ ، ثم رئيساً لبلدية الرفاعي .

(٦٦) مقابلة شخصية مع السيد حسين السيد علي السيد جواد الياسري ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢١ تموز ٢٠١٢ .

(٦٧) الشيخ حسن الدخيل : من عشائر حجام المعروفة في سوق الشيوخ،عالم ديني جليل يتمتع بنفوذ واحترام كبير بين الناس عاش ردحا من الزمن في قلعة سكر،اسهم بصفته الدينية بأحداث ثورة العشرين وما رفقها من حوادث في مدينة قلعة سكر، واليه ينسب بأنه اطلق عدة رصاصات على العلم البريطاني في سراي الحكومة في قلعة سكر قبل أنزاله ورفع علم الثورة العربية محله ، عرف عن الشيخ حسن معرفته وشهرته بالطب الشعبي وتتناقل الالسن عنه الكثير من الحكايات في هذا المجال . مقابلة شخصية مع السيد صباح عبد اللهورش ، معلم متقاعد . قلعة سكر ١٥تموز ٢٠١٢ . ويذكر السيد صباح انه سمع تلكا لاحداث منجده ورش حمزة العميري المولود في قلعة سكر عام ١٨٦٠والذي كان معاصرا لها والذي اسهم ايضاً بأطلاق النار على العلم البريطاني .

(٦٨) الشعار المتداول في ذلك الوقت والذي كان علماء الدين سبباً في انتشاره وربما كان الغرض منه رفع الحماس بين الناس لغرض التطوع للجهاد . ينظر: شاكر حسين دمدوم الشطري ، الشطرة في أواخر العهد العثماني ١٨٨١ – ١٩١٧ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٢٢٧ .

(٦٩) والغريب هنا والغير المقبول أيضاً وبعد مرور هذه الحفنة من السنيين على أصدار هذه الفتوى وغيرها من الفتاوي المشابهة لها في ذلك الزمان ، تقوم الآن بعض الأحزاب الدينية والسياسة في العراق بتوظيف نفس تلك الفتاوي مع اختلاف الفارق الزمني من اجل الحصول على مكاسب سياسة وحزبية في الانتخابات المحلية التي جرت في العراق بعد العام ٢٠٠٣ . وما اشبه اليوم بالبارحة .

(٧٠) ولد الشيخ غدير " بالتصغير " الصبح الروضان شيخ عشيرة الجدوع من بني ركاب في ربوع آرياف عشيرته في قلعة سكر في العام ١٨٨٠ على الارجح ، عرف بشجاعته وكرمه ومعرفته بشؤون العشائر ، كان شاعراً يقول الشعر على الطريقة البدوية " الحدو " ويذكر انه في احد السنيين كان هناك قتال في الغراف بين عشيرة الخنفر من بني ركاب وعشيرة الحفاظ من زراع شط الكار في القديم يوم ذاك ، وكان علي المحمد من عشيرة الخنفر يحمل شلفة " خنجر" طعن بها طعنة نجلاء احد رجال آل حفاظ ، فأرسل الشيخ غدير الصبح إلى شيخ عشيرة الخنفر شلال الفيصل يقول:

شلال لاتنطي علـــك خلها على معتادهـــا
جاني خبر شلفة علي عاشت يمين استادها

والعلك هنا " بالكاف الفارسية = علق " ، تعني الهدنة القصيرة التي مدتها ايام قليلة واحياناً ساعات . ينظر: يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتأريخ والآثار وخطط بغداد ، القسم الثاني ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص٣١٢ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ حميد بلاسم غدير الصبح ، شيخ عشيرة الجدوع من بني ركاب ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(٧١) ينظر: عبد الرزاق مطلك الفهد المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٧٢) لذلك كان جل اعتمادنا على المقابلات الشخصية مع احفاد هولاء المجاهدين فضلاً عن بعض المصادر القليلة المساعدة .

(٧٣) مقابلة شخصية مع السيد حسين السيد علي الياسري ، قلعة سكر . ١٢ آب ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع السيد محمد احيمد جداح ، قلعة سكر . ٢٠ آب ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ صاحب سعدون الياسين ، شيخ عشيرة المشلب العام . قلعة سكر . ١٣ آب ٢٠١٢ .

(٧٤) اسحاك بدر غضبان المشلب شيخ عشيرة البطين المشلب .

(٧٥) فرحان ضيدان غضبان المشلب : من وجهاء عشيرة المشلب في قلعة سكر .

(٧٦) هو الشيخ جدوع مناحي يعقوب يوسف كليب آلمشلب، عرف بشجاعته ورجاحة عقله ، تزعم مشيخة عشيرة المشلب عند وفاة شقيقة الشيخ مكطوف في نهاية العام ١٩٢٠ ، الا انه لم يبقى في المشيخة طويلاً بسبب قتله في نزاعات عشائرية في قلعة سكر في العام ١٩٢٣ .

(٧٧) هما من رجال عشيرة الشناتي وهي فخذ من عشيرة الطوكية في قلعة سكر .

(٧٨) بريس مطرود حسين ناصح الركابي : شقيق الشيخ مجلي المطرود شيخ عشائر الجابر من بني ركاب ، عرف بنزاهته والتزامه الديني . مقابلة شخصية مع الشيخ حسن عمران موسى مجلي الركابي ، من مشايخ عشيرة الجابر بني ركاب ، قلعة سكر ، ٢٦ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع عباس عمران موسى مجلي الركابي ، قلعة سكر . ٢٦ تموز ٢٠١٢ .

(٧٩) مجبل مطشر حيدر شاوردي الركابي : من عشيرة العبيد عشائر الجابر بني ركاب . مقابلة شخصية مع الشيخ هاشم حسن مطشر شاوردي الركابي ، من شيوخ عشيرة العبيد ، قلعة سكر ، ٢٦ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ جباري مانع سلمان الركابي ، من شيوخ عشيرة البونزال بني ركاب . ٢٦ تموز ٢٠١٢ .

(٨٠) ولد الوجيه حيدر باقر داغر ناصر حسين توج الدين الجرجري في مدينة قلعة سكر ، عرف بوجاهته في المدينة وحبه لعمل الخير فضلاً عن شهرته بين القبائل في أعادة تصنيع عتاد البنادق الذي يعرف " بالشد " حينذاك . مقابلة شخصية مع السيد مهدي حميد حيدر باقر الجرجري ، قلعة سكر ، ٢٥ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع السيد وسام مهدي حميد حيدر الجرجري ، قلعة سكر . ٢٥ تموز ٢٠١٢ .

(٨١) خريوت حمزة كمير محمد الدبي: من وجهاء مدينة قلعة سكر ولد في العام ١٩٠٠ يقراء ويكتب عرف بحفظه للشعر الشعبي وعلاقاته الواسعة مع بعض الوجهاء والمشايخ ، توفي في قلعة سكر في ٢٧ تموز العام ١٩٩٢ . مقابلة شخصية مع السيد باسم خريوت حمزة الدبي ، قلعة سكر ـ ٢٧ تموز ٢٠١٢ .

(٨٢) مقابلة شخصية مع السيد ماجد محمد علي ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٧ تموز ٢٠١٢ .

(٨٣) السيد سلمان السيد كعود السيد محمد الصافي : من وجهاء السادة الصافي في قلعة سكر . مقابلة شخصية مع السيد مجيد السيد شندول الصافي ، قلعة سكر . ١٥ آب ٢١٠١٢ .

(٨٤) ولد فلفل علي أحمد حسين الربيعي في مدينة الناصرية العام ١٨٩٦ بعدها أنتقل للعيش في مدينة قلعة سكر ، تطوع بصفة جندرمة في العهد العثماني ، توفي في قلعة سكر في العام ١٩٧٦ . مقابلة شخصية مع مناف عبد الحسن فلفل الربيعي ، قلعة سكر . ٢١ آب ٢٠١٢ . مقابلة شخصية مع السيد محمد أحيمد جداح ، ضابط متقاعد ، قلعة سكر . ٢٢ آب ٢٠١٢ .

(٨٥) ساجت هليل العميري شيخ عشيرة العميرات في قلعة سكر ، قتل من قبل ابن شقيقته في قلعة سكر في العام ١٩٤٣ . مقابلة شخصية مع السيد عمران طربوش العميري ، آديب وشاعر ، قلعة سكر . ٢٥ تموز ٢٠١٢ .

(٨٦) ولد الشيخ طربوش حسين جبر عبد الله العميري عام ١٨٨٦وهو من الشخصيات التي تحظى بأحترام كبير في المدينة ، كان شاعراً بالرغم من انه لا يقرأ ولا يكتب ، الا انه كان يحفظ ويقول الشعر على الطريقة البدوية " الحدو " وعرف ايضاً بنظمه " الهوسات " توفي في قلعة سكر في ٢٧كانون الاول العام ١٩٧٩ . مقابلة شخصية مع ولده عمران طربوش العميري ، آديب وشاعر ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(٨٧) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الرزاق كزار الناصر ، شيخ عشيرة الطوكية ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(٨٨) ينظر : عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٨٩) ينظر: المصدر نفسه ، ص٧٦ .

(٩٠) ينظر: المصدر نفسه ، ص٧٦ .

(٩١) الشد : يعني اعادة تصنيع الطلقة النافذة من جديد وهو عمل محلي معروف لدى العشائر العراقية . ومعنى الهوسة : ان الطلقات التي يقوم بصناعتها المجاهد حيدر " تكرص " أي تصيب العدو في متنه اصابة مميته . مقابلة شخصية مع السيد مهدي حميد حيدر باقر الجرجري ،

قلعة سكر . ٢٥ تموز ٢٠١٢ .

(٩٢) الشاعر : ماضي شوكت طربوش من اهالي قلعة سكر وقد قيلت القصيدة في وقت متأخر ، توفي الشاعر ماضي في العام ٢٠١٢ .

(٩٣) المقصود الوجيه جنديل الشيخ محمد .

(٩٤) الرهط : مصطلح عسكري وتعني الفصيل . وهي اشارة واضحة من الشاعر لقيادة الوجيه جنديل لذلك الرهط في معارك الجهاد في الشعيبة في العام ١٩١٥ .

(٩٥) القفة وجمعها " قفف " والتي يلفظها العامة "كفُة " : نوع من انواع وسائط النقل القديمة والشائعة في العراق حينذاك شكلها مأثرة كصحن عميق لايعرف رأساً أو ذنباً وذات احجام متباينةً وتصنع محلياً من الأخشاب والأعواد والحلفاء ومن خوص النخيل احياناً وتكسى بالقير كطبقة عازلة للماء وتنقل شخص او شخصين ويستفاد منها لعبور الأنهر والشطوط ونقل المنتجات الزراعية وصيد السمك احياناً ، وقد استعملت في قلعة سكر وأول من استعملها شخص اسمه مطير من آل الرفيع من عشائر آل سراي وكان ينقل بها الناس من جهة إلى الجهة الآخرى من النهر ، وقد اختفت هذه الوساطة في مطلع القرن الحادي والعشرون وأصبحت رؤيتها حالة نادرة جدا إذ وجد البلم ثم الطبكة .

(٩٦) البلم : قارب خفيف يستعمله الناس في التنقل المائي وهو مستطيل الشكل ومصنوع من الخشب ويطلى بالقير ويكثر من هذا النوع في مدن الغراف إلى وقت قريب .

(٩٧) ينظر: عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٩٨) الشيخ مجلي مطرود حسين ناصح الركابي : شيخ عشائر الجابر من قبيلة بني ركاب .

(٩٩) ولد الشيخ ابراهيم عبد الله حمود آل يوسف : في ريف مقاطعة المصيفي في الكرادي " الرفاعي " في العام ١٨٨٥ وتعلم القراءة والكتابة على الملالي في الكتاتيب وعاش وتربى تربية خاصة في كنف والده الذي توسم فيه الزعامة وحنكة الامور ، اسهم في معارك الجهاد في الشعيبة في العام ١٩١٥ ، وبعد انبثاق الحكم الوطني في العراق في العام ١٩٢١، انتخب لأثرتين انتخابيتين في المجلس النيابي ، توفي في العام ١٩٦٩ . للمزيد . ينظر: علي صالح الكعبي ، نواب لواء المنتفك في العهد الملكي ١٩٢٥- ١٩٥٨ ، بغداد ، ٢٠٠٧ ،ص٧٥ .

(١٠٠) هو الشيخ خيون بن عبيد بن جبير بن عباس السنجري العبودي زعيم قبيلة العبودة، ولد في أرياف مدينة الشطرة في منطقة الحاوي عام ١٨٨٨ وتعلم القــراءة والكتابة والحساب على يد الملالي في الكتاتيب ، اصبح شيخاً للعشيرة بعد وفاة والده "عبيد آل جبير" إذ كان عمر خيون حينذاك لم يتجاوز السابعة عشر عاماً، متزوج من ٩ نساء ولّه ولد واحداً أسمه حسين وبنتين، عرف بقوته وجرأته ومعارضته للسلطة العثمانية وهو من الشخصيات المؤثرة في الشطرة، عينه العثمانيون ، بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى ،قائممقاماً لقضاء الشطرة فحارب إلى جانبهم ضد البريطانيين، وبعد احتلال البريطانيين للعراق انقلب خيون إلى جانبهم وأصبح من المتعاونين معهم، لم يكن له موقف راجح في ثورة ١٩٢٠ فكان موقفه التردد والتلكؤ ، إذ كان له الأثر الواضح في منع عشائر قلعة سكر من امتداد لهيب الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠إلى الشطرة. وفي تقرير سري بعثت به إدارة لواء المنتفك إلى دائرة الحاكم السياسي العام في بغداد ذكر فيه مانصه:"مهما يكن شكل الحكومة لهذا البلد فأن خدمات خيون ينبغي ان لا يغفل أمرها بل علينا ان نتذكرها بالخير"، لذلك أعاد البريطانيين تعينه قائممقاماً لقضاء الشطرة وخصصوا له راتب مقداره ٥٠٠ روبية شهرياً ووضعت تحت تصرفه قوة عسكرية لغرض السيطرة على العشائر، عمل خيون فيما بعد في حزب التقدم وأنتخب نائباً عن لواء المنتفك في مجلس النواب لفترات متعددة وعين عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٤٥، أدركته الوفاة في الشطرة في ٢٨ نيسان عام ١٩٧٠. ينظر: علي صالح الكعبي المصدر نفسه ، ص٨٨ .

(١٠١) وحضر ايضاً هذا الاجتماع زعماء ومشايخ بعض العشائر الاخرى ومنهم : سفيح الخلاوي وسلامه الحسن ومحمد الجبحو عبد الكريم الخفيف وساجت الشكبان وساجت الحسن وعكيلي اليوسف وخنجر الكسار ومحي ...وملاجي الشفيج وشطب المنهل وعباس الطعمة وفرهود الشجان وعلي الفضل ورئيس عتاب يوسف البرهان ومنشد المحيسن وفرج الزجيو عيد الله الجون ومحمد الملا حسين وعداي الجديه وعويش الجباره. يحتفظ الباحث بنسخة من هذه الوثيقة .

(١٠٢) يحتفظ الباحث بنسخة من هذه الوثيقة والتي حصل عليها من ورثة المرحوم الشيخ شلاكة المزعل الحميدة شيخ قبيلة بني ركاب العام .

(١٠٣) تقع الشعيبة على بعد تسعة أميال من الجنوب الغربي للبصرة وهي تمتاز باهميتها الستراتيجية كعقدة مواصلات إذ أنها ملتقى الطرق البرية المتأتية من الغرب والشمال .

(١٠٤) النخيلة : وهي منطقة قريبة من هور الحمار وكانت نقطة تجمع المجاهدين وقد وقعت فيها معارك كبيرة منها واقعة النخيلة في٣ آذار عام١٩١٥ بين المجاهدين والقوات البريطانية .

(١٠٥) الغبيشية: قرية تابعة لقضاء سوق الشيوخ تقع على لسان البر وعلى حافة مياه هور الحمار واصبحت لاحقاً محطة لتوقف قطار البصرة – الناصرية – بغداد .

(١٠٦) القائد العسكري العثماني الذي تسلم القيادة من جاويد باشا بعد وصوله في ٢٠ كانون الاول عام ١٩١٤ .

(١٠٧)نتيجة المقاومة العنيفة التي واجهتها القوات البريطانية في منطقة الشعيبة والناصرية والغراف ، أحصت الإدارة البريطانية خلال العام ١٩١٦ عدد عشائر المنتفك والتي بلغت أكثر من ٧٧ عشيرة بلغ عدد رجالها أكثر من ٧٨٤٤٠ مسلحاً . ينظر: M.I.Nasiriyah, 38/109/Notes on Tribes of Muntafick 1916 .

(١٠٨) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

(١٠٩) ذكر الدكتور عبد الله الفياض في كتابه الثورة العراقية، ص ص١٥٣-١٥٤، إلى ان الهجوم قد بدء يوم ٤ نيسان عام ١٩١٥ والصحيح هو ليلة ١٢/١١ نيسان عام ١٩١٥، كما مثبت في المصادر الرسمية البريطانية والتي أشير لها في ثنايا البحث .

(١١٠) مقابلة شخصية مع حفيده الشيخ حميد بلاسم الغدير ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(١١١) مقابلة شخصية مع حفيده السيد حسين السيد علي السيد جواد الياسري ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٠ تموز ٢٠١٢ .
(١١٢) مقابلة شخصية مع الشيخ حسن عمران موسى مجلي الركابي ، من مشايخ عشائر الجابر ، قلعة سكر . ٢٧ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ هاشم حسن مطشر الركابي ، من شيوخ عشائر العبيد الجابر من بني ركاب ، ٢٧ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ حميد بلاسم غدير الصبح الركابي ، شيخ عشائر الجدوع من بني ركاب ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٥ تموز ٢٠١٢ .
(١١٣) يُنظر: حميد احمد حمدان التميمي، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٨-٢٤٩ ؛ اسحق نقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي، ط٢، دار المدى، سوريا، ٢٠٠٣، ص١١٢ .
(١١٤) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٧٧ .
(١١٥) ينظر: عبد الحليم الرهيمي، تأريخ الحركة الإسلامية في العراق ـ الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠ – ١٩٢٤ ، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧١ . والكتاب في الأصل رسالة ماجستير .
(١١٦) ينظر: المصدر نفسه، ص١٧١ .
(١١٧) يُنظر: حميد أحمد حمدان التميمي، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٤٩ ؛ عبد الرزاق الحسني، العراق في أثري الاحتلال والانتداب، ج١، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت، ١٩٣٥، ص ١٧ الهامش رقم ١ .

(١١٨) يُنظر: غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، تقديم حسين جميل، ترجمة، عطا عبد الوهاب، دار اللام، لندن، ١٩٨٨، ص ص ١٥٠-١٥٦ . والكتاب في الاصل أطروحة دكتوراه .

(١١٩) ويذكر انه وبعد الخسارة التي مني بها الجيش التركي والمجاهدين في معركة الشعيبة عام ١٩١٥ ، بعث البعض من شيوخ العشائر برقيات تأيد إلى الحاكم السياسي البريطاني في العراق السير برسي كوكس يعلنون فيها تقديم ولاء الطاعة والاحترام إلى الحاكم المذكور ، فقد جاء في برقية بعثها الشيخ حمادي الشاتي والشيخ شلال وهما من مشايخ قبيلة بني ركاب إلى الحاكم المذكر في ١٠ تشرين الاول العام ١٩١٥ ما نصها : " إلى حضرت ـ كذا ـ السير برسي كوكس الوكيل السياسي المفخم نقدم السؤال عنكم وحال اخذنا كتابكم المأرخ ـ كذا ـ سنة الالف وتسعمائة وخمسة عشر طالبين حضورنا بالكوت وانا عند وكيلكم بالناصرية لأجل تقديم الأطاعة لدولة الانكليزية المعظمة فنحنو ـ كذا ـ ممنونين إلى اجراءات ذلك قريبا انشاء الله تعالى نحظر ـكذا ـ عندكم بالكوت نجري ماهو اللازم والاطاعة لدولتنا المعظمة ودمتم محفوظين ... توقيع ... حاج حمادي الشاتي رئيس عشيرة بني رجاب ... حجي شلال رئيس عشيرة بني رجاب في ١٠ تشرين اول ١٩١٥ ... " . ينظر : نص هذه البرقية في . وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤ ـ ١٩٢٣ ، الجزء الأول ، اعداد وتحقيق ، كامل سلمان الجبوري ، دار المؤرخ العربي، النجف الأشرف، ٢٠٠٩ ، ص٣١٥ .

(١٢٠) بوشر ببناء مدينة الناصرية في العام ١٨٦٩ في زمن الوالي مدحت باشا وقد خططها المهندس البلجيكي جولس تللي**JuIesTiIIy** ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى حاكمها ناصر باشا السعدون . للتفاصيل . ينظر : حسن علي خلف ، المفصل في تاريخ مدينة الناصرية ، دراسة تاريخية سياسية ، ج١، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص١٥٣ .

(١٢١) في العام ١٩٢٨ ، صدرت الارادة الملكية المرقمة ٧٧ في ٢٠ مايس من العام المذكور ، بجعل ناحية الكرادي قضاء وجعل قلعة سكر ناحية ، ولم ينتقل مركز القضاء اليها إلا في ٢٠ حزيران العام ١٩٣٥ عندما زار ياسين الهاشمي لواء المنتفق اقترح ابدال اسم الكرادي بالرفاعي تخليداً لاسم السيد أحمد الرفاعي الذي يبعد حوالي ٨٠ كم عن المدينة ، ومهما يكن فأن الامر جرى بتأثير من قبل الشيخ موحان الخير الله . للمزيد . ينظر: عبد الله الفياض ، مشكلة الاراضي في لواء المنتفك ، مطبعة سلمان الاعظمي ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص٧٠ .

(١٢٢) لكرادي : هي ناحية تابعة إلى قضاء قلعة سكر حتى العام ١٩٢٨ ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الشيخ عباس صالح الكرادي في العام ١٨٩٣ إذ شيد فيها مخزناً للحبوب لقربها من ارضيه الزراعية ثم تطورت إلى قرية صغيرة وبدأت بالنمو بعد ازدياد أعداد الفلاحين الذين سكنوها ، سميت بعد ذلك بالرفاعي نسبة إلى وجود ضريح السيد أحمد الرفاعي " رض " . للمزيد . ينظر: علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤- ١٩٢١ دراسة في تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص١٢٣ . والكتاب في الاصل أطروحة دكتوراه ؛ علي الحيدري ، موسوعة حوض الغراف تأريخاً وحضارة ، ط٢، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص١٦٨ .

(١٢٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص١٣٧ ؛ حسن علي خلف ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .

(١٢٤) الضابط البريطاني الذي تولى قيادة معركة الشعيبة في نيسان العام ١٩١٥ضد المجاهدين .

(١٢٥) ينظر : حسن علي خلف ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ؛ الدكتور عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص٨٨ .

(١٢٦) أختير هيسوم لهذا المنصب على أساس خبرته في أمور العشائر لانه سبق وإن شغل هذا المنصب في سوق الشيوخ عام ١٩١٧ ، فضلا عن ذلك فأنه يتمتع بخبرة سياسية كبيرة وقد أمضى في قلعة سكر ايام قليلة ثم أنفرد في حكم الشطرة . ينظر: حيدر شهاب جبر الخفاجي ، الشطرة في العهد الملكي ١٩٢١ – ١٩٥٨ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٠ ، ص٢٤ .

(١٢٧) ينظر : عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص٢١ .

(١٢٨) ينظر : حسن علي خلف ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ؛ عبد الله الجوراني ، دراسة وثائقية في تاريخ المنتفك الوطني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨، ص٦٧ .

(١٢٩) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٢٠١ ؛ عبد الله الجوراني ، المصدر نفسه ، ص ص٦٦ – ٦٧ .

(١٣٠) برترامتوماس: أحد الضباط البريطانيين الشباب الذين عينتهم الإدارة البريطانية في العراق وأعطتهم صلاحيات واسعة، شغلت وماس عدة مناصب كحاكم سياسي في سوق الشيوخ وقلعة سكر كما عيّن في ٣ حزيران عام ١٩٢٠ معاوناً للحاكم السياس يللشطرة ثم اصبح حاكمها

السياسي إذ غادرها في ٢٧ آب عام ١٩٢٠ تحت ضغط العشائر، تميز بمعرفته اللغة العربية بشكل جيد ، فضلاً عن صلابته واستبداده .للمزيد . ينظر:مذكرات برترامتوماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠ ، ترجمة ، عبدالهادي فنجان ، تقديم وتعليق ، كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني ،بغداد، ١٩٨٦ ،ص١١١ ؛ علي الوردي،المصدر السابق ، ج٥ق٢ ،ص٨١ .

(١٣١) يبدو ان قيادته فوضت له الاشراف على قلعة سكر بالرغم من وجود الكابتن بارت ومعاونه فيها ، بسبب ما كانوا يوجسون خيفة من الحس الوطني في المدينة لذلك ارادوا محاصرتها بادارة قوية ، بالرغم من هذا التفويض كان لفترة قصيرة . ينظر :المصدر نفسه ، ص١٩ ؛علي الوردي،المصدر السابق،ج٥ق٢ ،ص٨١ .

(١٣٢) ينظر : المصدر نفسه ، ص٢٠١ ؛ فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، أثر نواب لواء المنتفك في مجلس النواب العراقي ١٩٢٥ – ١٩٥٨ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠٠٩ ، ص٢٠ .

(١٣٣) ينظر : عبد الله الجوراني ، المصدر السابق ، ص٦٦ .

(١٣٤) لعبت مدينة النجف الأشرف أثراً مهماً في إشعال نار الثورة واستمرارها من خلال الفتاوي التي أطلقها علماء الدين الذين أرسلوا مبعوثين عنهم إلى مختلف المدن العراقية ، فقد وصل إلى لواء المنتفك دعاة الثورة من مدينة النجف الأشرف قبل ٢ تموز عام ١٩٢٠ . ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص١٣٨.

(١٣٥) يحتفظ الباحث بنسخة مصورة من هذه الرسالة والتي تم الحصول عليها من عائلة الشيخ مزعل الحميدة .

(١٣٦) ولد السيد علوان عباس نعمة أدريس الياسري في ناحية المشخاب في العام ١٨٧٥ ، من أسرة دينية ميسورة الحال ، ونشأ وتعلم القراءة والكتابة على يد الملالي في مدينته ، وفي شبابه أمتهن العمل السياسي ووقف ضد الدولة العثمانية في العام ١٩١٤ ، ثم توج ذلك بموقفه الرافض للاحتلال البريطاني وذلك بقيادته لجموع المجاهدين من عشيرته في معركة الشعيبة في العام ١٩١٥ ، بعدها الموقف الوطني الذي وقفه في ثورة العشرين ، إذ عد من فرسانها وقادتها المميزين ، التجأ إلى الحجاز بعد فشل الثورة عسكرياً وعاد مع الأمير فيصل في العام ١٩٢١ ليكون عضواً في أول مجلس تأسيسي عراقي وعضواً منتخب في المجلس النيابي لعدة أثرات ثم عيناً ، حتى أصبح وزيراً في وزارة جعفر العسكري في العام ١٩٢٧ ، بعدها أصبح عضوا في حزب الاخاء وأشترك في أنتفاضة مايس العام ١٩٤١ ليكون رئيساً لمجلسي الاعيان والنواب خلال تلك الأنتفاضة ، ثم سجن بعد فشل الأنتفاضة وترك العمل السياسي بعد خروجه من السجن في العام ١٩٤٦ ، عرف بشجاعته وكرمه ولباقته في الحديث ، توفي في العام ١٩٥١ . للمزيد . ينظر: عكاب يوسف الركابي ، علوان الياسري وأثره السياسي في تاريخ العراق المعاصر حتى العام ١٩٥١ دراسة تأريخية ، آداب البصرة " مجلة " ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد ٥٠ لسنة ٢٠٠٩ ، البصرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٤١ .

(١٣٧) السيد هادي آل زوين: من وجهاء السَّادة آل زوين في النجف الأشرف، اشترك مع المجاهدين في معارك الشعيبة عام ١٩١٥ واسهم في ثورة العشرين وخاض فيها معارك ابو صخير والكوفة والوند . للمزيد عن حياته . يُنظر: مُحَمَّد علي جعفر التميمي، قلب الفرات الاوسط، ج٣، مطبعة الغري ، النجف الاشرف ، ١٩٥٢ ص٤٨ .

(١٣٨) ولد الشيخ عبد الواحد الحاج سكر آل فرعون عام ١٨٨٠ في مدينة المشخاب ونشأ في مضارب قبيلته في الجعارة " الحيرة " وهو من زعماء آل فتلة المتميزين، اسهم في ثورة العشرين وكانت له مواقف مشهودة في احداث الثورة، انتخب عضواً في المجلس التأسيسي عن لواء الديوانية في عام ١٩٢٤ثم أنتخب نائباً عن اللواء المذكور عام ١٩٣٣-١٩٣٤و١٩٣٥-١٩٣٦وشباط عام ١٩٣٧و١٩٣٩ ثم عضواً في مجلس الأعيان في آذار عام ١٩٥٤، تغنى العديد من الشعراء بمأثر ومناقب الشيخ عبد الواحد وفيه قال الشاعر الشعبي شخير آل سلطان الأبراهيمي:

الحك ينكال أبو راهي الوكف بالطوب وهو الفصل على الشعب هذا الثوب

توفي الشيخ عبد الواحدفي بغداد في ٦ تشرين الأول عام ١٩٥٦ . للمزيد عن حياته واسهاماته في تاريخ العراق المعاصر . يُنظر: ناجح عبد الحسين عبد علوان الرماحي، المصدر السابق، ص ص ٣٠-٣٤ ؛ عماد احمد الجواهري والهام الجادر، الشيخ عبد الواحد الحاج سكر انموذج للزعامة العشائرية، القادسية " مجلة " جامعة القادسية، العدد الاول، السنة الأولى، آذار عام ١٩٩٥ .

(١٣٩) تحيط بمدينة قلعة سكر عددا كبيراً من العشائر لعل أهمها ، عشائر عكيل وبني ركاب وآل حميد المشلب والطوكية والشويلات والصرفيين وخويلد والسلايط وغيرها من العشائر الصغيرة والمتحالفة وسيرد اسهامات تلك العشائر ضمن سياق البحث .

(١٤٠) ينظر: عبد الرزاق مطلك الفهد المصدر السابق ، ص١٣ ؛ عبد الرزاق الحسني ، موجز تاريخ البلدان العراقية ، ط٢، مطبعة العرفان ، سوريا ، ١٩٣٣ ، ص١٠١ .وربما تاريخ نشأة المدينة المذكور هذا يمثل ضمها إلى التشكيلات الادارية للولايات العثمانية وليس بداية نشأتها ، لأن الذاكرة الشعبية للمدينة وعلى لسان كبارها ، تذهب إلى القول بأن المدينة انشأت قبل مدينة الناصرية في العام ١٨٦٩ . مقابلة شخصية مع السيد كاظم باجي وناس الخالدي،باحث وكاتب له مقالات عديدة في مجالات اريخوالفلكلور،مدرس تاريخ متقاعد، قلعة سكر . ١٣ تموز ٢٠١٢ .

(١٤١) الشيخ مزعل آل حميدة: شيخ عشيرة آل حميدة وشيخ قبيلة بني ركاب العام، ولد في ريف قضاء الرفاعي في مقاطعة أبي جويري عام ١٨٧٦، وقف ضد الحكومة العثمانية التي وجهت له أنذاراً وطالبت بنفيه، اسهم في ثورة العشرين وشارك في مؤتمر المصيفي المشهور، قام بأعلان العصيان على الحكومة العراقية في العام ١٩٣٥ و١٩٣٦، إذ قامت الطائرات الحكومية بقصف داره مما ادى إلى استشهاد عدد من حرمه وأبناء عشيرته، مثل لواء المنتفك في المجلس النيابي في أثرته السابعة، عرف بشجاعته وكرمه، توفي في العام ١٩٤٧. يتولى الآن ولده الشيخ لهمود زعامة القبيلة .

(١٤٢) يحتفظ الباحث بنسخة اصلية من هذه الرِّسالة حصل عليها من عائلة المرحوم الشيخ شلاكة المزعل الحميدة شيخ عشائر بنو ركاب العام وهي تنشر لأول مرة .

(١٤٣) الشيخ صكبان علي الفضل آل عبد السيد : رئيس عشيرة خفاجة العام في الشطرة،ولد في مقاطعة المحرز في الشطرة في

العام١٨٩٠،أصبح ضابطاً في قوة الشبانة التي أنشأها الانكليز في العام١٩١٥وبقي في هذا المنصب حتى العام١٩١٨إذ استقال من منصبه ليتولى المشيخة بعد أن أصبح والده كبيراً في السن، أسهم في معركة الشعيبة في العام١٩١٥تسلم المشيخة بشكل نهائي بعد وفاة والده في العام١٩٢٢، وعند انبثاق الحكم الوطني في العراق، أصبح الشيخ صكبان عضواً ممثلاً للواء المنتفك في المجلس التأسيسي في العام١٩٢٤كما مثل اللواء عضواً في مجلس النواب في إحدى عشرة أثرة وأنضم إلى حزب الأخاء الوطني في نهاية العام١٩٣٠،توفي في آذارالعام١٩٦٦ . للمزيد . ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٥٢؛ حيدر شهيد جبر الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(١٤٤) تنشر هذه الوثيقة لأول مرة ويحتفظ الباحث بنسخة منها إذ حصل عليها من ورثة المرحوم الشيخ غني الصكبان العلي شيخ عشيرة خفاجه العام في الشطرة .

(١٤٥) ينظر: جميل موسى النجار، السيد كاطع العوادي وأثره الوطني في الحياة السياسية العراقية ١٩٠٨ ـ ١٩٤٥ ، بغداد ، ٢٠٠٥، ص ١٥٩ .

(١٤٦) في الثلاثين من حزيران العام ١٩٢٠ اندلعت شرارة الثورة في ناحية الرميثة التابعة لقضاء السماوة ضد السيطرة البريطانية وعد هذا التاريخ بداية لثورة العشرين التي امتدت شرارتها في ١١ تموز العام ١٩٢٠ إلى بقية مناطق الفرات الاوسط .

(١٤٧) مُحَمَّد رضا الشبيبي ١٨٨٩- ١٩٦٥: ولد في النجف ونهل من علومها وآدابها منذ نعومة اضافره، كان اديباً مرهف الحس ذا شاعرية متدفقة، تميزت مواقفه في ثورة العشرين بالثبات والجراءة، تسلم اكثر من مرة منصباً وزارياً كان اغلبها وزيراً للمعارف للسنوات ١٩٢٤ و١٩٣٥ و١٩٣٨ و١٩٤١ و١٩٤٨، واختير عضواً في مجلس الاعيان عام ١٩٣٥، وانتخب رئيساً له عام ١٩٣٧، وكان عضواً في المجلس النيابي غير مرة، وانتخب رئيساً له عام ١٩٤٤، منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة تقديراً لبحوثه في الادب والتاريخ، انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٢٣ وعضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٧ وكان أول رئيس للمجمع العلمي العراقي عام ١٩٤٨، يمتاز شعره بالجزالة وصدق العاطفة وبأغراضه الوطنية والقومية والإنسانية وله ديوان شعر مطبوع والعديد من المؤلفات . للمزيد عن حياته . يُنظر: علي عبد شناوة، مُحَمَّد رضا الشبيبي وأثره السياسي والفكري حتى العام ١٩٦٥، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣ . والكتاب في الاصل أطروحة دكتوراه .

(١٤٨) ينظر: اسعد الشبيبي ، شذرات من مذكرات العلامة الفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي ، القسم الثالث ، البلاغ " مجلة " السنة الرابعة ، العددان ٩- ١٠ والسنة الخامسة ، العددان ١ – ٢ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص٧٤ .

(١٤٩) الشيخ علي الفضل :شيخ عشيرة خفاجة العام ، ولد في أرياف منطقة الشطرة عام ١٨٣٠ وكان أول من أستجاب لنداء الجهاد في مقاومة الاحتلال البريطاني بزعامة السيد محمد سعيد الحبوبي عام ١٩١٥ إذ كان احد مستشاري الحبوبي في منطقة الشطرة ، توفي عام ١٩٢٢ وأخلف ولده الشيخ صكبان العلي في رئاسة العشيرة . للمزيد . ينظر: ثامر عبد الحسين العامري ، موسوعة أعلام القبائل العراقية ... ، ص ص١٩٤- ١٩٥ .

(١٥٠) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي المصدر السابق ، ص١٣٨ .

(١٥١) الضرائب المجباة من منطقة المنتفك بالروبيات . ينظر : عبد الله الجوراني ،المصدر السابق ، ص٩٤ .

(١٥٢) ينظر: مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠ ،المصدر السابق ،ص١١١ ؛علي الوردي،المصدر السابق،ج٥ق٢ ، ص٨١ .

(١٥٣) ينظر: مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠، المصدر السابق ، ص١١١ .

(١٥٤) نقلاً عن . شهاب التميمي ، تاريخ الشطرة ، الجزء الرابع ، كراس مطبوع غير منشور ، ٢٠٠٠ ص١١٢ .

(١٥٥) نقلاً عن . عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(١٥٦) لقد وجد البريطانيون ، ان سياسة تعيين الشيوخ بوظيفة مدير على منطقة اوكيل حكومي ، هي السياسة المنطقية التي يمكن بواسطتها ، معالجة الأوضاع الإدارية المظطربة في منطقة الناصرية ، مستفدين من تجاربهم السابقة في منطق القرنة ، وعلى اساس هذه السياسة قامت الإدارة البريطانية في العام ١٩١٧ بتعيين الشيخ حسن الجاسم ، احد شيوخ عشيرة البوشمخي وكيلا حكوميا لها في قضاء الشطرة " ثم استبدل بالشيخ خيون العبيد " والشيخ حمد الخميس " وهو من اصل نجدي " مديراً لناحية الخميسية والشيخ منشد الحبيب من شيوخ الغزي مديراً لناحية البطحاء والشيخ سليمان النصر الله شيخ عشيرة البو صالح مديراً لناحية البو صالح والشيخ حمودة المزيعل شيخ عشائر الحسن مديراً لناحية كرمة بني سعيد والشيخ طه الزيارة من قبائل الشطرة مديراً لناحية السويج والشيخ سيد السوز " من التجار البارزين " مديرا لناحية الكرادي " الرفاعي " والشيخ فرهود المغشغش شيخ بني خيكان مديراً لناحيتي العكيكة والحمار والسيد ابراهيم البعاج مديراً لناحية الدواية ، كما عينت الإدارة البريطانية الشيخ كاظم الحمداني من شيوخ عشائر سوق الشيوخ معاوناً لمعاون الحاكم الحاكم السياسي في سوق الشيوخ والشيخ صكبان العلي من شيوخ خفاجة قائداً لقوة الشبانة في الشطرة والشيخ ثامر السعدون قائداً لقوة الخيالة في سوق الشيوخ والشيخ سالم الخيون مديراً للجبايش ، وقد خصصت الإدارة البريطانية رواتب شهرية لهولاء المشايخ بين ٢٥٠- ٣٠٠ روبية . ينظر: علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، المصدر السابق ، ص ص١٢٥-١٢٧ .

(١٥٧) ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٢٦ ؛ عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص ص١٥٨- ١٦٠ .

(١٥٨) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص١٥٧ .

(١٥٩) هناك من يذهب إلى ان العشائر العراقية المحيطة بمدينة قلعة سكر ، تهيأت بقوتها المسلحة للثورة على الانكليز بنهاية شهر نيسان العام

١٩٢٠ بفعل توجيهات علماء الدين والوجهاء في مناطقهم وكذلك الرسائل التي كانت تصلهم من علماء الدين في النجف الأشرف . ينظر: شيماء طالب عبد الله المكصوص ، المنتفك دراسة تاريخية سياسية ١٩٢١-١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٩٨ ، ص٧٣ .

(١٦٠) شغل الكابتن كراوفورد منصب معاون الحاكم السياسي في قضاء قلعة سكر في ٢٨ شباط العام ١٩٢٠ خلفاً للكابتن بارتParrettالذي كان موجود فيها منذ العام ١٩١٨ وكان يتقاضى راتباً قدره ٤٠٠ أربعمائة روبية .

(١٦١) ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ،ص٢١ .

(١٦٢) ينظر: شيماء طالب عبد الله المكصوصي ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

(١٦٣) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي،المصدر السابق ، ص٢٠٧ .

(١٦٤) ينظر: المصدر نفسه،ص٢٠ .

(١٦٥) سقطت الطائرة في جنوب شرق مدينة قلعة سكر في مكان ارتبط تسميته بالحادث إذ يسمى اليوم بـ " أمطيارة " ،ومن الجدير بالذكر فأن أجزاء من هذه الطائرة ظلت موجودة في مكانها إلى وقت قريب، إذ طمرتها الاتربة بعد ذلك .

(١٦٦) ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

(١٦٧) ينظر: شيماء طالب عبد الله المكصوصي ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

(١٦٨) ينظر: المصدر نفسه ، ص٧٥ .

(١٦٩) ينظر: الدكتور علي الوردي، المصدر السابق،ج٥ ق٢،ص٨١ .

(١٧٠) نقلاً عن تقرير سري بريطاني . ينظر : نص التقرير في . علي ناصر الشمري، شيوخ وعشائر المنتفقك من خلال تقارير الإدارة البريطانية ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠١٠ ، ص١٧٥ .

(١٧١) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠ ؛ فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق،ص٢٠ ؛ عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

(١٧٢) تقع هذه الدار على نهر الغراف . ومن المؤسف ان هذا المعلم التاريخي الذي يمثل جزء مهماً من تاريخ مدينة قلعة سكر ورجالها ، تعرضت للأهمال وتغيرت معالمها أكثرمن مرة ثم بيعت لأكثر من مرة وهي تشغل اليوم كدار سكن لأحد الاشخاص .

(١٧٣) فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

(١٧٤) أملولة : تسمية محلية لنوع من البنادق العثمانية القديمه التي كانت تستخدمها العشائر العراقية . وكان السلاح في ذلك الوقت نادراً في مناطق الغراف فالسلاح المتيسر لدى العشائر اما بندقية من النوع الذي يملأ بالبارود والرصاص ملأً من رأسها أو شلفة أو خنجر أو مكوار أو فالة .

(١٧٥) ينظر:. D.H.Ditchburn O.B.E.D.,NasiriyahAdminnistratio reports MuntifakLiwa 1921 . p . 22؛ علي الوردي ، المصدر نفسه ، ج٥ق٢ ، ص٨١ .

(١٧٦) ونحن هنا لا نستبعد هذا الأمر من أن يكون الحاكم البريطاني في القلعة كراوفورد مدعواً للغداء عند أحد شيوخ عشيرة المشلب وجري نصب الكمين له والتحريض على قتله من قبل شيخ آل مشلب العام دون علم صاحب الدعوة،وربما حدث هذا الأمر نتيجة التنافس والنزاع الذي يقوم داخل العشيرة بين المشايخ على الوجاهة ورئاسة العشيرة ،إذ لعب الحكام البريطانيين أثرا مهما فيه . ينظر: نص التقرير السري البريطاني في . علي ناصر الشمري ، شيوخ وعشائر المنتفك ... ،ص١٩٧ .

(١٧٧) وعن تلك الحادثة ورد في تقرير بريطاني ما نصه: " ناصر الطربوش الذي حاول اغتيال كابتن كرافورد يسكن بالقرب من قلعة سكر " . نقلاً عن . الدكتور عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

(١٧٨) فبذلك التاريخ كان شيخ عشيرة آل مشلب العام هو الشيخ مكطوف مناحي يعقوب يوسف كليب آل مشلب وخلفه في المشيخة عند وفاته في نهاية العام ١٩٢٠ أخيه الشيخ جدوع الذي لم يبقى في المشيخة طويلاً بسبب قتله في نزاعات عشائرية في قلعة سكر في العام ١٩٢٣ ثم آلت المشيخة من بعده إلى إلى ولده الشيخ كليب الذي بقى فيها سنة ونيف إذ توفي فجأة ثم من بعده الشيخ ياسين المشلب الذي توفي في عام ١٩٤١ ثم اتى من بعده ولده الشيخ سعدون الذي توفي في العام ١٩٨٨ وحالياً يتزعم العشيرة الشيخ صاحب سعدون ياسين المشلب . ينظر: نص التقرير السري البريطاني في . المصدر نفسه ، ص١٩٧ ؛ مقابلة شخصية مع الشيخ صاحب سعدون ياسين المشلب ، قلعة سكر . ١٩ تموز ٢٠١٢ ؛ مقابلة شخصية مع السيد شذر راهي مكطوف المشلب ، قلعة سكر . ٢٠ تموز ٢٠١٢ .

(١٧٩) ينظر: الدكتور علي الوردي،المصدر السابق،ج٥ ق٢،ص٨١ .

(١٨٠) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .

(١٨١) الشيخ موحان بن يوسف الخير الله: شيخ عشيرة الشويلات في الناصرية ، ولد في قرية آل خير الله بمدينة الرفاعي عام ١٩٠٠، تتلمذ على يد علماء الحوزة العلمية في النجف وكانت له مكتبة عامرة بالكتب ، يتمتع بثقافة ولباقة في الحوار والمحادثة ، كان عضواً في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤، انتخب نائباً عن لواء المنتفك في المجلس النيابي في أثرات متعددة ، توفي في العام ١٩٥٦. ينظر: عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات...، ج١، ص ص ٢٩٠-٣٠٣ .

(١٨٢) ينظر: شيماء طالب عبد الله المكصوصي ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(١٨٣) ينظر: صلاح مهدي علي الفضلي ، الأثر الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٢ ،منشورات دار المرتضى للكتاب،بيروت، ٢٠١١ ، ص١٧٨ . والكتاب في الاصل رسالة ماجستير .

(١٨٤) ينظر: المصدر نفسه،ص١٧٨ .

(١٨٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٧٨ .

(١٨٦) ينظر: الدكتور علي الوردي،المصدر السابق ، ج٥ق٢، ص٨١ .

(١٨٧) ينظر: علي ناصر الشمري ، شيوخ وعشائر المنتفك ... ،ص١٧٦ .

(١٨٨) ينظر: الدكتور علي الوردي، المصدر السابق،ج٥ق٢ ،ص٨١ .

(١٨٩) وهناك من يذكر بأن العديد من اهالي قلعة سكر " كل له غاية معينة " شارك بالهجوم على دار الحاكم البريطاني في المدينة التي تم حرقها في النهاية . وهم : الحاج علي العيسى محيميد الكناني والحاج خريوت حمزة كمير محمد الدبي والحاج جهيد السلمان والسيد هاشم السيد محمد البصام وغيرهم . مقابلة شخصية مع السيد حسين السيد علي الياسري ، معلم متقاعد . قلعة سكر . ١٩ تموز ٢٠١٢ .

(١٩٠) قوات الليفي " الشبانة " : وهي قوة مسلحة من أبناء العشائر الذين تطوعوا للخدمة في دوائر الحكام السياسيين البريطانيين وهناك من يعدهم " بالمرتزقه " ،تشكلت نواتها الأولى في عام ١٩١٥ من النقيب البريطاني مكفرسن Mecpherson لحماية طرقا لمواصلات بين القرنة والعمارة ثم أوكلت لها العديد من المهام إذ كانوا يعملون بصفة حراساً ومراسلين ثم أصبحوا يقومون بأداء الواجبات التي تؤديها الشرطة ، وكانت أولى هذه القوات قد تشكلت في مدينة الناصرية . للمزيد عن هذه القوات ومراحل تشكيلها . ينظر: العميد جي . كليبر تبراون، قوات الليفي العراقية ١٩١٥ – ١٩٣٢ ، ترجمة وتحقيق، مؤيد ابراهيم الوندواي ، مراجعة ، رفيق صالح ، السليمانية ، ٢٠٠٦ ،ص٤٣ وما بعدها .

(١٩١) ينظر: عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ... ،ص٣٠٠ .

(١٩٢) الشيخ حسن الدخيل : ينظر ترجمة حياته في ص من البحث . ويقال ان الشيخ حسن أطلق عدة طلقات من بندقيته من دار أحد العوائل المعروفة في المدينة وتسمى عائلة " نيري عزيز " على العلم البريطاني في سراي الحكومة في قلعة سكر قبل أنزاله ورفع علم الثورة العربية مكانه . مقابلة شخصية مع السيد صباح عبد اللهورش، معلم متقاعد . قلعة سكر . ١٥تموز ٢٠١٢ .

(١٩٣) الحاج الشيخ عبد العباس مهدي الغريباوي : ولد في قلعة سكر ، من شيوخ عشيرة آل غريب الغزيو معتمد المرجعية الدينية في قلعة سكر ومن خطباء المنبر الحسيني ، يعمل مع أبناءه في التجارة الحرة ، وهو شخصية محترمة تتمتع بأحترام كبير وذات نفوذ واسع في منطقة الغراف وله اسهامات كثيرة في عمل الخير .

(١٩٤) روى الشيخ طربوش حسين العميري ، إلى ان دار الضابط البريطاني كراوفورد قد تعرضت فعلاً إلى النهب والحرق والسلب وأن البعض من الناس هم من قاموا بهذا العمل . مقابلة شخصية مع نجله السيد عمران طربوش حسين العميري ، آديب وشاعر ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(١٩٥) مقابلة شخصية مع الشيخ حميد بلاسم الغدير ، معلم متقاعد ، قلعة سكر . ٢٢ تموز ٢٠١٢ .

(١٩٦) ينظر: صلاح مهدي علي الفضلي ، المصدر السابق،ص١٧٨ .

(١٩٧) نقلاً عن تقرير سري بريطاني . ينظر: نص التقرير في ، علي ناصر الشمري ، شيوخ وعشائر المنتفك ... ، ص١٩٧ .

(١٩٨) السير ارنولد ويلسون ١٨٨٤-١٩٤٠: عسكري وسياسي بريطاني ولد في انشكولنشاير "*lincoIinshire*" شرق بريطانيا عمل مقيماً سياسياً في الخليج العربي، ثم شغل منصب القنصل البريطاني العام في فارس وعربستان ثم عمل عضواً في اللجنة الرباعية التي تألفت لتثبيت الحدود بين فارس وتركيا عام ١٩١٤، قدم مع الحملة البريطانية على العراق عام ١٩١٤ بوصفه مساعد الضابط السياسي الأول تحت أمرة السير بيرسي كوكس وكان برتبة نقيب، ثم أصبح وكيلاً للمفوض الملكي المدني في العراق، بعد استدعاء بيرسي كوكس وتعيينه سفيراً في طهران عام ١٩١٨، كان من المؤمنين بآراء المدرسة الهندية وكان يرغب بجعل العراق مستعمرة ملحقة بالهند جنوب غرب فارس " ايران حالياً "، وبعد قيام ثورة العشرين وفشله في اخمادها، نقل إلى بريطانيا في ١١ تشرين الأول عام ١٩٢٠، عمل بعد ذلك في شركة النفط الانكليزية الفارسية العاملة في الخليج العربي، انتخب في البرلمان البريطاني وكان عضواً في حزب المحافظين، تطوع خلال الحرب العالمية الثانية جندياً في سلاح الطيران وقتل عندما سقط من اعلى الطائرة، له عدة مؤلفات اشهرها " بلاد بين النهرين بين ولائين " بجزءين والثورة العراقية وغيرها . للمزيد . يُنظر:سؤدد كاظم مهدي، ارنولد ولسن وأثره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب،

جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ص ٤١-٤٩ .

(١٩٩) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .

(٢٠٠) ينظر: علي ناصر الشمري ، شيوخ وعشائر المنتفق ، المصدر السابق ، ص١٧٦ .

(٢٠١) المصيفي : جدول يقع جنوب قضاء الرفاعي بمسافة ٩ اميال تقريبا واطلق المؤرخون على هذا الأجتماع اسم " مؤتمر المصيفي " نسبة إلى نهر يجري في آراضي بني ركاب ويتفرع من الجانب الايمن لنهر الغراف ويتجه غربا بطول ١٥ ميلاً تقريباً واخذت المنطقة والتي هي قرى زراعية تسكنها اغلبية عشائرية من عشيرة آل يوسف من بني ركاب التي يتزعمها الشيخ إبراهيم اليوسف انذاك ، شهرتها بعد انعقاد هذا المؤتمر ، اما اصل التسمية ، انه عند افتتاح هذا الجدول كان ماؤه صافياً بسبب بطيء جريانه لقلة انحداره فشبهه البعض بالمصفى ومن تصغير مصفى جاءت كلمة مصيفي . للمزيد عن هذا الأجتماع ومقرراته . ينظر: محمود جوار العكيلي ، قراءة جديدة في مؤتمر المصيفي ١٩٢٠ ، مخطوط لم ينشر كاملاً ونشر قسماً منه في .الناصرية " جريدة " الناصرية . ٢٠٠١/٩/٢٩ ؛ عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ... ،ص٣٠٠ .

(٢٠٢) قضاء الرفاعي حالياً .

(٢٠٣) دأب بعض المؤرخين والكتاب على تسميته بمؤتمر وهو ليس كذلك ، لأن ألمؤتمر له شروطه وقواعده المعروفة ، وكل الذي جرى هو اجتماع لمدة ساعات بين بعض مشايخ ووجهاء مدن لواء المنتفك بالقرب من جدول المصيفي . وتماشياً مع مسميات تلك الاحداث وحتى لا تلتبس الامور على القارىء اخذنا بتلك التسمية .

(٢٠٤) ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٢٠٥) عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد آل عون: أمير شرقي الاردن ثم ملك المملكة الاردنية الهاشمية، ولد في مكة عام ١٨٨٢ وكان الابن الثاني للحسين وعبدية بنت عبد الله اللذين كانا أبناء عمومة مباشرين، تلقى تعليمه في الاستانة، عاد إلى الحجاز واصبح نائباً عن مكة في مجلس النواب العثماني، اشترك مع والده في الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، وهو أول من وضع أسس أمارة شرق الاردن عام ١٩٢١ وسمي ملكاً عام ١٩٤٦، أغتيل على يد شاب فلسطيني يعمل خياطاً في الحادي والعشرين من عمره يدعى مصطفى عشو عند اداء الملك صلاة الجمعة في المسجد الاقصى في القدس عام ١٩٥١ ودفن فيها . ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٨٢ ؛ ماري ولسن، عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية، ترجمة فضل الجراح، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢١ .

(٢٠٦) عن مقررات هذا المؤتمر . ينظر: عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط٢، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص١٨٥ ؛ فريق المزهر الفرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص٣٤٣ ؛ وميض عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والأجتماعية للحركة القومية العربية الأستقلالية في العراق ، ط٢، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٣٠ .

(٢٠٧) الشيخ إبراهيم يوسف عطا الله : شيخ عشيرة اليوسف من قبيلة بني ركاب ، ولد في مضارب وأرياف قبيلته في العام ١٨٨٩ وهو أحد الأقطاب الرئيسة في مؤتمر المصيفي ، كان له أثر متميز في حركة الجهاد في العام ١٩١٤ – ١٩١٥ ، له معرفة تامة بشؤون العشائر ويتمتع بوعي ونضوج فكري ولباقة في إدارة الحديث ، أهتم الشيخ إبرهيم بالتعليم وله الفضل وبمعونة الآخرين في بناء أول مدرسة ابتدائية في قريته وربما في قبيلة بني ركاب كلها في العام ١٩٣٤ ، إذ أقتصرت في أول الأمر بقبولها على ابنائه واقاربه ولكنها توسعت بعد ذلك وقبلت اعداد اخرى من ابناء الفلاحين ، وفي العام ١٩٥٨ سمح الشيخ إبراهيم بدخول البنات مع الأولاد لغرض الدراسة والتعلم ، توفي الشيخ إبراهيم في قريته الشوجة في العام ١٩٦٩ . للمزيد . ينظر: محمود جوار العكيلي ، المصدر نفسه ، ص٤ ؛ ثامر عبد الحسن العامري ، موسوعة العشائر العراقية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص٨٤ .

(٢٠٨) ولد الشيخ محمد شلال فيصل غياض مبارك راشد أحمد الخنفر في قرية آل شلال في ناحية النصر في الشطرة في العام ١٨٩٠ وهو من كبار مشايخ قبيلة بني ركاب وشيخ عشيرة البو عطا الله إحدى عشائر الخنفر ، وفي الحكم الوطني أصبح نائباً عن لواء المنتفك في الأثرة الثامنة لمجلس النواب العراقي ، توفي في العام ١٩٥٠ . للمزيد . ينظر: علي صالح الكعبي ، نواب آلوية الحلة والديوانية والمنتفك في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي ١٩٢٥ – ١٩٥٨ ، دار الينابيع ، السويد ، ٢٠١١ ، ص١٥٨ .

(٢٠٩) الشيخ صكبان علي الفضل آل عبد السيد : رئيس عشيرة خفاجة العام في الشطرة ، ولد في مقاطعة المحرز في الشطرة في العام ١٨٩٠ ، أصبح ضابطاً في قوة الشبانة التي أنشأها الانكليز في العام ١٩١٥ وبقي في هذا المنصب حتى العام ١٩١٨ إذ استقال من منصبه ليتولى المشيخة بعد أن أصبح والده كبيراً في السن ، أسهم في معركة الشعيبة في العام ١٩١٥ تسلم المشيخة بشكل نهائي بعد وفاة والده في العام ١٩٢٢ ، وعند انبثاق الحكم الوطني في العراق ، أصبح الشيخ صكبان عضواً ممثلاً للواء المنتفك في المجلس التأسيسي في العام ١٩٢٤ كما مثل اللواء عضواً في مجلس النواب في إحدى عشرة أثرة وأنضم إلى حزب الأخاء الوطني في نهاية العام ١٩٣٠ ، توفي في آذار العام ١٩٦٦ . للمزيد . ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٥٢ ؛ حيدر شهيد جبر الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(٢١٠) السيد عبد المهدي المنتفجي او المنتفكي: هو السيد عبد المهدي حسن ناصر آل شبر ، ولد في قضاء الشطرة عام ١٨٩٠ وشارك منذ شبابه في الحركة الوطنية فأنضم الى الجمعية العربية اللأمركزية وجمعية الاصلاح في البصرة فضلاً عن مساهمته الفاعلة في ثورة العشرين ، انتخب نائباً عن لواء المنتفك في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤ ثم انتخب نائباً في المجلس النيابي عن المنتفك أيضاً للأثرات الاولى والثانية والرابعة والسادسة والثامنة والتاسعة كما عين عضواً في مجلس الاعيان في تشرين الاول عام ١٩٤١ ووزيراً للأقتصاد عام ١٩٤١، اشتهر المنتفكي بمواقفه الصلبة في البرلمان في الدفاع عن المشاريع الزراعية في المنتفك ونتيجة لكثرة الحاحه على اصلاح نهر الغراف اطلق عليه الملك فيصل الأول اسم " النائب العطشان " . للمزيد . ينظر: مؤيد شاكر كاظم الطائي ، السيد عبد المهدي وأثره في العراق ، رسالة ماجستير

غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص٢٠ .

(٢١١) هو السيد دخيل طاهر موسى الفياض والد الاكاديمي المعروف الاستاذ الدكتور عبد الله الفياض مؤلف كتاب الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ وغيرها من الكتب .

(٢١٢) ويذكر ان بعض عشائر الغراف حضرت المؤتمر ولم تذكر أسماء رؤسائهم في البيان الموقع لكونهم كانوا محسوبين ضمن عشائر آخرى وخولوا بالتوقيع عنهم كبار الرؤساء امثال الشيخ خيون العبيد والشيخ موحان الخير الله ، وهناك عشائر آخرى في الغراف لم تشارك في المؤتمر نتيجة اشتراك أفرادها في الجيش الانكليزي أو قوة الشبانة . ينظر: عبد الله الفياض ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ .

(٢١٣) عقد المؤتمر في ساحة مدرسة المصيفي الحالية في الجانب الأيمن لنهر الغراف ، وقد استضاف الشيخ إبراهيم اليوسف المؤتمرين وأعد لهم بيوتاً من الشعر في تلك الساحة المكشوفة ليحتمي بها المجتمعون عن حرارة الصيف ، كما كلف بعض الأشخاص من قريته لأعداد طعام الغداء للحاضرين . ينظر: محمود جواد العكيلي ، المصدر السابق ، ص٤ ؛ فاطمة فالح جاسم الخفاجي ،المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٢١٤) ينظر: عبد العال وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

(٢١٥) ينظر: المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

(٢١٦) ينظر: نص التقرير في . علي ناصر حسين ، شيوخ وعشائر المنتفك ...، ص ص ٢٢٥- ٢٢٦ .

(٢١٧) ينظر: نص التقرير في ، المصدر نفسه،ص١٨٣ .

(٢١٨) ينظر: مذكرات برترام توماس ، المصدر السابق ، ص١٥١ ؛ محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٢٣ ، ص٢٥٤ ؛ عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية ... ، ص٣٠٣ ؛ علي الوردي ، المصدر السابق ،ج٥ق٢، ص٩١ .

(٢١٩) ينظر: مذكرات برترام توماس ، المصدر السابق ، ص١٥١ ؛ محمد مهدي البصير ، المصدر نفسه ، ص٢٥٤ ؛ عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية ... ، ص٣٠٣ ؛ علي الوردي ، المصدر السابق ،ج٥ق٢، ص٩١ .

(٢٢٠) كان الكثير من ضعاف النفوس والخونة يعملون جواسيساً للانكليز مثل الحاج الماس الذي شبهه المهوال بالجمباز أيالشاذي والحاج الماس هذا ، هو من أهالي الشطرة وكان جاسوساً يعمل للانكليز إذ كان ينقل الأخبار والمعلومات إلى الضباط البريطانيين ومنهم توماس الذي كان يعتمد عليه كثيراً . ينظر : حيدر شهيد جبر الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٤١ .

(٢٢١) ينظر: المصدر نفسه ، ص٤١ .

(٢٢٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص٤٣ ؛ علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ق٢ ، ١٠٩ .

(٢٢٣) ولم يكد توماس أن يغادر الشطرة حتى أسرع أفراد العشائر إلى السراي وبيت الحاكم ونهبوها وأنزلوا العلم البريطاني ، وعلى هذا الأساس أصدرت القيادة البريطانية بلاغاً تقول فيه : " أن معاون الحاكم السياسي وقائد الشبانة اضطر إلى مغادرة الشطرة بسبب عدم سكون العشائر " . ينظر: عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ... ، ص٣٠٢ ؛ فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٣ ؛ العراق " جريدة " العدد ٧٦ ، بغداد ، ٣٠ آب ١٩٢٠ ؛ آرنولد ويلسن ، الثورة العراقية ...، ص١٠٩ .

(٢٢٤) ينظر: علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ق٢ ، ص١٠٥ .

(٢٢٥) ينظر: علي البازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، ط٢، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١٩٣ .

(٢٢٦) ينظر: الفريق سر آلمرهالدين ، ثورة العراق سنة ١٩٢٠ ، ترجمة فؤاد جميل ، مطبعة دار الزمان ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ص٢٢٠- ٢٩٠ .

(٢٢٧) ينظر: المصدر نفسه ، ص ص٢٢٠ – ٢٩٠ .

(٢٢٨) نقلاً عن . علي ناصر الشمري، شيوخ وعشائر المنتفك ... ،ص ص ١٧٦ -١٩٧ .

(٢٢٩) ينظر : عبد الله الجوراني ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٢٣٠) ينظر : المصدر نفسه ، ص٧٨ .

(٢٣١) ينظر: عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ... ،ص٣٠٧ .

(٢٣٢) ينظر : علي ناصر حسين ، شيوخ وعشائر لواء المنتفك في الوثائق البريطانية ، دراسة لأحوال عشائر المنتفك منذ أواخر العهد العثماني إلى نهاية عهد الملك فيصل الأول ١٩٣٣ ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص٢١ .

(٢٣٣) ينظر: فاطمة فالح جاسم الخفاجي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٢٣٤) **وهي نزع سلاح العشائر وفرض غرامات مالية على بنادق الأشخاص وقد تم تنفيذ هذه الشروط بصعوبة بالغة . ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٤ .**

(٢٣٥) **ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٤ ؛ ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، تعريب عبد الواحد كرم ، مراجعة عبد الرزاق الحسني ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص٢٥٠ .**

(٢٣٦) **ينظر : نص البلاغ في . وثائق الثورة العراقية الكبرى ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .**

(٢٣٧) **ينظر : المصدر نفسه ، ص ص١٤٠ – ١٤٨**

التنظيم الدولي للرقابة على الإنتخابات الوطنية
دراسة تحليلية

م. د احمد تقي فضيل / كلية القانون / جامعة واسط
م. م سامر محي عبد الحمزة / كلية القانون / جامعة واسط

Summery

The third millennium transition to democratic systems, after decay socialist model and models totalitarian other that fell with the fall of the Berlin Wall 1989, and elections are the cornerstone of the democratic system, which is based on the representation, and most of the state transition to this system fledgling mechanisms of this system, the most important fair general elections reflect the will of the people the truth.

Here arises censorship on the fairness of the elections, which are often of national institutions is unable to carry out this task effectively, which highlight the international Observation as the best solution to ensure the integrity of the elections and to convince the international community of

the legitimacy of power emanating from those elections.

This thesis will be Dedicate to Search The subject of International Election Observation.

مقدمة

تعد الألفية الثالثة مرحلة التحول إلى النظم الديمقراطية ، بعد اضمحلال النموذج الإشتراكي والنماذج الشمولية الأخرى التي سقطت مع سقوط جدار برلين ١٩٨٩، ولا يخفى بأن الإنتخابات هي حجر الأساس في النظام الديمقراطي إذ تقوم على التمثيل النيابي ، واغلب الدول المتحولة إلى هذا النظام حديثة العهد بآليات هذا النظام ، وأهمها وجود انتخابات عامة نزيهة تعكس إرادة الشعب الحقيقية . وهنا يثار موضوع الرقابة على نزاهة الإنتخابات التي غالباً ما تكون المؤسسات الوطنية غير قادرة على الاضطلاع بهذه المهمة بصورة فعالة ، عندها تبرز الرقابة الدولية بوصفها الحل الأمثل لضمان نزاهة الإنتخابات وإقناع المجتمع الدولي بشرعية السلطة المنبثقة من تلك الإنتخابات . وقد شهد العراق- بعد سقوط النظام السياسي السابق عام ٢٠٠٣- عدة انتخابات مهمة كان حضور المراقبين الدوليين فيها أمراً بارزاً .

وتتجلى أهمية البحث بكون موضوع المعالجة القانونية لمسألة الرقابة التي تمارسها المنظمات الدولية (الرسمية وغير الرسمية) لم تلق أهمية توازي اهميتها في الواقع العملي ، فتقارير الرقابة الدولية من الممكن ان تؤدي الى سقوط حكومات والغاء نتائج الإنتخابات العامة والقدح بشرعية السلطة المنبثقة من الإنتخابات ، لذلك نحاول في هذا البحث تسليط الضوء على كيفية ما يجري عليه التعامل الدولي في محاولته لتنظيم هذه الرقابة . وسوف نعتمد المنهج التحليلي منهجاً رئيساً للبحث لتعلق الموضوع بمسألة تخضع بشكل اساس للتنظيم الدولي دون الوطني (وان كانت بعض التشريعات الوطنية قد نظمت بصورة مقتضبة مسألة المراقبين الدوليين) .

أما عن خطة البحث فانه يقسم الى مبحثين ، يتناول المبحث الاول منه دراسة مفهوم الرقابة الدولية على الإنتخابات وتطورها ، ويتناول المبحث الثاني صور الرقابة الدولية على الإنتخابات .

المبحث الاول

دراسة مفهوم الرقابة الدولية وتطورها

ويقسم هذا المبحث على مطلبين ، نبحث أولاً في مفهوم الرقابة الدولية إذ نتناول امفهوم اللغوي وامفهوم الاصطلاحي ، ونخصص المطلب الثاني للتطور التاريخي للرقابة الدولية ، اما المطلب الثالث فسوف نخصصه للأساس القانوني للرقابة الدولية على الإنتخابات .

المطلب الاول

مفهوم الرقابة الدولية

الفرع الأول- المدلول اللغوي

ينصرف استخدام كلمة الرقابة في اللغة العربية إلى معنى الملاحظة والرصد .[١] أما في اللغة الانكليزية فتتنوع الكلمات وتكثر لتعِبر عن مفهوم الرقابة الدولية . فالإتفاقات الدولية تستخدم أحيانا تعبير الرقابة (Monitoring) أو المراقبة (Supervision) أو الملاحظة (observation) أو التحقق (Verification) . فهل أن الكلمات السابقة تستخدم كمترادفات تشير لمعنى واحد ؟ أم أن لكل تعبير معناه الذي يطابق معناه اللغوي؟

هناك رأيان تجاه هذا الموضوع : الاول[٢]- يرى أن الإختلاف بين كل من تلك التعبيرات هو اختلاف في درجة تدخل المراقب الدولي في العملية الإنتخابية ، فالرقابة (Monitoring) تكون رقابة شاملة لمرحلة ما قبل الإنتخابات وأثنائها وما بعدها ، وتشمل سلطة المراقب الدولي في فحص عملية الانتخاب والتدخل في العملية الإنتخابية إذا تبين للمراقب أن هناك خرقا او تجاهلاً للقوانين الوطنية المرعية أو المعايير الدولية المتعارف عليها . أما الملاحظة (observation) فيقتصر على مراقبة العملية الإنتخابية أثناء العملية الإنتخابية ويقتصر على جمع المعلومات التي تخص الإنتخابات وتكوين رأي غير رسمي مبني على تلك المعلومات . أما مفهوم المراقبة (Supervision) فينصرف إلى فحص كل أو بعض مراحل العملية الإنتخابية وتدقيقها سواء كان قبل إجراء الإنتخابات أو بعدها " ، ويستند هذا الرأي إلى أن بعض الاتفاقات الدولية تأخذ بذلك التمييز منها دليل رقابة الإنتخابات وفرق الرقابة الذي تبناه الاتحاد الإفريقي [٣].

أما الرأي الثاني فيذهب إلى أن التعبيرات السابقة تستخدم كمترادفات ينصرف معناها إلى فعل الرقابة الإنتخابية دون الاعتداد بمضمونها اللغوي الحرفي[٤]. ويدعَّم هذا الاتجاه رأيه بان اغلب الاتفاقات الدولية لا ترتب أي أثر قانوني على هذا التفرقة[٥]. وقد لقي هذا الرأي تأييدا من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في إحدى قراراتها .[٦]

والرأي الأقرب إلى المنطق هو الرأي الثاني لأن تبني الرأي الاول قد يُربِك عمل فرق الرقابة الدولية

ويفرض على كل فريق أن يبين مقدماً نوع الرقابة التي سيمارسها وحدودها ، وهذا ما قد يقوِّض جهود المجتمع الدولي والمنظمات الدولية في توحيد وتقنين معايير الرقابة الدولية .[٧] وتجدر الإشارة في هذا الصدد أن التعبيرات السابقة تختلف عن (المساعدة الإنتخابية Election Assistance) الذي يقتصر مدلولها على تقديم الدعم الفني وغالباً ما تتولاه منظمة الأمم المتحدة عن طريق مكتب المساعدة والدعم الفني للانتخابات (UNEAD) التابع لها.[٨]

الفرع الثاني- المدلول الاصطلاحي

لم تتطرق التشريعات الإنتخابية الوطنية إلى تعريف الرقابة الدولية - بما فيها قوانين الإنتخابات العراقية النافذة - وبالرغم من ذلك نجد أن هناك تعريفاً رسمياً للرقابة الدولية في القانون الدولي ، إذ تم تعريفها في الاعلان الدولي الخاص بمبادئ المراقبة الدولية للانتخابات ومدونة قواعد السلوك لمراقبي الإنتخابات الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة عام ٢٠٠٥ بأنها " عملية جمع منظم ودقيق لكل المعلومات المتعلقة بالقوانين والإجراءات والمؤسسات التي لها صلة بالإنتخابات دون التأثير على سير الإنتخابات "[٩] ، في حين عرفها المعهد الدولي للديمقراطية والمساعدة الإنتخابية - أحد منظمات الرقابة الدولية- بأنها " تجميع هادف ومنسق للمعلومات التي تخص العملية الإنتخابية للتوصل إلى أحكام موضوعية لمجرى الإنتخابات استناداً لتلك المعلومات"[١٠]

والغاية من الرقابة الدولية كما يرى بعض الباحثين هي إطلاع المجتمع الدولي على سير العملية الديمقراطية في الدولة التي تطلب ذلك للوقوف على مدى اتفاقها مع المعايير الدولية للديمقراطية ، ومدى تعبيرها عن إرادة الشعوب .[١١]

ويرى مجلس المفوضين في المفوضية العليا للانتخابات في العراق أن الهدف من اعتماد فرق المراقبة الدولية هو "ضمان القيام بالعملية الإنتخابية على وفق القانون الإنتخابات العراقي والمعايير الدولية والتأكد من شفافية ونزاتها وعدالتها العملية الإنتخابية بكل مراحلها مما يؤدي بالنهاية إلى زيادة ثقة المواطنين بجميع مراحل العملية الإنتخابية"[١٢].

فمسألة الرقابة الدولية على الإنتخابات بكل أشكالها(الرئاسية او البرلمانية) ترتبط بالأنظمة الديمقراطية التي تعد الإنتخابات تعبيراً عن إرادة الشعب[١٣]. فالإنتخابات هي الوسيلة الديمقراطية لوصول الحكام إلى السلطة[١٤]، لكن مجرد وجود انتخابات لا يعطي الشرعية السياسية (الوطنية او الدولية) لذلك لابد من وجود ضمانات لمصداقية هذه الإنتخابات .

وتختلف هذه الضمانات من ضمانات تشريعية إجرائية يقررها المشرع لحماية العملية الإنتخابية ويخولها للجهات القائمة على تنفيذ الإنتخابات لحمايتها من التزوير او البعد عن الحقيقة[١٥]، او ضمانات قضائية يعطى فيها للقضاء الدور الحاسم في تقرير سلامة الإنتخابات ، فضلاً عن رقابة الإعلام وممثلي الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني[١٦] . لكن كل هذه الضمانات هي ذات طبيعة وطنية تمارسها الدولة الحاكمة وهيئاتها الحاكمة والتي لها المصلحة في فوز هذا الطرف او ذاك . وهنا يبرز دور الجهات الدولية لممارسة هذه الرقابة او الإشراف .

وللرقابة الدولية وظائف أخرى منها :

١- تقديم الدعم الفني للدولة المضيِّفة و أداء دور الوسيط بين الأطراف المتنازعة.[١٧]
٢- الإعلان عن المشاكل التي ترافق الإنتخابات أمام الرأي العام مما يسهل في معرفتها ومعالجتها.
٤- الكشف عن التزوير الانتخابي الذي قد تسعى له إحدى الأطراف المشاركة[١٨]، إذ أثبتت التجارب التاريخية أن الرقابة الدولية هي خير وسيلة لإشهار التزوير والتلاعب بالإنتخابات . من ذلك تقارير الرقابة الدولية عن تزوير الإنتخابات الرئاسية في الفلبين عام ١٩٨٦ من قبل الرئيس فرديناند ماركوس[١٩]، وتزوير الإنتخابات الرئاسية في بنما عام ١٩٨٩ من قبل الجنرال امانويل نورييغا [٢٠] وغيرها[٢١].

المطلب الثاني

التطور التاريخي للرقابة الدولية

يشير المؤرخون إلى أن اول رقابة دولية للانتخابات كانت عام ١٨٥٧ بموجب معاهدة باريس التي أسست لجنة اوروبية لرقابة الإنتخابات في ملدافيا[٢٢]، وبدأت الرقابة الدولية تتخذ منحنى تصاعدياً ، إذ يمكن التمييز بين ثلاث ادوار مرت بهما الرقابة الدولية[٢٣]:

الاول-(١٩١١-١٩٤٥) :

يمثل هذه التاريخ انتهاء الحقبة الاستعمارية التي سيطرت فيها الدول الاوربية على اغلب مناطق العالم ، تلا ذلك تحرر الكثير من الدول المستعمرة وتحولها إلى دولة مستقلة ، لكن الدول الإستعمارية قبلت الإلتزام القاضي بالإشراف على تمكين الدول المستعمَرة من حكم نفسها بنفسها واتخاذها أشكالاً للحكم الديمقراطي ، وهو ما ألزم عصبة الأمم ومن بعدها الأمم المتحدة الإشراف على تمكين تلك الدول المستقلة من إدارة شؤونها بنفسها تحت إشراف دولي .

الثاني- (١٩٤٥-١٩٩٠) :

تعاظمت من أهمية الرقابة الدولية مع التوقيع على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتُمد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة ١٩٤٨[٢٤]. وتم تأكيد ذلك بقرار آخر للجمعية العامة سنة ١٩٦٦ بشأن العهد الدولي للحقوق المدنية والإقتصادية لسنة ١٩٦٦.[٢٥] إذ وضعت الأساس القانوني للرقابة الدولية كما سنرى .[٢٦]

الثالث-(١٩٩٠- الوقت الحاضر) :

تزايدت من أهمية الرقابة الدولية مع انهيار المعسكر الإشتراكي وانتهاء الحرب الباردة ، الذي قاد إلى تحول اغلب الدول التي تتبع الأنظمة الشمولية أي القائمة على (نظام الحزب الواحد) إلى أنظمة ديمقراطية ، لاسيما دول اوروبا الشرقية والجمهوريات الروسية ، إذ كانت تلك الدول في طريق التحول الديمقراطي الذي يقتضي تعدد الأحزاب وإجراء الإنتخابات النزيهة ، وقد كان ذلك عاملا مهما لدفع اغلب هذه الدول لطلب المساعدة الدولية او الإقليمية في الإعداد للانتخابات والتحضير لها والإشراف عليها .

وقد وصلت أهمية الرقابة ذروتها في الأعوام من ١٩٨٩-١٩٩١ تماشياً مع التحول في النظام الدولي العالمي بعد انتهاء الحرب الباردة . وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أنها ومنذ عام ١٩٨٩ تلقت ١٤٠ طلباً رسمياً من الدول الأعضاء للإشراف والمساعدة في الإنتخابات المحلية[٢٧] وقد أسهم في ذلك مناخ عدم الثقة الذي أفرزته الدكتاتوريات الحاكمة في دعم الإتجاه إلى ضرورة الإستعانة برقابة خارجية على العملية الإنتخابية .[٢٨] ويتجه الفقه الدولي الى اعتبار ان الرقابة الدولية قد تطورت بشكل ملحوظ خلال العقود الأخيرة حتى أصبحت مبدأ من مبادئ القانون الدولي العام .[٢٩]

المطلب الثالث

الأساس القانوني للرقابة الدولية

تجد الرقابة الدولية أساسها في المواثيق والمعاهدات الإقليمية والدولية التي أقرت الحق في انتخابات نزيهة للمواطنين كافة كونه حقاً من حقوق الإنسان وقد تم ترجمة تلك الحقوق إلى آليات للرقابة :

الفرع الاول- المواثيق الدولية والإقليمية :

اولاً- المواثيق الدولية :

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي نصت المادة ٢١ منه على" إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة ، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع او حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت"[٣٠] ، فهذه المادة تشير إلى وجوب وجود آليات تضمن نزاهة الإنتخابات ، ولعل أهمها هي الرقابة على تلك الإنتخابات وطنيةً كانت ام دولية .

٢- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية و السياسية ، إذ أشارت المادة ٢٥ منه على أن يكون لكل مواطن الحقوق (التي يجب أن تتاح له فرصة التمتع بها دون قيود غير معقولة):

(أ) أن يشارك في إدارة الشؤون العامة ، إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون في حرية .

(ب) أن ينتخِب ويُنتخَب ، في انتخابات نزيهة تجرى دورياً بالاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين

الناخبين وبالتصويت السري ، تضمن التعبير الحر عن إدارة الناخبين .

ثانياً- المواثيق الإقليمية [٣١] :

١- الميثاق العربي لحقوق الإنسان[٣٢]: نظمت المادة الرابعة والعشرون منه بصورة غير مباشرة حق المواطن في انتخابات نزيهة إذ نصت على " لكل مواطن الحق في :
١- حرية الممارسة السياسية .
٢- المشاركة في إدارة الشؤون العامة إما مباشرة او بواسطة ممثلين يختارون بحرية .
٣- ترشيح نفسه او اختيار من يمثله بطريقة حرة ونزيهة وعلى قدم المساواة بين جميع المواطنين بإذ تضمن التعبير الحر عن إرادة المواطن ."
مع ملاحظة أن الميثاق العربي لم يتطرق بصورة مباشرة إلى حق المواطن في انتخابات عامة أسوة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإنما أشار إلى حق الشعوب في أن تقرر بحرية اختيار نمط نظامها السياسي[٣٣].

٢- الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب :

تضمن هذا الميثاق مبادئ عامة حول حقوق الإنسان الإقتصادية والإجتماعية والسياسية ، لكنه لم يتطرق بصورة مباشرة إلى اعتبار الإنتخابات الطريقة الأساسية للوصول إلى السلطة او حق الأفراد في المشاركة في الإنتخابات[٣٤]، ولتلافي هذا النقص تم تبني " الميثاق الإفريقي للديمقراطية والإنتخابات والحكم" في الجلسة الاعتيادية لمجلس الاتحاد الإفريقي في أديس أبابا في ٣٠ كانون اول ٢٠٠٧ الذي تضمن أحكاما تفصيلية للانتخابات والهيئات المشرفة عليها.[٣٥]

الفرع الثاني- ترجمة المواثيق إلى قواعد وآليات للرقابة :

إن المواد السابقة تقرر عدداً من المبادئ المهمة فيما يخص العملية الإنتخابية ، وفي الوقت نفسة تقرر مجموعة من المبادئ التي يمكن أن تحدد طبيعة وشكل الرقابة الدولية ، وقد تم ترجمة تلك المبادئ إلى قواعد أكثر تفصيلاً من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة عن طريق رعايتها وتنظيمها لما عرف ب(الإعلان الخاص بمبادئ الرقابة الدولية للانتخابات) الذي تمت المصادقة عليه في ٢٤ تشرين اول ٢٠٠٥ من عدد كبير من المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية المعنية بالإنتخابات .

وعلى وفق المواد السابقة والإعلان المذكور فقد تم تحديد عدد من المعايير التي تعد تطبيقاً للإعلانين السابقين :

١- الصفة الدورية للانتخابات :

أشار الإعلان العالمي لحقوق الانسان إلى أن (يعبر عن إرادة الشعب بانتخابات.. دورية) وهذا يعني ان

الدساتير والتشريعات الوطنية يجب ان تشير الى الطابع الدوري للانتخابات (على سبيل المثال سنويا او كل أربع سنوات) والإجراءات والتعليمات التي يتم عن طريقها الاعلان عن الإنتخابات .

٢- نزاهة الإنتخابات :

إن تعبير نزاهة الإنتخابات الوارد في الإعلان العالمي يفسر ليشمل مجمل العملية الإنتخابية منها

أ- وجود التشريعات والأنظمة التي تكفل شفافية الإنتخابات .

ب- استقلال إدارة الإنتخابات وحياديتها .

ج- وجود آليات مراجعة قضائية منتظمة للنظر في الطعون والنزاعات التي ترافق العملية الإنتخابية .

د- وجود أنظمة تحدد كيفية تمويل الحملة الإنتخابية للأحزاب المشاركة والكشف عن مصادر التمويل المالي للعامة .

ه- كفالة تمتع جميع الأحزاب والمرشحين بحقوق متساوية في التحدث لوسائل الإعلام .

٣- الحق في الترشيح :

لا يعني المساواة في الترشيح للانتخابات أن جميع المواطنين لهم حق الترشيح ، لكن ذلك يعني أن كافة الأشخاص المؤهلين لخوض الإنتخابات وفق قوانين الدولة وتعليماتها يجب ان يمنحوا هذه الفرصة . وهذا يستدعي ان تكون شروط الترشيح واضحة ومعلنة .

٤- الحق في الإنتخاب :

ويعني ذلك أن كل الأشخاص (بما فيهم الأقليات) لهم الحق في التصويت على وفق القانون ، كما يعني ذلك ان لكل فرد مسجل صوت واحد فقط بغض النظر عن مركزه او مكانته ، كما يعني ذلك حق الناخب في الادلاء بصوته في المركز الإنتخابي .

٥- سرية التصويت :

ويترجم ذلك إلى وجوب أن يتمتع الناخب بالإدلاء بصوته بصورة منفردة وفي مكان اقتراعي آمن يضمن عدم اطلاع الآخرين على نتيجة تصويته وضمان عدم خضوع الناخب للتهديد او الابتزاز للتأثير على عملية التصويت .

المبحث الثاني

صور الرقابة الدولية

تختلف تقسيمات الرقابة الدولية بحسب المنظار الذي يسلط عليها ، فمن إذ الجهة الرقابية هناك رقابة المنظمات والهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية ، ومن إذ الزمان هناك رقابة قصيرة الأجل ورقابة طويلة الأجل ، وهو ما نتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الاول

الرقابة من إذ الجهة

قد تتولى مهمة الرقابة منظمات دولية حكومية(IGOs) مثل منظمة الأمم المتحدة او منظمات دولية غير حكومية(NGOs) مثل معهد كارتر، وهو ما سنوضحه في الفرعين الآتيين:

الفرع الاول- رقابة المنظمات الدولية الحكومية :

ويقصد بها المنظمات التي تكون ذات طابع دولي حكومي مثل منظمة الأمم المتحدة او إقليمي مثل الاتحاد الاوروبي .

اولاً- الرقابة الدولية من خلال منظمة الامم المتحدة :

تعد منظمة الأمم المتحدة مثالاً للرقابة الدولية الحكومية ، ولها منذ تأسيسها تاريخ طويل في رقابة الإنتخابات ، إذ أكملت ما كانت تقوم به عصبة الأمم في مساعدة الدولة المستقلة في إدارة ورقابة العملية

الإنتخابية في أعقاب الحرب العالمية الثانية . إلا أنها ومنذ ذلك التاريخ تفرق بين نوعين من الرقابة :

أ- رقابة الإنتخابات في الدولة منقوصة السيادة :

أطلق عليها ميثاق الأمم المتحدة تسمية (الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي)[٣٦] ومنها الدول الواقعة تحت نظام الإنتداب او نظام الوصاية الدولي ، فان ميثاق الأمم المتحدة يحتم عليها مساعدة تلك الشعوب في تحقيق الحكم الذاتي والاستقلال حسب ظروف كل شعب .[٣٧]

والأمثلة التقليدية التي يسوقها الفقهاء هو إقليم ناميبيا الذي كان واقعاً تحت انتداب دولة جنوب أفريقيا التي رفضت طلب الأمم المتحدة لتحويل الإقليم إلى وصاية الأمم المتحدة وفقاً لنظام الوصاية الدولي ، لكن دولة جنوب إفريقيا وافقت أخيراً على منح الإقليم الاستقلال مما قاد الى إجراء انتخابات حرة لاختيار أعضاء المجلس الدستوري وتحت رقابة الأمم المتحدة[٣٨].

وقد جرى العمل على قيام الأمم المتحدة بالإشراف على الإنتخابات كجزء من عمليات حفظ السلام التي تشارك فيها المنظمة بعد صدور قرار من مجلس الأمن يخولها ذلك ، وتشمل عمليات حفظ السلام تأسيس إدارة مؤقتة للدولة تمهيداً لإجراء انتخابات تحت رقابة الأمم المتحدة ، كما تتولى الأمم المتحدة في هذه الحالة توظيف الكادر الذي يتولى عملية تنظيم الإنتخابات فضلاً عن توفير كل المستلزمات المادية كلها والعدد التي تتطلبها عملية إجراء الإنتخابات . وخير مثال على ذلك هو دور الأمم المتحدة في إدارة الإنتخابات في كمبودياعام(١٩٩٢) وفي تيمور الشرقيةعام(١٩٩٩).[٣٩]

ب- الدول تامة السيادة :

لا تمارس منظمة الأمم المتحدة تأثيرً رقابياً في الدول تامة السيادة لان مثل هذا التأثير الرقابي يناقض مضمون الفقرة (٧) من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التي تحظر على المنظمة التدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي للدولة[٤٠]. إذ تعاقبت قرارات الأمم المتحدة على تأكيد أن رقابة الإنتخابات وضمان نزاهتها هو مسؤولية الحكومات.[٤١]

إلا أن موقف الأمم المتحدة بدأ بالتغير مع الطلب الذي تقدمت به نيكاراغوا في آب سنة ١٩٨٩ من قبل وزير خارجيتها لرقابة الإنتخابات التشريعية في ١٩٩٠ ، إذ عبر الأمين العام للمنظمة آنذاك (خافيير دوكويلار) عن تردده في قبول مثل هذا الدور قائلاً " إن رقابة الإنتخابات في دولة ذات سيادة هو دور استثنائي غير مسبوق من شانه أن يمهد الطريق لمنحى مخالف لما سارت عليه الأمم المتحدة طيلة الأربع والأربعين سنة الماضية"[٤٢] .

وعلى الرغم من التحفظ السابق فان الجمعية العامة أصدرت قرارها المرقم ٢٥٧/٣٥ الذي وافقت فيه على توفير المساعدة الفورية بكل أشكالها لحكومة نيكاراغوا بما في ذلك رقابة الإنتخابات التشريعية فيها.[٤٣]

ومنذ ذلك الوقت تعد المنظمة الدولية الرقابة على الإنتخابات في الدولة ذات السيادة أمراً استثنائياً يتطلب

توافر عددً من الشروط المهمة وهي[٤٤]:

١- يجب أن تغطي الرقابة كافتها مراحل العملية الإنتخابية لضمان تهيئة الظروف لانتخابات نزيهة وعادلة .

٢- يجب أن يحظى أثر الأمم المتحدة في رقابة الإنتخابات بتقبل الرأي العام في تلك الدولة .

٣- يجب أن يصدق الطلب من قبل الجهات المختصة في منظمة الأمم المتحدة .[٤٥]

ثانياً- الرقابة الدولية من خلال المنظمات الدولية الإقليمية :

ومن الأمثلة على هذه المنظمات منظمة الاتحاد الاوروبي عن طريق مفوضية رقابة الإنتخابات في الاتحاد ، والاتحاد الإفريقي عن طريق لجان رقابة الإنتخابات فيه ، وجامعة الدولة العربية .

أ- الإتحاد الاوروبي :

تضمنت معاهدة ماستريخ سنة ١٩٩٢ التي أنشأت الإتحاد الاوروبي أن من مهام الاتحاد هو تطوير وتدعيم الديمقراطية وحكم القانون .[٤٦] وهو ما أشار إليه بعضاًالميثاق الاوروبي لحقوق الإنسان .[٤٧]

وستناداًالى ذلك تم إنشاء المفوضية الاوروبية لرقابة الإنتخابات(EUEOM) لتتولى مهام رقابة الإنتخابات في الدول الأعضاء وغير الأعضاء[٤٨]، ويساعدها في ذلك مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان / وحدة الإنتخابات(ODIHR) التابع لمنظمة التعاون والأمن في اوروبا والذي تم إنشاؤه في الاجتماع الدوري للمنظمة في كوبنهاكن ١٩٩٠.[٤٩]

ب- الاتحاد الإفريقي :

أقر الاتحاد الإفريقي أهمية الرقابة على الإنتخابات ، وتمثل ذلك بوثيقة " إعلان المبادئ التي تحكم الإنتخابات المحلية في إفريقيا " الذي صدر عن منظمة الوحدة الإفريقية (الاتحاد الإفريقي حالياً) في ٢٠٠٢.[٥٠]إذ طالبت الدول الداخلة في الاتحاد بضرورة تدعيم العملية الديمقراطية في إفريقيا عن طريق الرقابة والإشراف على الإنتخابات المحلية في الدول الأطراف .[٥١] وقد تجسد ذلك بتشكيل فرق تابعة للاتحاد لرقابة الإنتخابات يمكن أن تشارك في رقابة الإنتخابات ضمن الاتحاد وخارجه وآخرها كان بعثة رقابة الإنتخابات في رواندا في آب ٢٠١٠[٥٢] والإنتخابات السودانية في نيسان ٢٠١٠.[٥٣]

ج- جامعة الدول العربية :

على خلاف الإتحاد الاوروبي والاتحاد الإفريقي ، لم يتضمن ميثاق جامعة الدول العربية ما يشير الى تشكيل لجان دائمية او مؤقتة لرقابة الإنتخابات في الدول الاعضاء .[٥٤] لكن الميثاق لم يمنع مجلس الجامعة للشؤون السياسية او الامين العام لجامعة الدول العربية من تشكيل لجان لرقابة الإنتخابات في

الدول الأعضاء او حتى في دول منضوية تحت اتحادات اخرى كالاتحاد الافريقي ، وهو ما يجري العمل به في الجامعة إذ يتم تشكيل فرق لرقابة الإنتخابات تتألف من عدد من المراقبين من مختلف الدول الاعضاء بناء على طلب تلك الدولة وموافقة مجلس جامعة الدول العربية على ذلك ، كان آخرها فرق الرقابة التي شاركت في الرقابة على انتخابات مجلس النواب العراقي سنة٢٠١٠ والإنتخابات السودانية في العام نفه . فضلا عن ذلك دور البرلمان العربي الذي تم انشاؤه في مؤتمر القمة العربية في الجزائر سنة ٢٠٠٥ ليحقق تمثيل نيابي لشعوب الدول الأعضاء ويوسع المشاركة السياسية في صنع القرارات .[٥٥] وقد تم انشاء لجنة الشؤون التشريعية والقانونية وحقوق الإنسان التي تتبع البرلمان ومهمتها تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان . وتطبيقاً لذلك شاركت بعثة من البرلمان في الإشراف على الإنتخابات التي جرت في جمهورية جزر القمر للمدة من ١٠-٢٠ نيسان سنة ٢٠٠٦ .

الفرع الثاني- رقابة المنظمات الدولية غير الحكومية :

وتتمثل بعدد من المنظمات والمؤسسات الدولية غير الحكومية منها :

اولاً- معهد كارتر

ويعد من أقدم المنظمات غير الحكومية في رقابة الإنتخابات ، تم إنشاؤه من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر في سنة ١٩٨٢ بالاشتراك مع جامعة ايموري . ويهدف المعهد لتعزيز الديمقراطية و قيم حقوق الإنسان والتوسط لحل النزاعات بالطرق السلمية فضلاً عن دوره الرئيس في رقابة الإنتخابات . حيث قام بإرسال فرق لرقابة ٧٧ عملية انتخابية في ٣٣ دولة .[٥٦]

ويعود لهذا المعهد الفضل في السعي لوضع معايير عالمية متفق عليها تخص أصول الرقابة الدولية للانتخابات ، إذ تمثلت جهوده باستضافة الاجتماع الاول الخاص بالتوافق على معايير موحدة للرقابة الدولية في تشرين الاول ٢٠٠٣ في اطلانطا في الولايات المتحدة الامريكية والذي شارك فيه ١٥ مؤسسة دولية حكومية وغير حكومية منها المفوضية الاوروبية والاتحاد الإفريقي ومعهد الإنتخابات التابع للاتحاد الإفريقي وغيرها.[٥٧] ثم استمر باستضافة الاجتماعات في جوهانسبرغ سنة ٢٠٠٤ ، بروكسل سنة ٢٠٠٤، نيويورك سنة ٢٠٠٥ ، وقد اثمرت تلك الاجتماعات عن تبني اعلان مبادى الرقابة الدولية تحت رعاية الامم المتحدة .[٥٨]

ثانيا- المعهد الوطني الديمقراطي (NDI)[٥٩]

رغم تأسيس المعهد من قبل الحكومة الأمريكية فإنه يعتمد في تمويل نشاطاته على المساعدات التي تقدمها الجهات المانحة من المنظمات غير الحكومية في العالم التي تعنى بالديمقراطية فضلاً عن

المساعدات من الحكومة الأمريكية . ويهدف المعهد إلى تعزيز قيم الديمقراطية عن طريق تقديم المساعدة المادية والخبرة بما في ذلك تنظيم الإنتخابات والرقابة عليها . وللمعهد خبرة طويلة في رقابة الإنتخابات المحلية في الكثير من دول العالم ، كما أن المعهد له أكثر من سبعين فرعاً في آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الاوسط .

رابعا- التجمع الدولي للديمقراطية(WMD)[٦٠]

وهو تجمع يضم عدداً من المنظمات الدولية غير الحكومية وعدداً من الأفراد هدفه تعزيز الديمقراطية في العالم ، تم تأسيس التجمع في دلهي في الهند سنة ١٩٩٩. وقد ساهم هذا التجمع- فضلاً عن تقديم خدمات المساعدة الإنتخابية للدول التي تطلبها- في تأسيس منتديات اقليمية منها منتدى الديمقراطية الإفريقي ، ومنتدى الديمقراطية في أمريكا اللاتينية ومنتدى الديمقراطية في آسيا .

المطلب الثاني

الرقابة من إذ الزمان

الفرع الاول- الرقابة قصيرة الأجل[٦١] :

ويقصد بها الرقابة التي تمارسها أي هيئة في مدة لا تتجاوز اليوم او عدة أيام من بدء العملية الإنتخابية ، وغالباً ما تقتصر على يوم الانتخاب نفسه دون أن يتعدى ذلك عملية التدقيق للعملية الإنتخابية بمجملها ، كما أن بعض المنظمات لا يكون عملها الأساس رقابة الإنتخابات وانما يكون في الغالب الترويج لقيم احترام حقوق الأنسان والمساعدات الانسانية ، وكثيراً ما تكون امكاناتها الفنية والادارية ضعيفة اذا ما قيست بمنظمات الرقابة طويلة الأجل.

ويؤخذ على هذا النوع من الرقابة هو أن التقارير التي تقدمها هي تقارير مقتضبة ومستبقة وتؤدي إلى إبعاد النظر عن التقارير التي تقدمها منظمات الرقابة طويلة الأجل ذات الخبرة الواسعة التي تراقب مجمل العملية الإنتخابية .[٦٢]

ويقدم الباحثون مثلاً تاريخياً على هذا النوع من الرقابة هو تقارير بعثات المراقبة في الإنتخابات الروسية ، إذ صدرت تقاريرهم بعدم وجود دليل على تزوير او مخالفات انتخابية ، في حين أظهرت التقارير التي قدمتها فرق الرقابة طويلة الأجل ان المخالفات لم تكن في يوم الإنتخابات وإنما تعود إلى مدة أشهر من بدء الإنتخابات منها قيام الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن باستخدام الإذاعة والتلفزيون الحكوميين للدعاية الإنتخابية بشكل مسرف وقيامه بدفع أموال كبيرة الى صحف حكومية لتنشر مقالات تمجده .[٦٣] لذا غالباً ما تعد هذه الرقابة شكلية ولا يمكن عدها كافية بذاتها لكي تعطي الإنتخابات المصداقية المطلوبة .

الفرع الثاني- الرقابة طويلة الأجل :

وهي الرقابة التي تشترطها اغلب المنظمات الحكومية وغير الحكومية لكي تشارك في عملية الاشراف الدولي على تلك الإنتخابات .

ويمكن تعريفها بانها رقابة شاملة كونها تمتد لتشمل مجمل العملية الإنتخابية ابتداءً من التحضير للانتخابات مروراً بيوم الانتخاب وانتهاءً بظهور النتائج الاولية للانتخابات والبت في الطعون الإنتخابية التي يتقدم فيها المرشحون أو الناخبون أو اي جهة أخرى .

ويمكن تقسيمها على ثلاثة مراحل: مرحلة ما قبل الإنتخاب مرحلة يوم الانتخاب مرحلة ما بعد الإنتخاب .

الخاتمة :

١-النتائج :

أ- ان مسألة تنظيم الرقابة على الإنتخابات دولياً لازال في مراحله الاولية طالما لا يوجد اتفاق كامل بين الدول على معايير الرقابة .

ب- ان تطبيق معايير الرقابة الدولية (الاختيارية) التي تبنتها عدة اتفاقات دولية لا يجد له طريقاً للتطبيق على الواقع العملي في الكثير من الإنتخابات طالما تذرعت الدول بتعارض الرقابة مع السيادة الوطنية للدولة .

ج- ان الطابع الاختياري للرقابة يجعل منها اداة ضعيفة لفرض الشرعية على الدول .

٢-المقترحات :

أ- اعطاء الرقابة الدولية (على وفقاً المعايير التي تبنتها الاتفاقات الدولية) طابعاً الزاميا عن طريق اقرارها من قبل الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة .

ب- اعتماد اتفاقية معايير الرقابة الدولية التي عقدت تحت رعاية الامم المتحدة بوصفها اتفاقية نموذجية لتطبيقها على جميع الإنتخابات التي تجري في العالم والتي يحوم الشك حول مصداقية اجرائها.

ج- وضع جزاء دولي على الدول التي ترفض استقبال فرق الرقابة الدولية وجعل هذا العمل مؤثراً في شرعية السلطة التي تنبثق عن تلك الإنتخابات .

الهوامش

جذور الأفكار والمعتقدات في العراق القديم

د. حسين سيد نور الإعرجي

جامعة واسط / كلية التربية

المقدمة

تُعد حضارة العراق القديمة من أولى الحضارات التي عرفتها البشرية، إذ امتلكت جملة من المميزات جعلتها تكتسب قصب السبق في ميادين الحياة كافة. وقد تنوعت بتنوع الحياة ولم تكتفِ يوما في إعطاء دروسها لفهم الحياة البشرية لجعلها أسهل. فمنذ أن بدأ الإنسان حياته وصراعه مع بيئته آملا في التكيف، بزغت لنا شمس فكر لم ينفك يوما في فك لغز الحياة. وسطر ذلك بأفضل أشكال الجد والعمل، ونتيجة لنتاج ذلك الشعب الذي سطر أروع معاني الفكر بمختلف الإقوام التي بنته، وانصهرت في بوتقة

تلك الحضارة التي أبت أن تقدم فكرا من غير أن تكون حاضرة، وتعلن انه ثوبها، لذا كان لزاما أن نقدم جزءً مضيئا من تلك الحضارة علّنا نهتدي به. لذ افإن حضارة راقية من أهم الحضارات التي أسست أفق الإنطلاق لبدء الحياة وتطورها بسبل شتى، وكثرت الدراسات لتي بحثت غالب النتاج المادي والفكري بكل معطياته، إذ برع الكثير من الباحثين في إظهار الحضارة العراقية على حقيقتها المشرقة ليؤكدوا أن التاريخ اخطر علم قادر على إظهار حقيقة العقل البشري لاسيما الشعوب القديمة.

اهتمت هذه الدراسة بمعرفة الإصول الأولى للأفكار والمعتقدات وجذورها، فضلا عن العوامل التي أسهمت في إنباتها، لاسيما مفاتيح الحضارة الإنسانية التي امتلكها العراقيون القدماء، إذ كانت غالبية الأفكار ومواد الحضارة وابتكاراتها من بنات أفكارهم. إن طبيعة مادة الدراسة حتمت علينا الإعتماد في بناءها اللغوي والفكري على آليات فلسفية تمكننا من عرض مادة الدراسة والوصول إلى نتائج هامة تعطي معنى لهذه الدراسة. إننا لم نكتف بتفكيك النصوص المجردة التي يمكن أن تكون بعيدة عن الواقع، إنما قمنا بتفكيك ما بين الفكر وقوالبه. وبذا يمكن كشف الإستراتيجيات العقلية والمهارية التي اعتمدها العقل العراقي القديم في بناء الهياكل العقلية لنفسه.

جذور الأفكار والمعتقدات في العراق القديم.

يمكن أن نتتبع البدايات الأولى للتفكير، من الإثار التي خلفها الإنسان العراقي القديم في أثناء حياته منذ العصر الحجري القديم، إذ اعتمد في حياته على الصيد وجمع القوت، قبل أن يبدأ العيش في مجتمعات مستقرة تمكنه من السيطرة على مصدر قوته عن طريق تربية الحيوانات وتدجينها فضلا عن زراعة الحبوب. وعلى الرغم من قلة الإثار الدالة على ذلك فهي كافية لإثبات وجود الإنسان في العراق القديم منذ تلك الحقبة[٦٤]، ويعتقد الكثير من الباحثين إن منجزات الإنسان المادية والروحية قد بدأت منذ العصر الحجري القديم، وفي أدناه جدول يبين بداية وعي الإنسان بمختلف أنواعه ومراحل ابتدائه للعمل وتدينه وفنه:

ت	العصر الحجري	نوع الإنسان	المنجزات	الإشكال المادية والروحي للمنجزات
١	الإيوليثك (السحيق)	الجنوبي	الوعي	الأدوات العظمية،والأدوات الحصوية[٦٥]
٢	الباليولثك الإسفل	المنتصب	العمل	الأدوات الحجرية، اكتشاف النار
٣	الباليولثك الإوسط	النيندرتال	الدين	تقديس الحيوان، المدافن[٦٦]
٤	الباليولثيك الإعلى	العاقل	الفن	لوحات الكهوف، الدمى الإنثوية

ويعتقد أن هناك أربعة أشياء قد تلازمت مع فجر الإنسانية تمثلت بالإنسان والجليد والحجر والوعي[٦٧] فيما اتخذ الإنسان الكهوف ملاجئ منذ بداية حياته ليحتمي من قسوة البيئة الطبيعية التي يعيشها فضلا عن الحيوانات الضارية التي تحيط به[٦٨]. إن بداية وجود الإنسان قد ارتبط بشكل أو بآخر

باصطناع لغة للتفاهم، إذ أصبح بها إنسانا، ويظهر أن الإشارات كانت لها أهمية كبرى وتأتي بالمقام الإول، أما اللغة فتأتي بالمرتبة الثانية في تبادل الفكر[٦٩] في بداية وجود الإنسان[٧٠]. احتاج الإنسان إلى عشرات الإلوف من السنين ليصقل ذهنه وترهف ملكاته ويصبح قادرا على ربط الإشياء بعضها بلبعض الإخر، وتنامت قدرته على ملاحظة الإشياء والظواهر واختزان نتائج تلك الملاحظات. وحينما تنبه الإنسان إلى أن له قدرة على إدراك الإشياء وفهمها وربط الظواهر فيما بينها، خطى الخطوة الأولى نحو بناء الحضارة، ومن هنا يقول بعض العلماء إن العقل كان أول مخترعات الإنسان[٧١].ظل الإنسان يسعى دائماً يدفعه في ذلك فضوله إلى معرفة حقيقة البدء والتكوين الأولى للحياة والفكر، وجهد كثيرا في معرفة غايات الطبيعة والحياة وأهدافها ونهاياتها، وكان لتطوره النفسي والعقلي، عبر مسيرة حياته الطويلة وما اكتسبه من معارف يسيرة في المراقبة المستمرة لسلوك الطبيعة، أثره الكبير والواضح في تلك المعارف التي اكتسبها[٧٢].أدرك الإنسان منذ بداية تفكيره، أن الوجود بكل مظاهره الماثلة أمامه يخضع لقوانين ثابتة، وقواعد مرتبطة بسلسلة من الروابط، تمثل الإسباب والمسببات وأن معرفة الروابط والقواعد ومن ثم القوانين الطبيعية، تساعده في السيطرة على الطبيعة التي طالما أفزعته وأثارت قلقه وخوفه. لذلك كان حثيث الخطى وبشكل دائم في سعيه من أجل إخضاعها لرغباته ومصالحه، فهو يستطيع مثلاً استجلاب الإمطار عن طريق الممارسات السحرية[٧٣] التي تدفع الطبيعة للإستجابة، و يستطيع الشفاء من الإمراض والقضاء على الإعداء ودفع الكوارث الطبيعية بالطريقة ذاتها[٧٤].لقد كان الحافز الإول لأفعال الإنسان القديم وأفكاره ومشاعره، اعتقاده بأن الإلوهية حالة في الطبيعة، وأن الطبيعة مرتبطة بالمجتمع ارتباطا صميمياً[٧٥]. لذا لم يترك العراقيون القدماء أي جانب من جوانب الحياة، الإ عنوا بمناقشته بما ينسجم وطبيعة المرحلة الحضارية التي يعيشونها[٧٦].أفرزت الملاحم[٧٧] والأساطير[٧٨] فهماً أوضح الإصول الرئيسة لتصورات العراقيين القدماء ومفاهيمهم عن الكون وعملية الخلق[٧٩]، فعلى الرغم من وجود بعض الإختلافات في وجهات النظر، ولاسيما فيما يتعلق بخلق الإنسان والإلهة، فقد عُدّ الإله انليل خالقا للكون والإنسان وعد بعضهم الإخر الإله انكي هو الخالق للإنسان، ومجموعة أخرى جعلت الإله مردوخ هو الخالق للكون والإنسان[٨٠].إن تصورات خلق الكون لدى العراقيين القدماء امتازت بملاحظات دقيقة اعتمدت الموروث السومري بشأن نشأة الكون والبدايات الأولى للخلق، فتصوروا أن المياه الإزلية هي مبدأ الوجود الإول[٨١]. ويمكن أن للملاحم تظهر صورة فذة عن الإتجاهات الفكرية في العراق القديم[٨٢]. والمهم أن العراقيين القدماء قد اظهروا اهتماما كبيرا بقضية الوجود اللاهوتية عن أصل الإلهة وخلق العالم وعالم الحيوان وأصل العمران وقضية الحياة وما بعد الموت إلى غير ذلك مما يتعلق بالإلهة[٨٣]. ومن خلال دراستنا لتلك الأساطير، التي ازدهرت في الإلف الثالث قبل الميلاد، يمكن الإفادة منها في تحديد الإصل للبدء والتكوين للأشياء والكائنات الحية، ولاسيما أن موضوعاتها مرتكزة على:

١- أساطير الإصل أو النشوء: وهي التي تبحث عن أصل بعض الكائنات، أو الفصائل من الكائنات في الكون من آلهة أو نباتات أو بشر[٨٤]. وفي أغلب الإحيان يكون الجواب عن الميلاد الإول أو الخلق[٨٥].

٢- أساطير التنظيم: وهي التي تتساءل عن كيفية نشوء بعض أنظمة الوجود الطبيعية وتبلور أجزائها مع بعضها الإخر، فضلا عن كيفية حصول هذا الإله أو ذاك على منصبه، وكيف انتظمت الزراعة أو كيف ظهرت بعض غرائب البشر وأعطيت مكانها من المجتمع؟

٣- أساطير التقييم: وهي جزء من أساطير التنظيم، تتساءل عن حق أي من البشر في ملء منصبه في الدولة. فتُوازن مثلا بين الفلاح والراعي، وتقارن بين الذهب الثمين والنحاس الإكثر فائدة على الرغم من رخصه الخ. وتكون القيم الكائنة ضمنا في النظام القائم تعود إلى قرار الهي يؤكدها[٨٦]. ويُمكِن حصر الأساطير التي ارتكز عليها ذلك التصنيف في الإتي:

أ- اثنتان منها تناولتا إلهة القمر ننا وهما أسطورة انليل وننليل أبوي ننا.

ب- أسطورة رحلة ننا إلى نفر[٨٧].

ت- (ايميش Emesh)الراعي و (ايتين Enten) الفلاح – انليل يختار الإله الفلاح.

ث- خلق الفأس.

ج- الغلة والماشية.

ح- (انكي) و (ننخرساك)- شؤون إله الماء.

خ- (انكي) وسومر- تنظيم الأرض ونشوء الثقافة فيها.

د- (انكي) و أريدو[٨٨] - رحلة إله الماء إلى (نفر).

ذ- (انانا) و (انكي) – نقل فنون الحضارة من اريدو إلى أرك[٨٩].

إن النظرة التكاملية للكون ساعدت على تشغيل الفكر لإنتاج الأساطير وعلمي التنجيم والفلك[٩٠] فيما بعد من جهة، وتشغيل اليد للإنتاج الزراعي والفني[٩١] من جهة أخرى[٩٢]. فمنذ أن أدرك الإنسان وعيه الحضاري شرع يعكس هذا الوعي إلى تكوينات وأبنية فكرية وفنية حسب رؤية، جمعت بين محاكاة الطبيعة، لاسيما بعد إدراكه أن الطبيعة متغيرة، ونقل الحدث أو الظاهرة وجسدها في أثر فني من أي نوع كان[٩٣].إن الإختلاف في الموضوعات التي تعالجها الملاحم والأساطير ساعدتنا في معرفة الإصول الأولى لتلك المعتقدات، فضلا عن معرفة المراحل التطورية التي مرت بها. ويعد ذلك الإختلاف دليلا كافيا على تفهم العراقيين في هذا الجانب. كما أن الأفكار التي قدموها على الرغم من اختلافها في بعض الجوانب لم تنبع من الخيال، بل هي نتائج طبيعية لذلك الصراع المستمر بين الإنسان وبيئته[٩٤]. لقد تجمعت لدى الإنسان عبر مراحله التاريخية مجموعة من القواعد الذهنية التي تؤلف في مجموعها سفرا متكاملا للسحر، ولم يستعن الإنسان في تلك الممارسات بأية قوى خارقة أو إلهية، لإيمانه المطلق بأن تتابع الإحداث يخضع لقانون معين، هو جزء أصيل من الطبيعة نفسها. وكان التفكير[٩٥] في القوى البدئية (القوى التي قامت بالخلق) قد جاء من خلال الإسطورة لمعرفة ما وراء المظهر المتبدي للعالم وكيفية عمل تلك القوى وتأثيرها، وترابطها مع عالمه وحياته، واستناداً الى هذا المنطلق فإنه قد امتلك أسلوبا في المعرفة والكشف، وكيفية التوصل إلى الحقائق، ووضع نظام مفهوم ومعقول للوجود، يقتنع به ويجد مكانه الحقيقي في إطاره، ودوره الفعال فيه. وهكذا كانت الإسطورة او المعرفة، وهي الإطار الإسبق والإداة الإقدم للتفكير الإنساني المبدع الخلّاق[٩٦].وإذا أردنا أن ندرس الفكر فإننا يجب أن لا ننأى عن الإسطورة لأنها ليست اختلاقا بل تضمنت بنية بالغة الصرامة والتحديد، قادرة على وصف البنى العقلية للإنسان الذي شكّلها ومن ثمَّ فهي منطقيا وقبل ذلك جدليا مقولة ضرورية للإدراك بوجه خاص والوجود بشكل عام[٩٧].تمثل بعض الأساطير البدايات الأولى للأفكار المتناقلة عن طبيعة البشر الذين عاشوا خلال الحقبة التي سبقت ظهور الزراعة، إذ تشير إلى أنهم كانوا يمشون على أرجلهم وأيديهم وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش ويشربون الماء من السواقي، وهذا الرأي المطروح بخصوص الإنسان يؤكد إيمان العراقيين القدماء بأن الإنسان الإول في العراق القديم كان يشبه الحيوان في طبيعته، وهذا الرأي يناظر ما توصل إليه دارون Darwin في نظريته عن أصل الإنواع[٩٨]، في الإرتقاء والنشوء، فضلا عن ذلك أكدت أن الإنسان قد تدرج في اكتسابه المعارف وأساليب الحياة. كما في النص الإتي:

"الملابس التي ارتداها المرء لم تعرف بعد.

والإله اوتو لم يك قد ولد بعد ولم يلبس تاجه بعد،

والإله سموقان[٩٩] لم يذهب إلى البلاد الجافة بعد،

البشر الإوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد،

ولم يعرفوا ارتداء الملابس بعد.

وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم.

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش،

ومن القنوات يشربون الماء"[١٠٠]

إن أفكار الإنسان البدائي ليست مستقلة بذاتها، بل هي جزء من سلوك الظاهرة الطبيعية. فكان الإقدمون على سبيل المثال يعبرون عن أفكارهم بلغة السبب والنتيجة، وتفسير الظواهر بلغة الزمان والمكان والعدد، وهذا المنحى من التحليل أقرب إلى الحقيقة، وكان في وسعهم أن يعللوا منطقيا، ولكنهم نادرا ما أرادوا ذلك، لأن الإنفصال الذي فرضه الموقف الذهني المجرد لا يتفق وتجربتهم للواقع تجربة عميقة[١٠١]. تميزت كل مرحلة حضارية بطابعها الخاص، فقد اعتمد الإنسان في العصر الحجري القديم في غالب أدواره على الصيد، وعبّر عن أفكاره بما يقوم به من رسم لأشكال مختلفة من الحيوانات[١٠٢]، لأنها كانت معه على تماس مباشر، فكانت رسومه تعبر جليا عَمَّا يشغل فكره وما يبغي الحصول عليه، فكان بالنتيجة يوجه عنايته نحو الحيوان، سعيا منه لإيجاد حالة استقرار نفسي، تستطيع أن تقف أمام الإخطار التي تهدده بحسب اعتقاده فكانت نتاجاته رسوماً لمجموعة من الموضوعات كان أهمها:

١- مشاهد رقص الإنسان قبل الصيد، إذ كان الرقص يؤدي به إلى زيادة الشعور بقوته.

٢- رسوم الحيوانات على جدران الكهوف كانت تساعد الإنسان على الشعور بالإمن والتفوق عليها في أثناء مطاردتها.

٣- الإنسان كائن ضعيف أمام الطبيعة الخطرة، لذا وجد في السحر عونا له، وخير نصير، فقام بإجراء عملية محاكاة تهيئ وسيلة للسيطرة على الطبيعة. فعند اتخاذه السحر التشاكلي أي تقليده الحيوان باتخاذه شكلا كشكله، فإنه يستطيع اجتذابه واستدراجه لتسهيل عملية اصطياده، وبذلك فقد آمن أن السحر في الخيال يقابله العمل في الواقع[١٠٣].وتشير الدلائل الإثرية العديدة التي اكتشفت في بقاع مختلفة من المواقع إلى أن الإنسان ظل زمنا طويلاً يعيش على الإلتقاط والصيد، ويتخذ من الكهوف ملاجئ يأوي إليها. وكانت الحجارة المادة الرئيسة في صنع أدواته البسيطة المحدودة فضلا عن استخدام الجلود والإخشاب. وقد تعارف أكثر الباحثين على تسمية هذه المرحلة من مراحل حياة الإنسان بعصور ما قبل التاريخ أو العصور الحجرية، إذ قسمت على أدوار بحسب التقدم الحاصل في صناعة الأدوات والإلات الحجرية، وكان أول العصور قد عرف بالعصر الحجري القديم أو عصر جمع القوت، لإن الإنسان لم يكن قد تمكن بعد من معرفة الزراعة وتدجين الحيوانات، وبعد معرفته الزراعة والتدجين قطع شوطا بعيدا، لذا أطلق على ذلك العصر اسم عصر إنتاج القوت[١٠٤]. ولم يكن الإنسان مبتكرا حين مارس الصيد وسيلة لعيشه، لأنه لا يعد أكثر من إنسان محدود التفكير يمارس الصيد. بل إن إنسانيته وفكره قد انطلقا في خلق الهياكل العقلية، منذ أن بدأ يطور حياته من مرحلة الصيد التي يسودها القلق إلى مرحلة أكثر

اطمئنانا وأوثق اتصالإ واطرادا، ونعني بها مرحلة التدجين، التي اقتضت ميزات عظيمة الخطر رمت بظلالها على جميع جوانب الحياة[١٠٥].إن أولى الإنطلاقات الكبرى للفكر عرفت من خلال الميثولوجيا[١٠٦]، لأنها كانت في الزمن الذي تحول فيه الإنسان الصياد إلى الإنسان القاتل، أي عندما بدأ الصراع مع بني جنسه بحيث أصبح ذلك الصراع أحد روافده الفكرية لتقدمه[١٠٧]. بمعنى آخر أن البنى النفسية التي تشكلت لديه قد اختلفت عن سابق عهدها وتحولت طبقا لما يجري حوله من تحولات، أي حين وجد الإنسان صعوبة في قبول أوضاع وجوده في عالم عنيف. لذا فإن المثيولوجيا تزدهر غالبا من توتر أو قلق عميق حول مشاكل عملية وجوهرية، ولا يمكن إزاحتها أو تخفيفها بحجج منطقية صرفة، لان البشر كانوا قادرين دائما على التعويض عن ضعفهم ومحدوديتهم الفيزيائية من خلال تطوير الطاقات العقلية داخل أدمغتهم. ونتيجة لذلك استطاعوا تطوير مهاراتهم في الصيد، فاخترعوا الإسلحة، وتعلموا كيف ينظمون مجتمعاتهم بكفاية عالية، وحتمت البيئة أن يعملوا معا كفريق، حتى في تلك المرحلة المبكرة من عمر الإنسان القديم فإنه طور ما يسميه اليونان باللوغوس logos ، الذي هو نمط التفكير العلمي والذرائعي الذي يمكنهم من العمل في العالم بنجاح[١٠٨].من الحقائق الثابتة أن الإنسان قد عاش معظم حياته بحدود ٩٨% على جمع القوت واستخدام الحجارة بأبسط أشكالها. ومنذ اختراع الكتابة في حدود ٣٥٠٠ ق.م[١٠٩] تميزت حياة الإنسان وأصبحت مملوءة وغزيرة بالعقائد المختلفة على الرغم من أن جذورها وروافدها تكمن في أديان ما قبل التاريخ وعقائدها[١١٠]. وفيما يخص العراق القديم فإن البقايا الإثرية المكتشفة تدل على وجود جنس واحد في الإقل من الإجناس البشرية القديمة في المناطق الجبلية الواقعة في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من العراق قبل مئة ألف سنة تقريبا، ويعتقد أن البيئة في هذه المنطقة كانت عاملا مهما في ظهور الجنس القديم، فهي بيئة تتوافر فيها كل مستلزمات الحياة البدائية[١١١] وعلى الرغم من المتاعب الكبيرة التي جابهت الإنسان القديم في البحث عن قوته تم له إحراز تطور تكنولوجي على قدر كبير من الإهمية، وان كان هذا التطور بطيئاً جدا في العصر الحجري القديم ولكنه بالغ الإهمية، فقد انتقل الإنسان خلاله من استعمال ما يحتاجه في حياته من الإت وأدوات طبيعية بسيطة إلى صناعة تلك الأدوات التي كان اغلبها من الحجر والصوان وبعض العظام، فأصبحت الإته تصنع لأهداف متعددة وبطرق مختلفة وهذا يُعَدّ بحق تطورا في عقلية ذلك الإنسان[١١٢]، ويعتقد أن الطبيعة أعانت الإنسان على فهم نفسها، فعندما احتاج الإنسان إلى الصخور بدأ بتشكيلها بشتى الإشكال والطرق من خلال معرفته بالخطوط والشقوق الموجودة فيها، وينطبق الكلام على مادة الخشب التي كانت ذات بنية واضحة، وينشق بسهولة أكثر إذا تم قطعه وفق خطوط نسيجه، ومن هذه البداية البسيطة تمكن الإنسان من معرفة واكتشاف طبيعة الإشياء، واكتشلفها وأن يزيح الغموض عن القوانين التي تمليها بنية المادة وتكشف عنها[١١٣]. وهكذا نجد أن الطبيعة هي الموضوع الذي استمد الإنسان منه البدايات للتجربة والخبرة والمراس، فالطبيعة لم تقف عند هذا الحد بل أمدته بالمادة الإولية والخوف والمثابرة لإزالة العقبات وضرورة العمل من أجل التغيير في محيطه الذي يعيشه، وكانت قواه العقلية الأساس في الفهم واتخاذ الموقف المناسب[١١٤] كان التقدم الحاصل في صناعة الإلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ مرتبطا ارتباطا وثيقا بوسائل الوصول إلى الطعام وأساليب الحصول عليه[١١٥]. وساعدت الميثيولوجيا مع الطقوس المرافقة لها الإنسان في العصور الحجرية الحديثة على الإنتقال من مرحلة إلى أخرى، بحيث أنه كان ينظر إلى الموت بوصفه عملية تكريس نهائية لنمط وجود آخر مجهول تماما، ولم ينته هذا التصور المبكر بل استمر في توجيه الرجال والنساء في أثناء شروعهم في إحداث الثورة الإقتصادية الأولى في العالم القديم[١١٦].لذا فإن فكرة اكتشاف نظام خفي في المادة هي المفهوم الأساس لاستكشاف الطبيعة، الذي اعتمده الإنسان في العراق القديم. يضاف إلى ذلك أن الشكل الهندسي الخارجي للأشياء يكشف عن بنية تحت السطح أو نسيجٍ خفي من الممكن أن يعطي فهما لطرق فصل التشكيلات

الطبيعية بعض الإخر عن البعض وإعادة تركيبها. ويعتقد الإستاذ برونفسكي أن تلك هي الخطوة الأولى في ارتقاء الإنسان التي تبدأ عندها العلوم النظرية، لأنها من صميم الطريقة التي يتفهم بها الإنسان مجتمعه، وهي مستقاة من صميم أسلوب تفهمه للطبيعة[١١٧].استمر نمط الحياة في المناطق الجبلية في العراق[١١٨] في تلك العصور على ما هو عليه بدون تغيير يذكر إلى أن تعلم الإنسان أساليب الزراعة واهتدى إلى طرق تدجين الحيوانات التي كانت دافعا إلى التطور النوعي والخروج من عصر جمع القوت ليدخل عصر إنتاج القوت، وبدأ التغيير يعم مظاهر الحياة الأساسة كلها. فعلى الصعيد الإقتصادي تحرر الإنسان من عبودية الإعتماد على كرم الطبيعة، الذي لا يعتمد عليه دائما. ومن الناحية الإجتماعية خرج الإنسان من ظلام الكهوف ليستقر في بيوت صغيرة بسيطة بناها من الطين، إذ بدأت المجتمعات القروية الزراعية الصغيرة بالظهور وما رافق ذلك من تطورات اجتماعية وبروز الإسرة لبنة أساسية في بناء المجتمع[١١٩].

يعد كهف هزار مرد [١٢٠] وزرزي في السليمانية آخر الإماكن التي تحتوي على آثار معيشة الإنسان في العراق أواخر عصر جمع القوت، قبل حدوث التغير الإجتماعي والإقتصادي[١٢١]. وقد حدث في العراق اكتشاف الزراعة، إذ تعد انتظام ثقافاته المتتالية والمترابطة دليلا على حصوله في العراق بشكل خاص[١٢٢]، وعدت الثورة الزراعية في العصر الحجري الحديث من أكبر التحولات الإقتصادية والإجتماعية أهمية في تاريخ تطور المجتمع البشري[١٢٣]، فشكلت الزراعة دافعا لاستقرار الإنسان الإول في العراق القديم[١٢٤] وقد ولد الإستقرار الزراعي الإستقرار النفسي والتأمل[١٢٥]. أما في مجال الصناعة فقد تطور إنتاج الأدوات الحجرية وتنوع بشكل واضح، حتى أن العلماء أطلقوا على ذلك العصر اسم العصر الحجري الحديث[١٢٦]، ثم اهتدى الإنسان إلى صناعة الفخار الذي كان له دور بارز جدا في دفع عجلة التطور نحو الإمام[١٢٧]، إذ كان الدافع الرئيس لصناعة الفخار دافعا نفعيا إلى حد كبير، لذا عدت صناعة الفخار واحدة من أهم الخطوات التي حددت طبيعة تعامل الإفراد مع البيئة الجديدة في سبيل توفير الضروريات من الصناعات المكملة لهذا المجتمع القروي الزراعي الجديد[١٢٨]. بدأت أولى محاولات الإنسان في العراق القديم في التعبير عن ذوقه الفني بشكل واضح منذ العصر الحجري المعدني[١٢٩]، وربما قبل ذلك بقليل، عندما بدا بتزويق الإواني الفخارية وبالإلوان والإشكال والطرز الفنية المختلفة[١٣٠]، ونظرا لشيوع استخدام الفخار وتطور صناعته شكلا وتقنية، اعتمده الباحثون أساسا لدراسة أوجه التطور الحضاري لمراحل العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني، وبقي اعتماد الفخار مقياسا للمراحل التطورية مستمرا في دراسة العصور التاريخية اللاحقة من حضارة العراق القديم[١٣١].أحدث اكتشاف الزراعة تطوراً مهماً في البنية الإجتماعية في العراق القديم آنذاك، إذ ظهر نوع من تقسيم العمل الذي مارسته المجتمعات الزراعية الأولى فاضطلعت المرأة بواجباتها المنزلية فضلاً عن عمل المزرعة كطحن الحبوب والإهتمام بالحيوانات وغيرها من الإمور التي تساعد الرجل بعمله في الحقل والمتضمن البذار وحماية الحقل وصناعة الإلات الزراعية[١٣٢].وقد أدت كل هذه التطورات الإقتصادية والإجتماعية إلى تطورات فنية وروحية[١٣٣]، وكان من بينها انتقال البشرية من مرحلة الثقافة الإمومية إلى مرحلة الثقافة الأبوية التي عدت من أهم الإنقلابات التاريخية الكبيرة. وعلى الرغم من أن الإينوما اليش قد كتبت في حقبة متأخرة عن ذلك الإنقلاب، إنها تنطوي على ذكريات حية وغضة، عن تلك الحقبة الفاصلة. فالحالة السكونية للآلهة البدئية هي تمثيل واضح لسكونية المجتمع الإمومي وابتعاده عن التغييرات السريعة والحثيثة التي ميزت المجتمع الإبوي فيما بعد. أما الحالة الديناميكية للآلهة الشابة بزعامة الإله أيا أولا ومردوخ فيما بعد، فهي تمثيل واضح لحركية المجتمع الإبوي[١٣٤] وإشارة إلى بدء الحضارة التي نعرفها الإن[١٣٥]، فالسلطة تنحصر في الإلهة الذكور دون الإناث التي يبقى دورها عاطفيا وعادة ما تستخدم التوسلات والخضوع لتنفيذ رغباتها[١٣٦]. لقد مثلت الزراعة

ثورة اقتصادية وقفزة نوعية في حياة الإنسان القديم، وأصبحت عاملا حاسما في تطوير حياته، وكانت حدا فاصلا بين نمطين مختلفين من الحياة[١٣٧]. وأظهرت مقدرتهم على تكييف الحيوان والنبات للتدجين[١٣٨]، ويمكن أن نتلمس خشية المزارعين الأوائل وسرورهم ورعبهم في الميثولوجيا التي ابتكروها للتكيف مع ظروف حياتهم الجديدة، التي حُفظت أجزاء منها في مثيولوجيا الثقافات اللاحقة. وبذا فإن الزراعة عدّت صحوة روحية عظيمة، وهبت للناس فهما جديدا تماما لأنفسهم وعالمهم[١٣٩]. ولم يكن اكتشاف الزراعة والتدجين مرحلة يقف عندها الإنسان بل أخذ يفكر في تسخير القوى الطبيعية لراحته ورفاهيته، ثم وجدت غريزة الحرص والإستزادة سبيلها إلى نفسه، لذا فهي مؤشر على تحولات مهمة[١٤٠]. وبهذا الصدد أكّد الأستاذ مويسييف أهمية أحداث العصر الحجري الحديث فيقول: " لقد غيرت ثورة العصر الحجري الحديث نوعيا طبيعة التطور الإجتماعي للنوع الإنساني، وسمحت نتائجها بالحديث عن بداية التاريخ. إن ثورة العصر الحجري الحديث سرّعت بشكل كبير من تطور المجتمع، وأسست حوافز نوعية جديدة للتطور، حوافز ما كان لها من حيث المبدأ أن تظهر في حقبة سابقة"[١٤١].

ولم تكن الأرض الزراعية ذات مساحات كبيرة وإنما حددت بأراض صغيرة ومحدودة الإنتاج، وكانت زراعة حقلية خالية من البستنة وغرس الأشجار المثمرة. وقد مثل القمح والشعير أول أنواع الحبوب التي زرعها الإنسان، وكانت الزراعة ديمية وتعتمد على مياه الإمطار، واقتصرت بدايةً على القسم الشمالي والغربي من الفرات، حيث سقوط الإمطار كان كافياً لإنبات الحبوب. ومن الجدير بالذكر أن الزراعة كانت متنقلة، فبعد أن تفقد الأرض خصوبتها يتركها الفلاح إلى أرض جديدة خصبة أخرى، ولكنها تقع ضمن نطاق القرى الزراعية[١٤٢] المحيطة به[١٤٣].إن الزراعة هي الركن الأساس في حضارة الإنسان، وتعد الأساس المادي المتين لأوجه التطورات المختلفة التي عاشتها الحضارة في جوانبها الفكرية والمادية[١٤٤]. فبعد اتساع مساحات الأراضي المزروعة وتنوع المحاصيل وتطور أساليب الزراعية، ولد فائض في الإنتاج[١٤٥] ويعتقد الكثير من الباحثين أن ذلك الفائض دفع الإنسان إلى المقايضة بين المحاصيل المختلفة[١٤٦]، ونتج عن تضافر الفائض والمقايضة التخصص في العمل. فظهرت هناك جماعات اختصت بزراعة الحبوب وإنتاج كميات كبيرة منه من أجل المقايضة مع الجماعات التي اهتمت بصناعة الأدوات والآلات في حين نرى جماعة أخرى اهتمت بصناعة الفخار والملابس إلى غير ذلك من التخصصات الحرفية والتي أخذت تؤسس بدايات التعامل الإقتصادي[١٤٧].وعلى الرغم من أن للزراعة أثرا عميقا في الإستقرار وفي تطور مظاهر الحياة، لم يصل الإنسان إلى مرحلة المدنية بعد، ولم تكتمل مؤسساته الإجتماعية الرئيسة، كما لم تظهر مؤسساته السياسية، ولم ينطلق الفكر نحو آفاق المعرفة الخلاقة الإ بعد أن حدثت ثورة أخرى قد تكون نتيجة من نتائج الثورة الزراعية الأولى هي اختراع الكتابة[١٤٨]، إذ مثلت مرحلة تطور فكري نتيجة للتطورات الإقتصادية التي رافقت التطورات في البنى التنظيمية الإجتماعية والسياسية[١٤٩].وانطلاقا من طبيعة الإنسان في فهم الحياة وتسهيلها يعتقد أن اليد كانت من أهم تلك الأدوات التي سهلت عمل الإنسان، فتكوير الأصابع مع الإبهام لمسك الأشياء، مثل المحراث، والسيف، أو لتكويرها لإغراض عنيفة مثل الضرب أو لغرض التشكيل الفني كصنع التماثيل، يمثل الإنتقالة الثقافية الحضارية من إنسان عصر ما قبل التاريخ إلى إنسان العصور التاريخية أو إنسان الحضارة، إذ بدأت الكتابة بتكوير اليد ومنها بدأ التاريخ، إذ إن اليد هي أصداء لنظرة العقل الكلية للكون والطبيعة والإنسان[١٥٠]. وتأكيدا على أهمية اليد في تفكير الإنسان يؤكد الإستاذ ديني دي روجيمون أن يدي الإنسان أساس تفكيره[١٥١]. لذا فإن الحضارة ليست نتاجا للذهنية التي عرف بها فقط، بل تميزت بأنها إتقان وتطوير وتفاعل بين العقل واليد[١٥٢] يعتقد الباحثون والعلماء أن الإتساع الكبير في حجم الإستيطان القروي الزراعي في مدينة الوركاء، وتطور الفنون والعمارة بشكل مثير، وتطور العلاقات وتشابك المصالح الإقتصادية الواسعة قد حفزت بشكل كبير لوضع أسس أقدم وسيلة للتدوين في تاريخ

البشرية. فالكتابة تكشف بوضوح عن تنامي القدرات الإقتصادية للعراقيين القدماء في تلك الحقبة[١٥٣].إن مشاريع الري وضبطها والسيطرة عليها كانت من أهم عوامل قيام الدول في القسم الجنوبي للعراق، إذ كان لجهود طلائع المستوطنين في منتصف الإلف الخامس قبل الميلاد اثر كبير في تحويل الكثير من البطائح والمستنقعات إلى أراض زراعية[١٥٤]، وكانت دافعا اتفق مع نزعة الطبيعة الإنسانية إلى الإجتماع، فشكلت حافزاً ودافعا مهما لتكوين المدن[١٥٥]. فقد خطت البشرية في حدود تلك الحقبة خطوة نحو الإمام عندما بدأت ببناء القرى المطورة التي أصبحت مدناً، وازداد الوعي الذاتي للحياة البشرية، وأصبح بإمكان الناس آنذاك التعبير عن تطلعاتهم بتقنيات مدنية. ويمكننا تعرف الإستجابة الأولى لتحدي التحضر في العراق القديم في الميثيولوجيا التي حفلت بحياة المدينة[١٥٦]، لذا فقد أصبحت المدن محرضا للتقدم، وبؤرا لنشوء الحضارات[١٥٧]. ولاشك أن المدينة أصبحت رافد للتفكير مباشرة بالمعبد الذي سيكون مركز المدينة والذي سيُسْهِم في ظهور المؤسسة الدينية الرسمية المتمثلة بالكهان، وهو ما سيدفع لظهور المؤسسة السياسية وظهور الملك الذي كان كاهنا ابتداءً[١٥٨].يعتقد أن تعاظم الإنتاج أدى إلى تحرير الإفراد، لكي يتخصصوا و يعملوا في أعمال تجارية وعسكرية وغيرها، وقد أدى تقسيم العمل وتطوره إلى التخصص المهني، الذي أدى إلى تطور المدن واتساعها بشكل ملحوظ [١٥٩]. ويبدو أن هناك عدة ظواهر حضارية تضافرت بحيث أدت إلى تطور حجم المدن جاء في مقدمتها الفائض الإنتاجي[١٦٠]. وكانت التطورات الإقتصادية قد ألقت بظلالها على الحضارة بشكل عام، إذ كانت الكتابة نتيجة أخرى لتلك التطورات.

وأكد الإستاذ ثوركيلد جاكبسون أن إنسان العراق القديم ما كاد يخترع الكتابة ويستخدمها في تدوين أفكاره وأحاسيسه وأساطيره وأخباره وخبراته حتى تغير شكل الحضارة، فكأن حضارة العراق القديمة قد تبلورت بين عشية وضحاها، فإنبثق فجأة الشكل الأساس أو الهيكل تام النمو في سماته الرئيسة[١٦١]، الذي ستعيش البلاد في كنفه وتحت سيطرته، مما يثير فيها أعمق الإسئلة، ويقيم نفسه كما يقيم الكون لكل العصور اللاحقة[١٦٢]. ومنذ ذلك الوقت تسارعت نسبة التغير في المدن، وأصبح الناس أكثر وعيا بسلسلة الإسباب والنتائج. فضلا عن ذلك إن التكنولوجيا الجديدة المتمثلة بالكتابة، وهبت لسكان المدن القدرة للسيطرة على بيئتهم، وازداد تمايزهم عن الطبيعة لذا أصبح زمنا للتشويق والتحرر والكبرياء[١٦٣].

أذاً كانت الكتابة ثورة ثانية بعد الزراعة في حياة الإنسان، وعاملا حاسما نقل الإنسان من حياة البربرية إلى حياة التمدن، ومن حياة القرى الصغيرة والمجتمعات الضيقة إلى حياة المدن الواسعة والمجتمعات الكبيرة، إذ عدت الكتابة حدا فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، وكانت القوة الدافعة العنيفة التي أطلقت الإنسان في طريق النمو والإزدهار الذي شمل مؤسساته الإجتماعية والدينية والسياسية وحياته الفنية والتقنية[١٦٤]. وتعد أهم محصلة حضارية كبيرة حققها الإنسان العراقي القديم، وتأتي على رأس الأدلة المادية على النضج الحضاري لحضارة العراق القديم، إذ كان لها الفضل الكبير في وضع أصول التاريخ المدون للبشرية، وجعلوا منها أداة ناجحة لتدوين الأفكار ونقلها[١٦٥].

وقد ثبت بصورة لا تقبل الشك إن الكتابة اخترعت واستعملت لأول مرة في تاريخ الإنسان في القسم الجنوبي من العراق(الطبقة الرابعة المستوى أ) في بلاد سومر وتحديدا في الثلث الأخير من الإلف الرابع قبل الميلاد، ويعتقد أنها نشأت بدوافع الحاجة الإقتصادية والإدارة وضروراتها في عمليات اقتصادية عديدة ومعقدة تتعلق بالمعبد[١٦٦]. ومن تلك البلاد انتشرت إلى بقية أنحاء الشرق القديم وأصبحت رافدا مهما للشعوب الإخرى لإيجاد كتابات خاصة بهم[١٦٧]. وهناك عدد من الوثائق تثبت أن للكتابة أثرا حاسماً ومدهشاً وقوياً مارسته في بداية نشأتها، على بصر سكان العراق القديم وذهنيتهم، الذي سمي المنطق أو الجدلية والقوانين المشرفة على تقدم المعرفة لديهم، وكأن فكرهم قد طُبع بعمق باكتشافهم ذاته[١٦٨]. وأسهمت الكتابة في حفظ الأفكار بشكل كبير، وأصبحت هناك تراكمية ساعدت كثيرا في تطور

المعرفة، فهي عملية تجريد راقية، لأنها جعلت بالإمكان قيام وعي تاريخي عام، كان سببا مباشرا في النقلات الحضارية اللاحقة، إذ كانت لمكتبات المعابد شأن في توسيع أفاق المعرفة وبخاصة تلك التي اقترنت بعبادة إله المعرفة والحكمة والتأمل، ومع تقدم الزمن والمجتمع وتوسع آفاق المعرفة، وجدنا في نينوى مكتبة اشوربانيبال تحوي على ٢٥ الف رقيم[١٦٩].إن الإنتقال في أسلوب معيشة الإنسان كان وليد التغيرات الجغرافية، فالإنتقال إلى حياة المدينة تطلّب جهدا كبيرا، لكن البقاء على الإساليب القديمة في العيش فيها أصعب. فنجد تجربة الحضارة أمرا رائعاً وهشاً معاً، فالمدينة تزدهر وتنتعش بسرعة، وسرعان ما تنحدر وتزول عندما تصل إلى ذروة مجدها، فقد كانت هناك حروب وصراعات شرسة بين سكان المدن، لذا كان هناك خوف دائم من ارتداد الحياة إلى بربريتها القديمة، ونجد ذلك جليا في أساطير العراق القديم التي صورت الصراع اللامتناهي بين النظام والفوضى بمزيج من الإدراك والإمل[١٧٠].شهد العراق القديم ارتقاءً حضاريا مهما، تزامن مع الإنتقال في العراق القديم من القرية إلى المدينة إذ ظهرت مجموعة تطورات، تمثلت بوجود أنماط فخارية جديدة، واختراع عجلة الفخار، واستبدال الإختام المنبسطة بالإختام الإسطوانية، مع العديد من التطورات الإخرى التي توجت بالكتابة[١٧١]. ونجد أن سكان العراق القديم رأوا في المدينة مكاناً للاتصال بالإلهة[١٧٢]. واعتقدوا أن الإله انكي اله الحكمة قد علّم الناس أنهم بقيامهم ببناء المدن إنما يشرعون في إطلاق مشروع عجيب سيغير مجرى الحياة البشرية إلى الإبد[١٧٣]، واعتقدوا أن بناء تلك المدن إنما هي مشاركة الإلهة بالقدرة الإبداعية الخلاقة في استعادة النظام للعالم الفوضوي[١٧٤]. لذا فإن المدينة قد استطاعت أن تغير الفكر بصورة ملحوظة استناداً لذلك المفهوم في قدرة مشاركة الإلهة، وبحكم ذلك بدأت الإلهة تظهر غريبة وبعيدة في ظل تزايد إخفاق الطقوس والقصص القديمة في تقريب الرجال والنساء من عالم الإلوهة، الذي كان في غاية القرب في يوم من الإيام. وصار الناس أكثر تحررا من أوهام الرؤى الإسطورية التي أنعشت أجدادهم وألهمتهم[١٧٥]. طور السومريون منذ الإلف الثالث قبل الميلاد، كثيرا من البنى الذهنية التي عدت أراءً ووجهات نظر مهمة لها أثر هائل في تشكيل البنى الفكرية، ليس فقط على معاصريهم السومريين الإوائل فحسب بل على غالبية الشعوب التي جاءت بعدهم من الإكديين والبابليين والإشوريين، وتخطى الإمر ذلك حتى وصل إلى شعوب الشرق الإدنى القديم كافة من العيلاميين والحثيين وشعوب بلاد الشام، إذ ارتكزت الفكرة الأساسة التي اعتنقوها على أن الكون يتسم بالنظام، وان كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلي العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعة[١٧٦].فنجد أن استمرار فكر الإلهة الإم في العصور التاريخية، أخذت أبعادا جديدة تتناسب والتطور الذي شمل جميع عناصر الحضارة، فنجد أنها رمزت إلى قوى وظواهر مادية[١٧٧] اختلفت درجة تحكمها وتأثيرها في حياة السكان بفعل تطور وسائل معيشتهم وأساليب الإنتاج عندهم، إذ جعلهم ذلك التطور أكثر قدرة في التأثير بالطبيعة من أسلافهم الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ. ويؤكد الإستاذ نائل حنون انه استناداً لتلك التحولات كان لابد أن تتطور عقائدهم وأفكارهم عن تلك القوى والظواهر، ومن ثم تختلف نظرتهم إلى كائنات ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية- أي الإلهة). وكان الدافع الأساس لهذا التطور هو تغير إحساسهم بقدراتها في التأثير في حياتهم، إن هذا التطور والتغير في الحياة والأفكار كان بفعل تقدم الحضارة وتغير أساليب الحياة[١٧٨]. لذا كان تطور المجتمع وتعقيد تفاصيله وتداخل النظم الإجتماعية المختلفة، وتعدد مؤسساتها، دافعا ورافدا مهما لتبلور أفكار جديدة تتناسب مع تلك التطورات بحيث أفرزت نتاجا فكريا وفنيا يتلاءم مع طبيعة الحياة الدينية والإجتماعية والسياسية والأفكار الواعية لتلك الطبيعة[١٧٩] ونجد مثلا أن النقوش الفخارية التي سادت في حلف على سبيل المثال، ابتدأ من رسمه بشكل طبيعي حتى اتخذ شكلا تجريديا، قد عبرت عن المرحلة التي قدس فيه الثور الذي مثل العنصر الذكر بجانب تماثيل الإلهة الأم. وبهذا فإن تقديس الأمومة وعبادة الثور من البوادر الفكرية الأولى الهامة للمجتمع الزراعي في العراق القديم في تلك الحقبة[١٨٠]. بعد مدة من بناء المدن ظهرت أفكار دينية تركزت مفاهيمها في ازدياد لامبالاة الإلهة، ولم يعد يعنيها مأزق البشر ومشكلاتهم انذاك بالتزامن مع التقدم في بناء المدن وكفاءة نظم الأمن وسوق اللصوص وقطاع الطرق إلى العدالة، لذا انحسرت الروحانية القديمة ولم يظهر شيء يحل مكانها وأصبح هنالك فراغ روحي واضح[١٨١].إن الإهتمام بدراسة الأسطورة بوصفها ظاهرة اجتماعية- دينية ومحاولة تفسيرها لم يقتصر على الباحثين المحدثين، انه شغل

مفكري وفلاسفة العصور القديمة أيضا[١٨٢]. لذا فإن الأساطير تعد مصدرا خصبا ومهما من مصادر دراسة الشعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون والمجتمع والإنسان ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي شغلتها،[١٨٣] لان الأساطير تعد ظاهرة عامة توجد بشكل أو بآخر في كل مراحل الحضارة، ومعروفة لدى معظم الشعوب، وقد تكون نشأة الأساطير مثل كل شيء في الظروف البدائية التي كانت تسود في العصور القديمة، ومن ثم فإن نشأة الأساطير تزامن مرحلة معينة من مراحل التطور الفكري وتلازمها[١٨٤]. وان رؤية الإنسان للطبيعة ككل والأفكار المتضمنة فيها لها ابلغ الأثر في التأثير في الأنساق الدينية المبكرة، إذ يمكن أن نوجزها بنقطتين:

١- إن نطاق الغيبيات شاسع لدرجة أن الدين والمعتقدات في تلك الحقبة تحاول أن تتعامل مع كل مظاهره.

٢- لم تكن للآلهة سمات تميزها بصورة واضحة جدا من حيث طبيعتها عن انساق الكائنات الشيطانية الإدنى، فتكمن سمتهم المميزة في علاقتهم بالإنسان، ونتيجة لتلك العلاقة فقد نشأت عنها سلسلة منظمة وثابتة من المؤسسات الدينية[١٨٥].

وازدادت قيمة الأساطير لكونها مصدرا من مصادر المعرفة التي ليست من صنع أفراد بل هي من الإبداعات الجمعية لشعب ما[١٨٦]. ويمكن القول إن الإسطورة نظام فكري متكامل، استطاع استيعاب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الإبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والإحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه. إنها إيجاد النظام حيث لا نظام، ورسم لوحة متكاملة للوجود، وهي الإداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة، ومعيار أخلاقي في السلوك، فهي بذلك مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم[١٨٧]. ويمكن أن نلخص ابرز النتائج الأساسة لمرحلة ما قبل التاريخ وهي:

١- تعلم الإنسان كيفية استعمال النار[١٨٨] والأدوات. فالكائن الحي الذي لا يملك هذين الشيئين فإن من الصعوبة بمكان أن نعده إنسانا. واكتشاف النار واستعمالها أمر يحمل الكثير من الإبعاد العملية والروحية للإنسان، وقد انعكست صفات النار وأثرها وشكلها إيجابا على القوة الروحية للإنسان وهيأته لمرحلة قادمة[١٨٩].

٢- ظهور اللغة: يعد ظهور اللغة الفارق الجذري عن طريقة تفاهم الحيوانات بالتعبير العفوي عن أحاسيسها، فللإنسان وحده إمكانية التعبير عما يدركه بالكلام، ونقل أفكاره عن العالم المادي وإيصالها، الذي يعد موضوع تفكيره وحديثه[١٩٠].

٣- أساليب تشكيل الإنسان هي ما يفرضه على نفسه، ففي طبيعة الإنسان نفسها مغروس يجعله يشعر انه جزء من الطبيعة ويشكل نفسه بواسطة الفن. أي أن طبيعة الإنسان تشكل فنيته.

٤- تشكل الجماعات والمجتمعات إذ شكلت الفارق الأساس للمجتمع الإنساني عن الجماعات وعلاقات السيطرة والإخضاع المتكونة مسبقا، هو إدراك الناس لمعنى المجتمع وجوهره.

٥- الحياة تشكلها الأساطير، فالحياة تشكل بواسطة انموذجات أو أنماط إخضاع الموجودات كلها والتكوين الأسري، والبنية الإجتماعية، وطبيعة العمل والصراعات، لتلك الأنماط، التي تعد ببساطة في تفسيرها اللانهائي وعمقها الوجودي حوامل لوعي الذات، ولوعي وجودها[١٩١].

ويمكن أن نستشف أن الكون في البنية الذهنية العراقية القديمة لم يكن شطرين أساسيين للمادة وهما الحي والجماد، كما لم يكن فيه مستويات متباينة للواقع، فكل ما يعرف بالحس

والتجربة أو الفكر له بقاء ثابت وهو جزء من الكون. فكل ما في الكون حيا كان أم جمادا أم فكرة مجردة يتمتع بإرادة ذاتية وشخصية خاصة[١٩٢]. ومن خلال دراسة الأساطير العراقية القديمة يتضح أن تصورات الخليقة لديهم تدل على ذهنية تمتاز بدقة الملاحظة والقابلية على الاستقراء والإستنتاج من المقدمات الملاحظة المحسوسة، ولهذا السبب واستناداً الى الطريقة العقلية، نقول: إن التصورات والمدركات الذهنية عند العراقيين القدماء فيما يتصل بنشوء الكون تتلخص بالإتي:

١- اعتقاد العراقيين القدماء أن البحر الإول، كان بداية للكون والوجود، وقد وصفه السومريون بالسرمدية والأزلية. كما في الأسطورة (في البدء قبل أن تسمى السماء)

٢- إن البحر الأول هو السبب في وجود السماء والأرض متحدتين.

٣- كانوا يتصورون الأرض والسماء عنصرين صلبين، وان العنصر الغازي الموجود بينهما، أي الهواء، قد تولد منهما وان الميزة الأساسة التي يتسم بها هي التمدد، ولهذا السبب فإن انفصال الأرض عن السماء كان نتيجة لهذا التمدد.

٤- لما كان الهواء أخف وزنا وأقل كثافة من السماء والأرض، تولد عند القمر.

٥- بعد انفصال السماء عن الأرض تحقق إمكان وجود النبات والحيوان والحياة البشرية على وجه الأرض، كما اعتقدوا بإن الحياة قد تكونت نتيجة اتحاد الهواء والأرض ولعل الشمس أيضا كانت من ضمن هذه العناصر[١٩٣]. ويجب أن لا نغفل اثر المجتمعات أو الدول المجاورة، ولاسيما إذا كانت الجماعتان تشغلان أقاليم معينة دون غيرها، أما التنظيمات التي تقوم بدور سلبي في مثل هذا الإتصال الإجتماعي، فإن البيئة البشرية التي تجابهها المجتمعات إما خارجية أو أجنبية[١٩٤]. لذا فإن الحضارات تنمو من قوة دافعة تنقلها من تحد عن طريق الإستجابة إلى تحد آخر، ويكون لهذا النمو مظاهر خارجية وداخلية على حد سواء، فيظهر النمو في العالم الإكبر على هيئة سيطرة أو سيادة مطردة التقدم على البيئة الخارجية، ويظهر في العالم الإصغر(الإنسان)، بهيأة قوة و عزم مطردين على تقرير المصير أو بهيأة التعبير عن النفس[١٩٥].

إن دراسة الحضارة في العراق القديم تقدم مثالاً لدراسة حياة الإنسان وبداية الفكر الإنساني لأنه حمل جذورا مهمة حملها السومريون، إذ يرى جيمس ملر James Mellaart أن جذور الثقافة السومرية قد تجسدت في ظاهرة الإستقرار في الأرض وبناء أولى المستوطنات الدائمة ذات الشكل البدائي، ثم بدأت تظهر الإشارة الأولى التي سجلت هوامش البحث عن المعرفة والتجريب العلمي ممثلا في الإكتشافات البدائية والمهمة جدا مثل التأسيس لعلم الزراعة والبداية في تنظيم الإنتاج وتعدد أنواع الغذاء إلى جانب تدجين الحيوانات وامتلاك قطعان الماشية ومغادرة الكهوف، والبداية الفعلية في إنشاء التجمعات السكنية الهادفة إلى الإستقرار، إذ مثلت تلك المرحلة تسجيل الإهتداء إلى أسلوب التصنيف للبذور والبداية بزراعتها، ووضع الجداول الزمنية لزراعتها حسب المواسم الطقسية المتغيرة[١٩٦].إن كل تلك المفردات شكلت ظهور الشكل الحضاري الجديد وعملت على تدعيمه بأهم الإختراعات التي عملت على طي صفحة التخلف المتمثلة في مرحلة الصيد البدائي وحياة الكهوف ودشنت مرحلة الزراعة والإستقرار وأعلنت بداية تشكل الجانب المعرفي والإقتصادي وتأسيس القاعدة الحضارية ذات الإبعاد المختلفة، لذا يمكن القول أن أكثر الإدلة وأهمها عقلانية تشير حتى وقتنا الحالي إلى حقيقة جوهرية تفيد بان التحولات التي رافقت بداية الحضارة السومرية هي التي شكلت القاعدة القوية لتأسيس حضارتنا

الحالية[١٩٧]. إجمالا يمكن القول إن جذور الأفكار وبدايتها قد انطلقت من صميم طبيعة الإنسان، وتضافرت مع طبيعة البيئة التي يعيش فيها. إذ أعانت الطبيعة الإنسان في أن تعرف نفسها بطرق مختلفة، وقد اجتهد الإنسان في بلورة كل الأفكار التي من شأنها تسهيل الحياة وإيجاد طرق أفضل لتتكيف مع واقعه المعيشي وانطلاقا من طبيعته. ويمكن القول أن حاجة الإنسان النفسية والروحية والمادية البيولوجية كانت الدافع الإول لحركة الإنسان وتوقه نحو حياة أفضل.

---

(١) قاموس الأعلم– اشراف ابراهيم شمس الدين– مؤسسة الاعلمي للمطبوعات– بيروت– ٢٠٠٥– ص٣٨٠

(٢) راجع رأي : Stina Larserud:

Stina Larserud- Election observation, monitoring and supervision- Facilitator- Posted at December 2006- at:
http://aceproject.org/electoraladvice/archive/questions/replies/234934798#816264826

(٣) **African Union**- Guidelines For African Union Electoral Observation and Monitoring Missions -(2004)

(٤) Stina Larserud- Election observation, monitoring and supervision- Op.Cit.

(٥) مثل اتفاقية واجبات المراقب الدولي على الإنتخابات الوطنية الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة: نص الاتفاقية:

United Nation -Declaration of principles for International Election Observation and Code of Conduct for International Election Observers–New York-2005

(٦)قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٦ لسنة ١٩٩١. ينظر:

United nation- General Assembly-- A/46/609-19 November 1991-p4

(٧) وهو الجهد الذي قام معهد كارتر للرقابة الدولية في توحيد القواعد المنظمة لعمل فرق الرقابة الدولية. ينظر:

The Carter Center- Building Consensus on Principles for International Elections Observation- December 2006-p2

(٨) ويعتبر هذا المكتب تابعاً لقسم الشؤون السياسية في منظمة الأمم المتحدة. راجع الموقع الرسمي للمكتب على شبكة الانترنت: http://www.un.org/dept/ead/index.shtml

(٩) **United Nations**-Declaration of principles for International Election Observation and Code of Conduct for International Election Observers-Op.Cit- p2

(١٠) **International Institute for Democracy and Electoral Assistance**- Fact sheet- Sweden- 2005-p1

(١١) د. عبد السلام نوير– الرقابة على الإنتخابات والتحول الديمقراطي في إفريقيا– نيجيريا نموذجاً– جامعة الملك سعود– ٢٠٠٧– ص ١

(١٢) الفقرة ج من القسم الأول من إجراءات تسجيل واعتماد فرق المراقبة الدولية الصادرة عن مجلس المفوضين في المفوضية العليا المستقلة للانتخابات. منشورة على موقع المفوضية الرسمي على الرابط:
http://www.ihec.iq.org/

(١٣) ذلك لا يعني أن الأنظمة الشمولية أو الديكتاتورية لاتعتمد على الإنتخابات، لكن الإنتخابات فيها غالباً ما تفتقر

لمقومات الديمقراطية والغاية من إجرائها هو إضفاء الشرعية على تلك الإنتخابات.

(١٤) ناظم عبد الواحد الجاسور– موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية– دار النهضة العربية–٢٠٠٨– ص١٢٩.

(١٥) تتولاها الجهة الإنتخابية التي تتولى بموجب الدستور صلاحية التنظيم والإعداد والاشراف على الإنتخابات المحلية، مثل المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق التي تنظم الإنتخابات بالاستناد الى الفقرات ١,٢,٣ المادة الثانية من قانون المفوضية العليا للانتخابات رقم ١١ لسنة ٢٠٠٧.

(١٦) قد يجمع المشرع بين مختلف صور الضمانات الداخلية في ان واحد كما هو الحال في التشريع العراقي الذي اعطى للمفوضية العليا للانتخابات والقضاء العراقي(ممثلاً بمحكمة التمييز) فضلاً عن منظمات المجتمع المدني ووسائل الاعلام. ينظر قانون المفوضية العليا للانتخابات الذي سبق الاشارة اليه.

(١٧)تنظر المبررات التي يقدمها معهد كارتر لرقابة الإنتخابات المحلية في تاكيده على أهمية تلك الرقابة وعلى موقعه الرسمي: http://www.cartercenter.org/peace/democracy/nav_question2.html

(١٨) حافظ ابو سعدة–لماذا نحن بحاجة الى الرقابة الدولية للانتخابات؟– جريدة اليوم السابع–٤ شباط ٢٠١٠

(١٩) حول تزوير الإنتخابات في الفلبين انظر تقرير منظمة (NDI) الذي شارك في الرقابة على هذه الإنتخابات:
International Democratic Institute for international affairs- Reforming The Philippine Electoral process: developments 1986-1988 -NDI-1991-p69

(٢٠) تنظر الأدلة التي تؤكد وجود التزوير من قبل الجنرال نورييغا ضد منافسه Guillermo Endara التي قدمها معهد كارتر لرقابة الإنتخابات الذي تولى رقابة هذه الإنتخابات:
The Carter Centre- Observing Nicaragua's Elections, 1989-1990- may 1990-p38
كذلك ينظر لتحليل آثار تزوير هذه الإنتخابات على السياسة الدولية:
William H. Huff IV-The United States 1989 Intervention in Panama: a just Cause?- B.S. Florida State University, 1992- print in Augest 2004-p22

(٢١) تتسع قائمة التزوير أو المخالفات الإنتخابية التي يتم رصدها من قبل المنظمات الدولية المراقبة للانتخابات لتصل الى عشرات الحالات التي نحيل التفصيل بها الى:
Beatriz Magaloni- The Game of Electoral Fraud
and the Ousting of Authoritarian Rule- Forthcoming in : *American Journal of Political Science*, Summer 2010

(٢٢) -**Erasmo Pinilla C-** The national and international observation of elections- Year 2 No. 4 January 20- available at: http://www.mundoelectoral.com/html/index.php?id=274.

(٢٣) **Judith Kelley**- Assessing the Complex Evolution of Norm :The Rise of International Election Monitoring- International Organization .Vol 62,spring 2008-p221

(٢٤) رقم ٢١٧ ألف (د–٣) المؤرخ في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨

(٢٥)رقم ٢٢٠٠ (ألف) المؤرخ في ١٦ كانون الأول ١٩٦٦

(٢٦) ينظر المطلب الأول من المبحث الأول.

(٢٧) Brahm, Eric. "Election Monitoring." *Beyond Intractability*. Eds. Guy Burgess and Heidi Burgess. Conflict Research Consortium, University of Colorado, Boulder. Posted: September 2004 at: http://www.beyondintractability.org/

(٢٨)د. عبد السلام نوير– الرقابة على الإنتخابات والتحول الديمقراطي في إفريقيا– نيجيريا نموذجاً– مصدر سابق–ص١

(٢٩)د. يحيى الجمل– الإشراف الدولي على الإنتخابات/جريدة المصري اليوم/ **تاريخ العدد** السبت ١٠ فبراير ٢٠٠٧ **عدد** ٩٧٢

(٣٠) الاعلان العالمي لحقوق الانسان- منشورات الامم المتحدة-٢٠٠٣

(٣١) هناك مواثيق أخرى–ذات طابع إقليمي– نكتفي بالإشارة إليها هنا تجنباً للإطالة : مثل الميثاق الأوربي وميثاق الدول الأمريكية.

(٣٢) وافق عليه مجلس جامعة الدول العربية بقراره رقم 270 د.ع (16) بتاريخ ٢٣– ٥ –٢٠٠٤

(٣٣) المادة الثانية من الميثاق العربي لحقوق الإنسان.

(٣٤) **Article 15,16,17 from** Human Peoples' Right

(٣٥) **Edward R. McMahon**- African Charter on Democracy, Elections and Governance: a positive step on a long path -African Governance Monitoring& Advocacy Project- May 2007-p2

(٣٦) الفصل الحادي عشر من ميثاق الأمم المتحدة.

(٣٧) الفقرة ب من المادة الثالثة والسبعون من ميثاق الأمم المتحدة.

(٣٨) "Namibia." Microsoft® Student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008.

(٣٩) **United Nations**-Handbook on United Nations Multidimensional Peacekeeping Operations-United Nations-December-2003-p157

(٤٠) لعل من المناسب هنا ان نشير الى راي بعض الباحثين من ان مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية كثيراً ما يتعارض مع نصوص أخرى في الميثاق والمواثيق الأخرى التي تحتم على المنظمة التدخل لحماية حقوق الانسان أو حماية الأقليات، لذلك يمكن(على سبيل المثال) اللجوء الى نصوص ميثاق حقوق الإنسان لإعطاء دور اكبر للأمم المتحدة في رقابة الإنتخابات حفاظاً على حق المواطن باختيار ممثليه بصورة عادلة ونزيهة.

ينظر:

Professor Shaun Breslin- UN making International Norms: The United Nations and Global Governance - Warwick University-2010. P2

(٤١) منها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٣٨/٤٧ في ١٨ كانون أول ١٩٩٢

(٤٢) **Arturo Santa-Cruz**- Redefining Sovereignty, Consolidating a Network: Monitoring The 1990 Nicaraguan Elections-Revista De Ciencia Politica/ Volmen XXIV/N1/2004/p203

(٤٣) United nation- General Assembly-- A/46/609-19 November 1991-p16

(٤٤) United nation- General Assembly-- A/46/609-19 November 1991-p25

(٤٥) للتفصيل في دور الأمم المتحدة في رقابة الإنتخابات ينظر :

Malinda N. Hodgson- When To Accept, When to Abstain: A Framework of U.N Election Monitoring- New York University- Journal of International Law and Politics- Vol.25,No.1-1992.

(٤٦) د. ابو الخير احمد عطية- النظام المؤسسي للاتحاد الأوروبي-دار النهضة العربية- القاهرة-٢٠٠٧-ص٤٥

(٤٧) **Handbook for European Union Election Observation Missions**- The Swedish International Development Cooperation Agency- Sweden-p5

(٤٨) لمراجعة تفصيلية للمهام التي تضطلع بها هذه الهيئة ينظر موقعها الرسمي على الانترنيت:
http://ec.europa.en/index_en.htm

(٤٩) **The Organization for Security and Co-operation in Europe(OSCE)/The Office for Democratic Institutions and Human Rights(ODIHR)-** Election Observation Handbook- Warsaw-Second edition-1990-p1.

(٥٠) **African Union**- Guideline for African Union Electoral Observation and Monitoring Missions- (draft version 2.0) 20th February 2002-p1

(٥١) Ibid-p1

(٥٢) تراس البعثة وزير الخارجية الاسبق لجمهورية مورشيوس انيل غايان وعدد من اعضاء برلمان الاتحاد الافريقي وممثلي بعض الهيئات المرتبطة بالاتحاد الافريقي. ينظر:

Ivan R. Mugisha- AU Election Observers Arrive-*The News Times daily*- 6 August 2010. at : http://www.newtimes.co.rw/

(٥٣) لا يوجد نص محدد لآلية تشكيل هذه اللجان أو من أي قسم في الاتحاد، إذ يتم أحيانا تشكي هذه اللجان من شخصيا معروفة في إفريقيا (رؤساء أو وزراء سابقين) كما حصل في الإنتخابات السودانية المشار إليها إذ شارك الاتحاد ببعثة ترأسها رئيس جمهورية غانا الأسبق جون كافوار وعدد من أعضاء برلمان الاتحاد الإفريقي وأعضاء من برلمانات الدول الأعضاء وأعضاء من المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للاتحاد الإفريقي. ينظر:

African Union- AU Observer Mission Office- Preliminary Statement of The African Union Observation Mission to The Sudan Elections 11-15 April 2010-(Press Release in 18 April 2010)

(٥٤) ميثاق جامعة الدول العربية / مجموعة المعاهدات والاتفاقات/ الامانة العامة لجامعة الدول العربية –تونس–١٩٨٥ ص٢٢–٢٧

(٥٥) القرار رقم ٢٩٢ في ٢٠٠٥/٣/٢٣ الصادر عن مجلس جامعة الدول العربية

(٥٦) للتفصيل: الموقع الرسمي للمعهد على الرابط:
http://www.cartercenter.org/

(٥٧) **The Carter Center**- Building Consensus on Principles for International Election Obsevation- Op.Cit- p4-7

(٥٨) **United Nations**-Declaration of principles for International Election Observation and Code of Conduct for International Election Observers –Op.Cit.p2

(٥٩) ينظر الموقع الرسمي للمعهد على الرابط:
http://www.ndi.org/

(٦٠) للتفصيل ينظر الموقع الرسمي للتجمع على الرابط:
http://www.wmd.org/

(٦١) ويحصل الخلط احياناً بين هذا من النوع من الرقابة، وبين فرق الرقابة قصيرة الأجل(Short-Term Observation) التي تقتصر مهمتها على رقابة يوم الانتخاب و تعتبر احدى مراحل الرقابة طويلة الأجل التي تعود لمنطقة رقابية واحدة. للتفصيل بين النوعين ينظر:
Handbook for European Union Election Observation Missions- Op.Cit-p34

(٦٢) **Thomas Carothers**- The Rise of Election Monitoring(The observers observed)- Journal of Democracy Vol8,No.3 july -1997-p22

(٦٣) Ibid.p23

مصادر البحث

أولا–المصادر العربية

أ–*الكتب*

١. د. ابو الخير احمد عطية: النظام المؤسسي للاتحاد الأوروبي–دار النهضة العربية– القاهرة–٢٠٠٧
٢. اشراف ابراهيم شمس الدين: قاموس الأعلم– مؤسسة الاعلمي للمطبوعات– بيروت– ٢٠٠٥–
٣. د. عبد السلام نوير: الرقابة على الإنتخابات والتحول الديمقراطي في إفريقيا– نيجيريا نموذجاً– جامعة الملك سعود–2007
٤. ناظم عبد الواحد الجاسور: موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية– دار النهضة العربية–٢٠٠٨

ج– القوانين والأنظمة

١. مجموعة قوانين الإنتخابات العراقية–المكتبة القانونية –بغداد ٢٠٠٩
٢. نظام رقم ٣ لسنة ٢٠٠٨ الخاص بمراقبي الإنتخابات في العراق / المفوضية العليا المستقلة للانتخابات

د– المواثيق الإقليمية والدولية–

١. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان
٢. الميثاق العربي لحقوق الإنسان
٣. ميثاق جامعة الدول العربية / مجموعة المعاهدات والاتفاقات/ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية –تونس–1985ميثاق

هـ– الصحف

د. يحيى الجمل– الاشراف الدولي على الإنتخابات/جريدة المصري اليوم

ثانيا– المصادر الأجنبية

A- books

1. **International Democratic Institute for international affairs**- Reforming The Philippine Electoral process: developments 1986-1988 -NDI-1991
2. **The Carter Center**- Building Consensus on Principles for International Elections Observation- December 2006
3. **Edward R. McMahon**- African Charter on Democracy, Elections and Governance: a positive step on a long path -African Governance Monitoring& Advocacy Project- May 2007
4. **William H. Huff IV**-The United States 1989 Intervention in Panama: a just Cause?- B.S. Florida State University, 1992- print in Augest 2004
5.

6. **Professor Shaun Breslin**- UN making International Norms: The United Nations and Global Governance - Warwick University-2010
7. **The Carter Centre**- Observing Nicaragua's Elections, 1989-1990- may 1990

B- Journal

1. **Arturo Santa-Cruz**- Redefining Sovereignty, Consolidating a Network: Monitoring The 1990 Nicaraguan Elections-Revista De Ciencia Politica/ Volmen XXIV/N1/2004/p203
2. **Arne Tostensen-** Election Observation as an Informal Means of Enforcing Political Rights-NORDISK TIDSSKRIFT FOR MENNESKERETTIGETER- Vol.22,No.3-2004
3. **Stephen D. Krasner**- The Exhaustion of Sovereignty: International Shaping of Domestic Authority Structures- Stanford University- march 2003
4. **Beatriz Magaloni**- The Game of Electoral Fraud and the Ousting of Authoritarian Rule-Forthcoming in : American Journal of Political Science, Summer 2010
5. **Cyril I. Obi**-Elections and the Challenge of Post-Conflict Democratization in West Africa-African Journal of international Affairs- Vol.10,\No.1&2,2007
6. **Judith Kelley**- Assessing the Complex Evolution of Norm :The Rise of International Election Monitoring- International Organization .Vol 62,spring 2008
7. **Khabele Matlosa**- Election Monitoring and Observation in Zimbabwe: Hegemony Versus Sovereign- African Journal Of Political Sciences- Vol.7,No.1(2002)
8. **Liisa Laakso**-The politics of international election observation: the case of Zimbabwe in 2000- Journal of Modern African Studies-Vol.40,No.3.2002
9. **Thomas Carothers**- The Rise of Election Monitoring(The observers observed)- Journal of Democracy Vol8,No.3 july 1997
10. **Wondwosen Teshome-** International Election Observation in Africa- The Case of Ethiopia-ALTERNATIVES- Turkish Journal of international Relations-Vol.7.No.1,Spring 2008

C- Documents& charters

1. **Handbook for European Union Election Observation Missions**- The Swedish International Development Cooperation Agency- Sweden

2. **United Nations**-Handbook on United Nations Multidimensional Peacekeeping Operations-December-2003
3. **The Organization for Security and Co-operation in Europe(OSCE)/The Office for Democratic Institutions and Human Rights(ODIHR)-** Election Observation Handbook-Second edition-Warsaw-1990
4. **African Union**- Guideline for African Union Electoral Observation and Monitoring Missions- (draft version 2.0) 20th February 2002
5. **African Union**- Guidelines For African Union Electoral Observation and Monitoring Missions -(2004)
6. **International Institute for Democracy and Electoral Assistance**- International Electoral Standards Guidelines for reviewing the legal framework of elections-Sweden-2002.
7. **National Democratic institute**- How Domestic Organizations Monitor Elections-1995
8.
9. **United Nation** -Declaration of principles for International Election Observation and Code of Conduct for International Election Observers–New York-2005
10. **Swedish International Development Cooperation Agency**-Handbook For European Union Election Observation Missions- printed by Elanders Graphic Systems- Sweden
11. **International Institute for Democracy and Electoral Assistance**- Fact sheet- Sweden-2005

D- Articles & opinions

1. **Brahm, Eric**. "Election Monitoring." Beyond Intractability. Eds. Guy Burgess and Heidi Burgess. Conflict Research Consortium, University of Colorado, Boulder. Posted: September 2004 at:
http://www.beyondintractability.org/

2. **Erasmo Pinilla C-** The national and international observation of elections- Year 2 No. 4 January 20- available at:
http://www.mundoelectoral.com/html/index.php?id=274

E- Encyclopedias

1. **West's Encyclopedia of American Law**-The Gale Group,Inc.1998
2. **Microsoft® Student 2009 [DVD].** Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008.

(٦٤) . ساكز، هاري، عظمة بابل، موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة، ترجمة عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، ١٩٧٩)، ص٢٥.

(٦٥) . إن أقدم الإلات المعروفة لدى الإنسان هي الإلات الحصوية المصقولة بفعل المياه أو ذات الشقوق المستعرضة المنحرفة أو الشاقولية التي أحدثت بضربة واحدة أو المهذبة على طول حافة واحدة وتؤرخ في نهاية عصر البلايستوسين. انظر توفيق، عماد طارق ، الصناعات الحجرية في العراق حتى نهاية العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٨٦)، ص٥.

(٦٦) . إن الإدلة المتوفرة لإنسان شانيدر في العراق تدل على انه ابتكر المدافن والقبور، وهو دليل على بداية ظهور الدين من خلال المخلفات الإثرية، ولكن هناك من يفسر تلك الإدلة على أنها وعي اجتماعي أكثر منه ديني. إذ تخلص إنسان شانيدر من موتاه بطريقة شعائرية، وذلك دليل معنوي على وجود نوع قيمة للإنسان لم تنتشر بين بقية أشكال الحياة. للمزيد انظر: توينبي، ارنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ج١، الإهلية للنشر والتوزيع (بيروت، ١٩٨١)، ص٣٩. ولمعرفة أوجه التشابه بين إنسان نياندرتال وإنسان شانيدر انظر: كورهان، ارليت، "إنسان نياندرتال في كهف شانيدر"، ترجمة جميل حمود، سومر، مج٢٥، ج١-٢ (١٩٦٩)، ص٢٧٣-٢٧٨.

(٦٧) . ألماجدي، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية (عمان، ١٩٩٧)، ص٣٤؛ الدباغ، تقي، "إنسان الكهوف والإلات الحجرية"، في كتاب حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ص٧٩ وما يتبع.

(68). Wright, H, Climate and Prehistoric Man in the Eastern Mediterranean, in; Braidwood,(R j. 1960), p89.

(٦٩) . للاطلاع على طبيعة الفكر وأنماطه وأماكن نشأته وتطوره انظر: اي نيسبت، ريتشارد، جغرافية الفكر، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة (الكويت، ٢٠٠٥).

(٧٠) . ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود و محمد بدران، مج١، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة، ٢٠٠١)، ص١٢٢-١٢٤.

(٧١) . مؤنس، حسين، الحضارة، دراسة في أصول الحضارة وعوامل قيامها وتطورها، ط٢، سلسلة كتب عالم المعرفة (الكويت، ١٩٩٨)، ص١٥.

(٧٢) . السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، ط١١، دار علاء الدين للنشر (دمشق، ١٩٩٦)، ص١١.

(٧٣) . حول تلك الممارسات السحرية وأثرها على الإنسان انظر: الدوري، رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٩٧).

(٧٤) . السواح، مغامرة العقل الأولى، ص١١.

(٧٥) . فرانكفورت، هنري وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٧٦) . كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، الناشر جمعية المترجمين العراقيين، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٧١)، ص٥٥.

(٧٧) . للاطلاع على فهم عام للملاحم انظر: علي محمد مهدي، "الملاحم والأساطير في العراق القديم"، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، (١٩٨٦).

(٧٨) . الأساطير تتضمن وصفا لأفعال الإلهة، أو الحوادث الخارقة، وهي تختلف باختلاف الإمم، وهي التعبير عن الحقيقة بلغة الرمز والمجاز. انظر :جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، ط١، منشورات ذوي القربى (قم، ١٩٨٥)، ص٧٩.

(٧٩) . كريمر، الأساطير السومرية، ص٥٥.

(٨٠) . فوزي رشيد، "المعتقدات الدينية"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١، ص١٦٤-١٦٥.

(٨١) . عبد الحسين، حسين عليوي، الإله انليل في بلاد الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد، (٢٠٠٩)، ص١٥.

(٨٢) . المرزوقي، جمال، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، ط١، دار الإفاق العربية (بغداد، ٢٠٠١)، ص١٩٠.

(٨٣) . باقر، طه، و فرنسيس، بشير، "الخليقة واصل الوجود"، سومر، مج٥، ج١، (١٩٤٩)، ص١.

(٨٤) . ان البحث في قضية خلق الإنسان في أساطير العراق القديم (السومرية و البابلية) من القضايا الصعبة التي فكر بها الإنسان في العراق القديم، إذ دون الإنسان كيف ظهرت الإلهة للوجود فضلا عن كيفية خلقه من قبل الإلهة. وكان لتلك الأفكار اثر بالغ في تطوره الحضاري، ومن ثم فإن خلق الإنسان بحد ذاته هو ذروة عصر التنظيم، فالإنسان بموجب الأساطير جزء من تطور متواصل لتصميم الكون. انظر: لوكاس، كريستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٠)، ص٣٣؛ كذلك انظر: رشيد، فوزي، "خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية"، مجلة آفاق عربية، العدد ٩، (١٩٨١).

(٨٥) . من وجهة نظر البنية، تكون أساطير الإصول تصديقا للأسطورة الكوسموغونية (النشوء والتكوين). باعتبار أن خلق العالم هو الخلق بامتياز، فكل ظهور أو خلق جديد (إنسان حيوان أو مؤسسة) ينطوي على وجود عالم. وحتى حين تكون المسالة متعلقة بتفسير كيفية وصولنا إلى الوضع الراهن، انطلاقا من حالة للأشياء مختلفة (مثلا كيف انفصلت السماء عن الأرض أو كيف أصبح الإنسان كائنا فإنيا)، يظل العالم مع ذلك موجوداً، على الرغم من أن بنيته قد اختلفت، وانه لم يعد عالمنا بعد، لذا فإن كل أسطورة أصولية إنما تحكي وضعا جديدا بمعنى انه لم يكن موجودا منذ بدء العالم، فأساطير الإصول تتابع وتكمل الإسطورة الكوسموغونية التي تروي لنا كيف طرأت تعديلات على العالم. وهذا هو السبب الذي من أجله تبدأ بعض الأساطير بموجز يشتمل على نشأة الكون. كما في مقدمة ملحمة كلكامش، انكيدو وعالم الجحيم. انظر: الياد، مرسيا، مظاهر الإسطورة، ترجمة نهاد خياطة، ط١، درا كنعان للدراسات والنشر (دمشق، ١٩٩١)، ص٢٤. وتروي لنا قصة الخليقة تفصيليا تلك الإحداث البدئية التي تعبر عن البنى الفكرية التي سادت في حضارة العراق القديم. للمزيد انظر: Thorkild Jacobsen, The treasures of darkness, A History of Mesopotamian Religion, Yale University Press, (New haven and London, 1976), pp167-181.

للمزيد حول أساطير النشوء والتنظيم انظر: يحيى، أسامة عدنان ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، أطروحة دكتوراه، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٧).

(٨٦) . فرانكفورت، وآخرون، ما قبل الفلسفة، ص١٧٨.

(٨٧) . نفر (نيبور): مدينة سومرية قديمة، من أهم وأشهر المدن المقدسة في العراق القديم. تقع الإن بالقرب من مدينة عفك التابعة لمدينة الديوانية، تبعد ٧٠ كم جنوب شرقي مدينة بابل. وكانت هذه المدينة مركزا دينيا خاصا بعبادة كبير الإلهة السومرية الإله انليل وزوجته ننليل، واشتهرت في مآثر بلاد الرافدين بأن الملوك والحكام لم تكن لتثبت شرعية سلطتهم الإ بعد تسلمهم التاج والصولجان وشارات الملوكية الإخرى من إلهها انليل. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، ج١ (بغداد، ١٩٧٣)، ص٢٧٢.

(٨٨) . اريدو إحدى المدن السومرية القديمة، قرب بحيرة إحدى البحيرات الضحلة، أدى الجفاف إلى تدهورها بحدود الإلف الثالث قبل الميلاد، الإ أنها بقيت مركزا دينيا مهما ومعبدا لـ أيا– انكي طوال تاريخ العراق القديم، وتعد أقدم مدينة في التاريخ، وقد أظهرت التنقيبات أنها كانت مركزا لأقدم حضارة معروفة في جنوب العراق. انظر: دانيال، كلين، موسوعة علم الإثار، ترجمة ليون يوسف، ط١، سلسة المأمون (بغداد، ١٩٩٠)، ج١، ص٣٢.

(٨٩) . كريمر، الأساطير السومرية، ص٦٩.

(٩٠) . للتفصيل حول علم الفلك، بداياته والتطورات التي طرأت عليه عبر المراحل الحضارية انظر: ميثاق موسى عيسى ، العلوم والمعارف في العراق القديم (الفلك– الطب– الكتابة– الإدب) أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٦).

(٩١) . حول التطورات الفنية انظر: فارس، شمس الدين، و الخطاط، عيسى سلمان، تاريخ الفن القديم، ط١، دار المعرفة (بغداد، ١٩٨٠)، ص٣٦–٥٢.

(٩٢) . شاهين، شاكر، العقل في المجتمع العراقي بين الإسطورة والتاريخ، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ٢٠١٠)، ص٦٧.

(٩٣) . كسار، أكرم محمد عبد، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، سومر، ج١–٢، مج٣٩، (١٩٨٣)، ص٢٣.

(٩٤) . رشيد، فوزي، "المعتقدات الدينية"، حضارة العراق، ج١، ص١٦٥.

(٩٥) . التفكير: هو استخدام الذهن استخداما منظما، لذا يعد التفكير عملية حضارية احتاجت إلى زمن طويل، حتى أصبح هذا التفكير عنصرا أساسيا وفعالا في توجيه أعمال الإنسان وصنع الحضارة. للمزيد انظر: مؤنس، الحضارة، ص١٦+.

(٩٦) . السواح، مغامرة العقل الأولى، ص١١.

(٩٧) . لوسيف، اليكسي، فلسفة الإسطورة، منذر بدر حلوم، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع (سوريا، ٢٠٠٠)، ص٤٣.

(٩٨) . يعتقد أن مذهب النشوء والإرتقاء يرجع تاريخه إلى الإف السنين، إذ نجد ذلك الصدى في كتابات البابليين والإشوريين وحتى لدى المصريين، فكانوا يقولون بان اثر الكواكب واشتراك بعضها ببعض كان السبب في نشوء الإحياء في الأرض، وإنها لم تنشأ الإ بالتدريج درجة درجة، وانه بتأثير الكواكب السيارة في عناصر الأرض قد تعاقبت الإحياء فيها، حتى أنهم ليروون في خلق الإنسان انه في بدء التكوين لم يكن الإ كتلة لزجة من المادة لا شكل لها ولا صورة، انبثقت فيه الحياة بعد أن نفثت الإلهة نفثة الحياة. ومن ثم أثرت الطبيعة في تلك المادة فتقلبت في أطوار من النشوء بلغت حدها الإخير الصورة البشرية. للمزيد انظر: دارون، تشارلز، أصل الإنواع، ترجمة إسماعيل وظهر، منشورات مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٨٤)، ص١.

(٩٩) . (سموقان Sumugan) إله النبات، والإنتاج والإخصاب وابنته (مامو ma–mu) الإلهة الخاصة بالإحلام. عبد الرحمن، عبد المالك يونس، عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد، (١٩٧٥)، ص٥٣–٥٤؛ كذلك: لابا، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، ترجمة البير ابونا ووليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد، ١٩٨٨)، ص٧٩.

(١٠٠) . رشيد، "المعتقدات الدينية"، ص١٦٨.

(١٠١) . فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص٢٢.

(١٠٢) . ظهرت الرسوم الجدارية في العراق في موقع أم الدباغية منفذة على جدران مملطة وأحيانا مصبوغة بالإحمر، وتمثلت بأنطقة حمراء وهي تعود إلى سنة ٦٨٠٠ ق.م إضافة إلى أفاريز فيها خمسة حمر وحشية محاطة تقريبا بسلسلة لأشياء تشبه الكلاب وكذلك أجزاء لنماذج صغيرة على شكل مجاميع مستقلة تماثل الخطوط المتموجة وجميعها غير كاملة ومع ذلك فإنها تحمل شبها قوية لأجنحة النسور من جطال حيوك. ترينا أجزاء أخرى من تلك الرسوم أفضل طريقة لصيد الحمر الوحشية Onger حيث يبدو انه كان حيوان حذر جدا وسريع الحركة. إضافة إلى شكلين غريبين يمكن أن يمثلان طوطم، وهذان الرسمان يشبه الإشكال الإنسانية وهي تقفز. للمزيد انظر: أكرم، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، ص٣٨. للمزيد حول موقع أم الدباغية وأهميتها الحضارية انظر:

–Kirkbride, Diana,"Umm Dabbaghiyah", Iraq, Vol XXXIV, Spring, 1972, pp3–15.

– Kirkbride, Diana,"Umm Dabbaghiyah", Iraq, Vol XXXV, Spring, 1973, pp1–7.

(١٠٣) . اكرم، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، ص٢٤.

(١٠٤) . كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات (الكويت ١٩٧٣)، ص أ.

(١٠٥) . ديورانت، قصة الحضارة، ص١٥. ويرى الباحثون أن ما جعل المرأة تتصدر أو تتزعم اسرياً على الرجل، معرفتها للتدجين والزراعة قبل الرجل، وبذا أصبحت الإمومة شيء مقدس، فضلا عن ذلك أن الملكية أخذت تنتقل من خلال النساء، أي أن الإولاد اخذوا يتبعون الإم في النسب وأصبح الرجل يشعر بأنه مرتبطاً تبعاً مع المرأة التي مثلت الوفرة و الخصوبة والحياة. انظر: عقراوي، ثلماستيان، المرأة دورها ومكانتها في وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (بغداد، ١٩٧٨)، ص١٨–١٩. للوقوف جليا على تلك الميزات. انظر: حسن، كريم عزيز، الزراعة في العراق القديم، منذ عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠–١٥٩٥ ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٩٦)، ص٢٠–٢٤؛ حول الميزات التي اكتسبتها الحضارة بفضل التدجين انظر: الرويشدي، سعدي، "نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان"، سومر، مج٢٩، ج١–٢، (١٩٧٣)، ص٣–١٢.

(١٠٦) . المثيولوجيا: أسلوب فكري يتوقف على الإجابة عن الإسئلة الكبيرة المتعلقة بأصول ومعنى الكون والحياة البشرية، ودور الإلهة المشرفين على إدارة جميع الإمور، ولا يجري هذا الإسلوب بالتحليلات العقلية والفكرية بحثا عن الحق، بل بتصورات محسوبة لا تعطي سوى إجابات مرجحة تُظن أنها كافية. وبعد تقليد شفهي طويل نجد في أدب بلاد الرافدين عددا كبيرا من الميثيولوجيا هي نتاجات هذا النشاط الذهني. انظر: بوتيرو جان، بلاد الرافدين الكتابة العقل الإلهة، ترجمة الإب البير ابونا، مراجعة وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، (بغداد، ١٩٩٠)، ص٣٧٢.

(١٠٧) . فخري احمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط٢، مكتبة الإنجلو مصرية للطباعة والنشر (القاهرة، ١٩٦٣)، ص١١.

(١٠٨) . ارمستونغ، كارين، تاريخ الإسطورة، ترجمة وجيه قانصو، ط١ الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت، ٢٠٠٨)، ص٣٢.

(١٠٩) . اختراع الكتابة كان عبارة عن الإتفاق على المعاني التي يراد إعطائها للرموز من قبل المجتمع الذي يستعملها لغاياته المشتركة. للمزيد انظر: تشايلد، جوردن، ماذا حدث في التاريخ، ترجمة جورج حداد، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة، ب.ت)، ص١٠٣.

(١١٠) . ألماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص١٠.

(١١١) . كريمر، السومريون، ص ج.

(١١٢) .عبد القادر حسن علي، "إنسان الكهوف"، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٩٨٥)، ص٧٤.

(١١٣) . برونفسكي، ارتقاء الإنسان، ترجمة موفق شخاخيرو، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، ١٩٨١)، ص٤٣.

(١١٤) . ياسين خليل، "المعرفة الإنسانية"، مجلة آفاق عربية، عدد ٣، (١٩٧٥)، ص١٤٦.

(١١٥) . فرلسزس، والتر، أصول الحضارة الشرقية، ترجمة رمزي يسي، تعليق أنور عبد العليم، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع (القاهرة، ١٩٦٠)، ص٦.

(١١٦) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٣٩–٤٠.

(١١٧) . برونفسكي، ارتقاء الإنسان، ص٤٣.

(١١٨) . للمزيد حول هذا الموضوع انظر: ساكز، عظمة بابل، ص٢٥.

(١١٩) . السواح، مغامرة العقل الأولى، ص٩٤.

(١٢٠) . يقع هذا الكهف في الجنوب الغربي من مدينة السليمانية بنحو ١٨كم، وهي على ارتفاع ١٢٠٠ م فوق مستوى سطح البحر. أجريت فيه تنقيبات عدة ونشرت في Garrod,D. The Paleolithic of Southern Iraq Kurdistan, Excavation in Cave of Zarzi and Hzar Mard,B.A.S.P.R.Vol.6, no.6.

(١٢١) . ساكز، عظمة بابل، ص٢٦.

(١٢٢) . الجدول أدناه يبين انتظام وتعاقب الثقافات الرافدينية في العصر الحجري الحديث:

١–	ما قبل جرمو	١٨٠٠ سنة	٨٠٠٠–٦٢٠٠ ق.م
٢–	جرمو	٢٠٠ سنة	٦٢٠٠–٦٠٠٠ ق.م
٣–	الصوان	٢٠٠ سنة	٦٠٠٠–٥٨٠٠ ق.م
٤–	حسونة	٧٠٠ سنة	٥٨٠٠–٥١٠٠ ق.م
٥–	سامراء	٢٠٠ سنة	٥١٠٠–٤٩٠٠ ق.م

وتعد هذه الإدوار الحضارية ثقافات العصر الحجري الحديث الخاصة بالعراق القديم. للمزيد انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص٢٧.

(١٢٣) . الدباغ، تقي، والجادر، وليد، عصور ما قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد، ١٩٨٣)، ص١٢٩.

(١٢٤) . تعد قرية جرمو أولى القرى الزراعية التي عرفت في العصر الحجري الحديث، تقع على بعد ١١كم شرق مدينة جمجمال التابعة لمحافظة السليمانية، تقدر مساحتها ١٦٠٠٠–١٢٠٠٠ م^{2}. للمزيد انظر: عدنان مكي عبد الله ، "نشأة وتطور القرية في العراق ٦٠٠٠–٤٠٠٠ ق.م" مجلة سومر، مج٣٩، ج١–٢، (١٩٨٣)، ص٥٤؛ شاهين، العقل في المجتمع العراقي، ص٩٦.

(١٢٥) . عز الدين، فاروق كامل، الإنسان سلالات وبيئات، (القاهرة، ب.ت)، ص٣٤١.

(١٢٦) . للمزيد حول العصر الحجري الحديث والتحولات الدينية والفنية والإقتصادية انظر، كول، سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث، ترجمة تقي الدباغ ونادية سعدي الدبوني، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد، ١٩٨٨)، ص٨-٥٠.

(١٢٧) . ألماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص٢٧.

(١٢٨) . الدباغ والجادر، عصور ما قبل التاريخ، ص١٣٨.

(١٢٩) . العصر الحجري المعدني: هو العصر الذي اكتشف فيه الإنسان المعادن، وبدأ بتطويعها واستخدامها في حياته اليومية. وارتبط هذا العصر بنشوء المدن الصغيرة والمعابد واستمر بحدود ٢٠٠٠ سنة. وامتاز هذا العصر بأنه رافديني جنوبي في نشأته وتطوره، وكان انتظام ثقافاته المتتالية والمترابطة دليلا مهما على ذلك. ونرى أن الرجل هو الذي اكتشف المعادن وكيفية استخدامها، فبعد أن أخذت المرأة دورها المعروف في الزراعة انصرف الرجل في بداية الإمر إلى رعي الحيوانات وتدجينها، وظلت بعض مهمات الصيد متعلقة به. وبدأت الزراعة تحتاج إلى جهد عضلي واضح كالحراثة والحصاد، فتنامى دور الرجل وظهرت إشارات كثيرة تخص الإله الإب (الذكر) لكن الإنقلاب الفعلي لم يحصل إلا مع اكتشاف المعادن حين استنبت الرجل زرعا يليق بقوته هو المعدن. للمزيد انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص٢٨-١٣٥.

(١٣٠) . سليمان، عامر، "جوانب من حضارة العراق القديم"، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٣)، ص٢١٦.

(١٣١) . كسار، أكرم محمد عبد، "مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية في العراق القديم"، سومر، مج٤٥، ج١-٢، (١٩٨٧)، ص٢٤٤.

(١٣٢) . الجادر، وليد، "التجمعات الزراعية الأولى"، في كتاب المدينة والحياة المدنية (بغداد، ١٩٨٨)، ج١، ص٦١.

(١٣٣) . كريمر، السومريون، ص د.

(١٣٤) . حول موضوع المجتمع الإبوي والإمومي انظر: الشوك، علي، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، دار اللام (لندن، ١٩٨٧)، ص٣٥-٣٨.

(١٣٥) . السواح، مغامرة العقل الأولى، ص٩٤.

(١٣٦) . شاهين، العقل في المجتمع العراقي، ص١١١.

(١٣٧) . كريمر، السومريون، ص هـ.

(١٣٨) . الدباغ، والجادر، عصور ما قبل التاريخ، ص١٢٩.

(١٣٩) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٤١.

(١٤٠) . فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص١١.

(١٤١) . ياكوفيتس، يوري، و كوزيك، بورس، الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل، ترجمة ثائر زين الدين و فريد حاتم الشحف، مراجعة سهيل فرح، ط١، منشورات دار دمشق للنشر والتوزيع (دمشق، ٢٠١٠)، ص١٦٩.

(١٤٢) . حول القرى الزراعية ومواقع الإستقرار البدائية. انظر: الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٨٥)، ص٤٣-٥٥.

(١٤٣) . الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١، ص١٢٠.

(١٤٤) . الهاشمي، رضا جواد، "تاريخ الري في العراق القديم"، مجلة سومر، مج٣٩، ج ١-٢، (١٩٨٣)، ص٦٢.

(١٤٥) . الدباغ، تقي، "الزراعة والتحضر"، ط١، الإصالة والتأثير، العراق في موكب الحضارة (بغداد، ١٩٨٨)، ج١، ص٤٩.

(١٤٦) . سليمان، عامر، "النظم المالية والإقتصادية"، ط١، الإصالة والتأثير"، العراق في موكب الحضارة (بغداد، ١٩٨٨)، ص٣٥٢.

(١٤٧) . سليمان، "جوانب من حضارة العراق القديم"، ص٢٣٦- ٢٣٧.

(١٤٨) . كريمر، السومريون، ص هـ.

(١٤٩) . محسن، احمد لفته، تاريخ الكتابة في بلاد الرافدين منذ ظهورها حتى اختراع الإبجدية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٨)، ص٤٣.

(١٥٠) . شاهين، العقل في المجتمع العراقي القديم، ص٦٧.

(١٥١) . هورس، جوزف، قيمة التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٦٤)، ص١٥.

(١٥٢) . برونفسكي، ارتقاء الإنسان، ص٦٢. جدير بالذكر يعتقد العلماء أن اليد كان لها ابلغ الإثر في تطور عقل الإنسان، فقد سمى بنجامين فرانكلين الإنسان عام ١٧٧٨م انه حيوان يصنع الأدوات، وقد وصفت اليد عندما تصنع أو تستعمل أداة ما فإنها تصبح وسيلة استكشاف. للمزيد انظر: المصدر نفسه، ص٦١-٦٢؛ عز الدين، الإنسان سلالات وبيئات، ص٤٣٩.

(١٥٣) . الهاشمي، "تاريخ الري في العراق القديم"، ص٦٢.

(١٥٤) . الإحمد، سامي سعيد، "الزراعة والري"، في حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج٢، ص١٧٠.

(١٥٥) . كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، (بيروت، ب.ت)، ص٢٠٢.

(١٥٦) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٥٥.

(١٥٧) . ياكوفيتس،و وكوزيك، الحضارات القديمة...، ص١٧١.
(١٥٨) . ألماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص١٣٦.
(١٥٩) . عودة، محمد، مبادئ علم الإجتماع، مركز الكتب الثقافية، (بيروت، ١٩٨٥)، ص١٥٨.
(١٦٠) . الدباغ، تقي، "من القرية إلى المدينة"، ضمن موسوعة المدينة والحياة المدنية، دار الحرية (بغداد، ١٩٨٨)، ج١، ص٥٠.
(١٦١) . فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص١٤٩.
(١٦٢) . كريمر، السومريون، ص هـ.
(١٦٣) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٥٥.
(١٦٤) . كريمر، السومريون، ص و.
(١٦٥) . إسماعيل، بهيجة خليل، "الكتابة"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١، ص٢٢١.
(١٦٦) . بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الإلهة، ص٩٣–٩٨. جدير بالذكر أن أول ظهور للمعابد كان في العصر الحجري المعدني، وبالتحديد في دور حلف شمال العراق ودور العبيد في جنوبه. ويمكننا أن نفترض أن الإنسان قبل العصر الحجري المعدني كان يتعبد في بيته إلى أن شعر القوم بضرورة وجود مكان عام يجتمعون فيه لأداء الطقوس الدينية. للمزيد انظر: سليمان، عامر، "جوانب من حضارة العراق القديم"، كتاب العراق في التاريخ، ص٢١٣. للمزيد حول الطقوس الدينية في العراق القديم. انظر: الراوي، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠١)، ص١٨٩–٢٠٩.
(١٦٧) . كريمر، السومريون، ص و.
(١٦٨) . بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الإلهة، ص١١٩.
(١٦٩) . المرزوقي، الفكر الشرقي القديم، ص١٩٠–١٩١.
(١٧٠) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٥٦.
(١٧١) . رو، جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، مراجعة فاضل عبد الواحد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (بغداد، ١٩٨٤)، ص١٠٧.
(١٧٢) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٥٨.
(١٧٣) . للاطلاع على الدور الذي أداه الإله انكي في تعليم الإنسان بناء المدن. انظر: الجنابي، شيماء صلاح، الإله انكي في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٥).
(١٧٤) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٥٨.
(١٧٥) . المصدر نفسه، ص٧١.
(١٧٦) . بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح، مراجعة عبد الغفار مكاوي، سلسلة منشورات عالم المعرفة، عدد١٧٣ (الكويت، ١٩٩٣)، ص١٢.
(١٧٧) . كل الإفعال الدينية القديمة لها تجسيد مادي، ويعتقد الباحثون أن أمر التجسيد المادي لم يترك لاختيار العابد، بل تحكمه قواعد محددة. فهي لا تمارس الإ في أماكن محددة وفي أوقات معينة، وبأدوات مادية محددة. وهذا يعني ضمنا أن التواصل بين الإله وأتباعه يخضع لظروف مادية من نوع محدد، وهو ما يوحي أيضا أن العلاقة بين الإلهة والبشر ليست بمعزل عن البيئة المادية، وهذا كان رافدا للبشر في عدم تمكنهم من إقامة حوار وعلاقة مع الإلهة الإ من خلال أشياء مادية. للمزيد انظر: سميث، روبرتسن، محاضرات في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، المجلس الإعلى للثقافة، مطابع الإهرام (القاهرة، ١٩٩٧)، ص٨٩–٩٠.
(١٧٨) . عليوي، نائل حنون، "شخصية الإلهة الإم ودور الإلهة انانا عشتار في النصوص السومرية والإكدية"، سومر، مج٣٤، ج١–٢، (١٩٧٨)، ص٢٢.
(١٧٩) . كسار، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، ص٢٣.
(١٨٠) . مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الإدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون (دمشق، ١٩٦٧)، ص٢٣.
(١٨١) . ارمستونغ، تاريخ الإسطورة، ص٧١.
(١٨٢) . علي، فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ٢٠٠٠)، ص٨٨.
(١٨٣) . عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالإتها، دار الفارابي (بيروت ٢٠٠٥)، ص١٣.
(١٨٤) . أبو زيد، احمد، تايلور، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٥٧)، ص١٩. للاطلاع على الإراء التي طرحها الإستاذ ادوارد تايلور في هذا الموضوع. انظر: Taylor, E.B., Primitive Culture, London 1903.
(١٨٥) . روبرتسن، محاضرات في ديانة الساميين، ص٩٥.
(١٨٦) . عجينة، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالإتها، ص١٣.
(١٨٧) . السواح، مغامرة العقل الأولى، ص١٩.

(١٨٨) . تعد النار من الإشياء التي لم يخترعها الإنسان، بل على الإرجح أن الطبيعة هي من صنعت هذه الإعجوبة، من خلال مجموعة من الإفتراضات منها احتكاك أوراق الإشجار أو غصونها، أو بصاعقة من البرق أو من البراكين. ولم يكن الإنسان في ذلك الإ الذكاء، الذي يقلد به الطبيعة ويزيدها كمالإ. وعندما أدرك الإنسان أعجوبة النار استخدمها بطرق عديدة، أولها انه قهر الظلام ذلك العدو المخيف، ومن ثم استعملها للتدفئة، وبذا بدا يستطيع أن ينتقل إلى أماكن ما له أن يبلغها بدون النار في بعض الإوقات. للمزيد انظر: ديورانت، قصة الحضارة، ص٢٢.

(١٨٩) . الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص٣٦.

(١٩٠) . تعد اللغة التي استخدمها السومريون في كتاباتهم هي (اللغة السومرية) أقدم لغة مدونة في بلاد الرافدين، إذ اتضحت هويتها منذ أن بدأت النصوص المسمارية الأولى بالظهور وأخذت تتطور حتى نقشت كلماتها بالعلامات المسمارية واستخدامها في تدوين اللغة. انظر: Falkenstien , A., Das Sumerische, (Leiden, 1959), P12. وامتازت اللغة السومرية بأنها لغة إلصاقية، تقوم على أساس كل فكرة أساسية اسمية كانت ام فعلية غير قابلة للصرف. للمزيد انظر: عليوي، نائل حنون، المعجم المسماري، معجم اللغات السومرية والإكدية، منشورات بيت الحكمة (بغداد، ٢٠٠١)، ص٩١.

(١٩١) . ياكوفيتس وكوزيك، الحضارات...، ص١٦٨.

(١٩٢) . فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص١٧٥.

(١٩٣) . كريمر، الأساطير السومرية، ص١١٩.

(١٩٤) . توينبي، ارنولد، بحث في التاريخ، موجز المجلدات الستة الأولى بقلم سمرفل، ترجمة وتعليق طه باقر، مطبعة وزارة المعارف (بغداد ١٩٥٥)، ص١٦١.

(١٩٥) . توينبي، بحث في التاريخ، ص٢٨٢-٢٨٣.

(١٩٦) . فالكنشتاين، دايان، كريمر، صموئيل نوح، اينانا ملكة الأرض والفردوس المفقود، أسطورة بلاد ما بين النهرين، ترجمة شاكر الحاج مخلف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد،٢٠٠٨)، ص٦-٧.

(١٩٧) . المصدر نفسه، ص٧.

الإستنتاجات

١- إن غالبية جذور الأفكار التي ابتنت عليها الحضارة الإنسانية كانت في العراق القديم، بسبب الكثير من العوامل المناخية والطبيعية ووجود الإنسان بالدرجة الإساس.

٢- تنوعت جذور الأفكار تبعا لتنوع طبيعة البيئة والمناخ وطبيعة الإنسان، وتبعا لتحولات العوامل الدينية والإقتصادية والإجتماعية وحتى النفسية والبيئية.

٣- يمكن أن تكون الأساطير الميثيولوجيا من أهم مفاتيح الوصول إلى مكامن الفكر في العراق القديم، بوصفها الإداة التي عبرت بوضوح عن مكامن النفس البشرية والعقلية التي كونتها.

٤- عكس الإنسان العراقي القديم الكثير من الأفكار والرؤى الفلسفية والفكرية الدينية منها أو السياسية ضمن نتاجه الحضاري سواء أكان من خلال الإسطورة أو الملحمة أو خلال النتاج المادي من أبنية ومشيدات وتخطيط مدن، إذ بينت ما يؤمن به من النواحي كافة.

المصادر باللغة العربية والمعربة

- **أبو زيد، احمد، تايلور، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٥٧).**
- **الإحمد، سامي سعيد، "الزراعة والري"، في حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج٢.**
- **ارمستونغ، كارين، تاريخ الإسطورة، ترجمة وجيه قانصو، ط١ الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت، ٢٠٠٨).**
- **إسماعيل، بهيجة خليل، "الكتابة"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١.**
- **ألماجدي، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية (عمان، ١٩٩٧).**
- **اي نيسبت، ريتشارد، جغرافية الفكر، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة (الكويت، ٢٠٠٥).**
- **بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح، مراجعة عبد الغفار مكاوي، سلسلة منشورات عالم المعرفة، عدد١٧٣ (الكويت، ١٩٩٣).**
- **باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، ج١ (بغداد، ١٩٧٣).**
- **باقر، طه، و فرنسيس، بشير، "الخليقة واصل الوجود"، سومر، مج٥، ج١، (١٩٤٩).**
- **برونفسكي، ارتقاء الإنسان، ترجمة موفق شخاخيرو، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، ١٩٨١).**
- **بوتيرو جان، بلاد الرافدين الكتابة العقل الإلهة، ترجمة الإب البير ابونا، مراجعة وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، (بغداد، ١٩٩٠).**
- **تشايلد، جوردن، ماذا حدث في التاريخ، ترجمة جورج حداد، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة، ب.ت).**

- توفيق، عماد طارق ، الصناعات الحجرية في العراق حتى نهاية العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٨٦).
- توينبي، ارنولد، بحث في التاريخ، موجز المجلدات الستة الأولى بقلم سمرفل، ترجمة وتعليق طه باقر، مطبعة وزارة المعارف (بغداد ١٩٥٥).
- توينبي، ارنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ج١، الإهلية للنشر والتوزيع (بيروت، ١٩٨١).
- الجادر، وليد، "التجمعات الزراعية الأولى"، في كتاب المدينة والحياة المدنية (بغداد، ١٩٨٨)، ج١.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، ط١، منشورات ذوي القربى (قم، ١٩٨٥).
- الجنابي، شيماء صلاح، الإله انكي في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٥).
- حسن، كريم عزيز، الزراعة في العراق القديم، منذ عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠-١٥٩٥ ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٩٦).
- دارون، تشارلز، أصل الإنواع، ترجمة إسماعيل وظهر، منشورات مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٨٤)، ص١.
- دانيال، كلين، موسوعة علم الإثار، ترجمة ليون يوسف، ط١، سلسة المأمون (بغداد، ١٩٩٠)، ج١.
- الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١.
- الدباغ، تقي، "الزراعة والتحضر"، ط١، الإصالة والتأثير، العراق في موكب الحضارة (بغداد، ١٩٨٨)، ج١.
- الدباغ، تقي، "إنسان الكهوف والإلات الحجرية"، في كتاب حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥).
- الدباغ، تقي، "من القرية إلى المدينة"، ضمن موسوعة المدينة والحياة المدنية، دار الحرية (بغداد، ١٩٨٨)، ج١.
- الدباغ، تقي، والجادر، وليد، عصور ما قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد، ١٩٨٣).
- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود و محمد بدران، مج١، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة، ٢٠٠١).
- الراوي، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠١).
- رشيد، فوزي، "خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية"، مجلة آفاق عربية، العدد ٩، (١٩٨١).
- رو، جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، مراجعة فاضل عبد الواحد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (بغداد، ١٩٨٤).
- الرويشدي، سعدي، "نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان"، سومر، مج٢٩، ج١-٢، (١٩٧٣).
- رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٩٧).
- ساكز، هاري، عظمة بابل، موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة، ترجمة عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، ١٩٧٩).
- سليمان، عامر، "النظم المالية والإقتصادية"، ط١، الإصالة والتأثير"، العراق في موكب الحضارة (بغداد، ١٩٨٨).
- سليمان، عامر، "جوانب من حضارة العراق القديم"، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٣).
- سميث، روبرتسن، محاضرات في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، المجلس الإعلى للثقافة، مطابع الإهرام (القاهرة، ١٩٩٧).
- السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، ط١١، دار علاء الدين للنشر (دمشق، ١٩٩٦).
- سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث، ترجمة تقي الدباغ ونادية سعدي الدبوني، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد، ١٩٨٨).
- شاهين، شاكر، العقل في المجتمع العراقي بين الإسطورة والتاريخ، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ٢٠١٠).
- الشوك، علي، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، دار اللام (لندن، ١٩٨٧).
- الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (١٩٨٥).

- عبد الحسين، حسين عليوي، الإله انليل في بلاد الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد، (٢٠٠٩).
- عبد القادر حسن علي، "إنسان الكهوف"، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٩٨٥).
- عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالإتها، دار الفارابي (بيروت ٢٠٠٥).
- عدنان مكي عبد الله ، "نشأة وتطور القرية في العراق ٦٠٠٠-٤٠٠٠ ق.م" مجلة سومر، مج٣٩، ج١-٢، (١٩٨٣).
- عز الدين، فاروق كامل، الإنسان سلالات وبيئات، (القاهرة، ب.ت).
- عقراوي، ثلماستيان، المرأة دورها ومكانتها في وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (بغداد، ١٩٧٨).
- علي محمد مهدي، "الملاحم والأساطير في العراق القديم"، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، (١٩٨٦).
- علي، فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ٢٠٠٠).
- عليوي، نائل حنون، "شخصية الإلهة الإم ودور الإلهة انانا عشتار في النصوص السومرية والإكدية"، سومر، مج٣٤، ج١-٢، (١٩٧٨).
- عليوي، نائل حنون، المعجم المسماري، معجم اللغات السومرية والإكدية، منشورات بيت الحكمة (بغداد، ٢٠٠١).
- عودة، محمد، مبادئ علم الإجتماع، مركز الكتب الثقافية، (بيروت، ١٩٨٥).
- فارس، شمس الدين، و الخطاط، عيسى سلمان، تاريخ الفن القديم، ط١، دار المعرفة (بغداد، ١٩٨٠).
- فالكنشتاين، دايان، كريمر، صموئيل نوح، اينانا ملكة الأرض والفردوس المفقود، أسطورة بلاد ما بين النهرين، ترجمة شاكر الحاج مخلف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد،٢٠٠٨).
- فخري احمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط٢، مكتبة الإنجلو مصرية للطباعة والنشر (القاهرة، ١٩٦٣).
- فرلسزس، والتر، أصول الحضارة الشرقية، ترجمة رمزي يسي، تعليق أنور عبد العليم، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع (القاهرة، ١٩٦٠).
- فوزي رشيد، "المعتقدات الدينية"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٥)، ج١.
- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، (بيروت، ب.ت).
- كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات (الكويت ١٩٧٣).
- كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، الناشر جمعية المترجمين العراقيين، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٧١).
- كسار، أكرم محمد عبد، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، سومر، ج١-٢، مج٣٩، (١٩٨٣).
- كسار، أكرم محمد عبد، "مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية في العراق القديم"، سومر، مج٤٥، ج١-٢، (١٩٨٧).
- كورهان، ارليت، "إنسان نياندرتال في كهف شانيدر"، ترجمة جميل حمود، سومر، مج٢٥، ج١-٢ (١٩٦٩).
- لابا، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، ترجمة البير ابونا ووليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد، ١٩٨٨).
- لوسيف، اليكسي، فلسفة الإسطورة، منذر بدر حلوم، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع (سوريا، ٢٠٠٠).
- لوكاس، كريستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٠).
- مؤنس، حسين، الحضارة، دراسة في أصول الحضارة وعوامل قيامها وتطورها، ط٢، سلسلة كتب عالم المعرفة (الكويت، ١٩٩٨).
- محسن، احمد لفته، تاريخ الكتابة في بلاد الرافدين منذ ظهورها حتى اختراع الإبجدية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٨).
- المرزوقي، جمال، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، ط١، دار الإفاق العربية (بغداد، ٢٠٠١).
- مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الإدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون (دمشق، ١٩٦٧).
- ميثاق موسى عيسى ، العلوم والمعارف في العراق القديم (الفلك- الطب- الكتابة- الإدب) أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٦).
- الهاشمي، رضا جواد، "تاريخ الري في العراق القديم"، مجلة سومر، مج٣٩، ج ١-٢، (١٩٨٣).

- هورس، جوزف، قيمة التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٦٤).
- الياد، مرسيا، مظاهر الإسطورة، ترجمة نهاد خياطة، ط١، درا كنعان للدراسات والنشر (دمشق، ١٩٩١).
- ياسين خليل، "المعرفة الإنسانية"، مجلة آفاق عربية، عدد ٣، (١٩٧٥).
- ياكوفيتس، يوري، و كوزيك، بورس، الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل، ترجمة ثائر زين الدين و فريد حاتم الشحف، مراجعة سهيل فرح، ط١، منشورات دار دمشق للنشر والتوزيع (دمشق، ٢٠١٠).
- يحيى، أسامة عدنان ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، أطروحة دكتوراه، كلية الإداب، جامعة بغداد (٢٠٠٧).

المصادر باللغة الإنكليزية

- Garrod,D. The Paleolithic of Southern Iraq Kurdistan, Excavation in Cave of Zarzi and Hzar Mard,B.A.S.P.R.Vol.6.
- Kirkbride, Diana,"Umm Dabbaghiyah", Iraq, Vol XXXIV, Spring, (1972)
- Kirkbride, Diana,"Umm Dabbaghiyah", Iraq, Vol XXXV, Spring,(1973)
- Taylor, E.B., Primitive Culture,(London 1903).
- Thorkild Jacobsen, The treasures of darkness, A History of Mesopotamian Religion, Yale University Press, (New haven and London, 1976).
- Wright, H, Climate and Prehistoric Man in the Eastern Mediterranean, in; Braidwood,(R j. 1960),

الإنحراف اللغوي مصطلحاته وأنواعه .

د. أحمد جعفر داود

كلية التربية /جامعة واسط

مقدمة

تعددت المصطلحات التي يراد بها التعبير عن الانحراف اللغوي أو كما يسمى المخالفة اللغوية ، إذ كثيراً ما تردد في الدراسات اللغوية مصطلحات تعبر عن ذلك منها ، اللحن والزلة والعثرة والغلط والخطأ ، وقد أخذ هذا البحث على عاتقه محاولة الوقوف على هذه المصطلحات ، وبيان الفروق فيما بينها ، ساعياً إلى الوصول إلى مصطلح موحد واحد يدل على الانحراف اللغوي (المخالفة اللغوية) بأنواعه ومستوياته كافة لاسيما أن دراسة الخطأ والصواب اللغوي أخذت حيزاً واسعاً من المباحث اللغوية الحديثة ، وذهب كثير من الباحثين إلى عدّها من المباحث الأساسية للدراسة المعيارية للغة ؛ لأنها تقوم على تصنيف الأداء اللغوي من حيث الخطأ والصواب ، وإحصاء ما وقع فيه من أخطاء ، وتصويب تلك الأخطاء حتى يصل ذاك الأداء إلى المستوى المقبول المنسجم مع قواعد اللغة [١] . وقد ظهر الانحراف اللغوي عن سنن العربية في وقت مبكر ، إذ ذكر أبو الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) أن رجلاً لحن بحضرة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقال : (ارشدوا أخاكم فقد ضل)[٢] وروى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): (أن أول لحن سُمع بالبادية (هذه عصاتي) بدلاً من عصاي ، وأول لحن سُمع بالعراق (حيِّ على الفلاح) بكسر الياء بدلاً من فتحها) [٣] . وسنبدأ بالحديث عن أقدم هذه المصطلحات في التراث اللغوي العربي وهو مصطلح اللحن .

١-**اللحن** : لم نجد في كتب التصحيح اللغوي القديمة التي وصلت إلينا ، ولاسيما كتب لحن العامة تعريفاً للحن بوصفه مصطلحاً قديماً ، وقد أشار إلى ذلك طائفة من المحدثين[٤] . ولكننا نستطيع أن نستقصي للحن في اللغة ستة معانٍ اعتماداً على ما أوردته المعجمات وهي:

أ- **الخطأ في الإعراب** : ومن الشواهد الشعرية على هذا المعنى قول مالك بن أسماء الفزاري:

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نـــاً وخيرُ الحديث ما كان لحنا

إذ قال صاحب اللسان بعد إيراد هذا الشاهد (معنى قوله وتلحن أحياناً أنها تخطأ في الإعراب وذلك أنه يستملح في الجواري) [٥] .

ب- **اللغة** : إذ أوردت بعض المصادر اللغوية أن اللحن يأتي بهذا المعنى ، فقد أورد ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) نصاً نُسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وهو قوله : (تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن) [٦] .

ت- **الغناء وترجيع الصوت والتطريب** : ومن شواهده قول يزيد بن النعمان : [٧]

لقد تركت فؤادك مستجنّاً مطوقة على فنن تغنّى

يميل بها وتركبه بلحن إذا ما عنّ للمحزون أنّا

ث- **الفطنة** : وبها فُسر لفظ (ألحن) في قول الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : (إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من صاحبه فأقضي له على قدر ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار) [٨] .

ج- **التعريض والإيماء** : ومن شواهد هذا المعنى قول القتّال الكلابيّ : [٩]

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

ح- **المعنى والفحوى** : وذهب إلى هذا المعنى الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ) بعد إيراده قوله تعالى : (ولتعرفنّهم في لحن القول)[١٠] إذ قال : (في فحواه ومعناه) [١١] . وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة ، إذ ذهب ابن بشار الإنباريّ (ت ٣٢٧هـ) إلى عدّ اللحن من الأضداد اعتماداً على تفسير اللحن بمعنى الصواب في الآية الكريمة ، وهو معنى يخالف المعنى المشهور للحن [١٢] .

فيما أنكر رمضان عبد التواب أن يكون (اللحن) في الآية بمعنى الصواب ؛ لأنها نزلت في المنافقين ، ومحال وصف قولهم بالصواب [١٣] .

أمّا علماء القراءة والتجويد فقسموا اللحن على قسمين : (جليّ وخفيّ ، فالجليّ خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى والعرف كتغيير كلّ واحد من المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم ، أو تغيير المعنى عمّا قسم له من حركة أو سكون . والخفيّ خطأ يعرض للفظ ولا يخلّ بالمعنى بل بالعرف كتكرير الراءات وتطنين النونات) [١٤] .

ومن المتأخرين عرف التهانوي (ت ١١٥٨هـ) اللحن فقال : (وهو الخطأ والميل عن الصواب ، والجليّ منه الخطأ يغير اللفظ ويخلّ بالمعنى والإعراب كرفع المجرور أو نصبه ، والخفيّ منه خطأ يعرض للفظ ولا يخلّ بالمعنى ولا بالإعراب ، كترك الإخفاء والإقلاب والغنة)[١٥] . فيما ذهب كثير من المحدثين إلى أن اللحن هو الخطأ في اللغة أصواتها ، أو نحوها ، أو صرفها ، أو معاني مفرداتها [١٦] .

وعدّه آخرون تغيراً أو تطوراً يصيب اللغة ؛ لأن قضية اللحن عندهم تعود في جوهرها إلى الإقرار بشذوذ الموقف المعياري من الظواهر الطبيعية المواكبة للغة [١٧] . ولعل أقدم الكتب المؤلفة والتي أشارت إلى مصطلح اللحن هو كتاب الكسائيّ (ت ١٨٩هـ) (ما تلحن فيه العامة) وهو رسالة تتضمن مجموعة من الكلمات التي ينطقها العامة على غير وجهها الصحيح [١٨] .

٢- **الزلـــــــة** : وقد تسمى أحياناً العثرة أو الهفوة ، والزلة في اللغة (الصَّنيعة ... والخطيئة والسقطة) [١٩] ، وعرفها إبراهيم أنيس اصطلاحاً بأنها (انحراف العربي عن طريق أداء سليقته اللغوية) [٢٠] ، وقديماً أشار أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥هـ) إليها فقال : (والزلق اللسان الذي لا يزال يسقط السقطة ولا يريدها ولكن تجري على لسانه) [٢١] . وقد فرّق بعض المشتغلين في ميدان التصحيح اللغوي بين زلات اللسان وزلات الأقلام وقد ظهر ذلك في تسميتهم لمؤلفاتهم ، إذ سمى إبراهيم المنذر كتابه (كتاب المنذر في عثرات الأقلام ومفردات اللغة العربية) ، وقد أشار عبد القادر المغربيّ إلى هذا التفريق في كتابه (عثرات اللسان في اللغة) إذ قال : (إنه يريد الأغلاط اللغوية التي يظهر خطؤها حين نطق الأفواه بها وهي لو كتبتها الأقلام لما كان بين خطئها وصوابها فرق نحو كلمة (أزمة) بمعنى الضيق والشدة ، يقال أزمة مالية مثلاً ، فإن الأقلام لا تغلط بكلمة (أزمة) إذا كتبتها ، حتى إذا تناولتها الأفواه بالنطق غلطت بها فبدل أن تنطقها (أزمة) بالتخفيف كما هي في اللغة الفصحى تعثر وتقول (أزمّة) بالتشديد ، فالفم هو الذي يغلط أمّا القلم فلا ناقة له في هذا الغلط ولا جمل) [٢٢] .

ولكن الغالب اليوم في التعبير اللغوي إطلاق لفظ الزلات اللغوية دون التقييد بكونها زلات لسان أو قلم كما ذهب بعض المشتغلين في التصحيح اللغوي ، ويمكن أن نذهب إلى أن الزلات اللغوية هي نوع من الأخطاء التي يقع فيها مستعمل اللغة أثناء أداءه اللغوي ، ومن أمثلتها الكلمات التي تحلّ محل كلمات أُخرى أو نقل بعض مقاطع الكلام أو حذفها مثل الصوت المفرد والمورفيم والكلمة وشبه الجملة في بعض الأحيان ، وقد تزداد قابلية الوقوع في هذا النوع من الأخطاء (الزلات) في المواقف الطارئة أو الرهيبة أو ساعة الغضب والانفعال[٢٣] .

٣- **الغلـــــط** : جاء في القاموس المحيط أن الغلط (أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه) [٢٤] ، وجاء فيه أيضاً (والمغلاط بالكسر الكثير الغلط) [٢٥] ، ونقل صاحب اللسان عن الليث (ت ١٧٥هـ) أن ذلك يكون من غير تعمد [٢٦] . وقد استعمل بعض العلماء ممّن صنف في التصحيح اللغوي هذا المصطلح في عنوانات مؤلفاتهم إذ سمى علي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥هـ) كتابه (التنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات) ، فيما سمى ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) كتابه (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) ، ومن المحدثين الذين استعملوا هذا المصطلح في مؤلفاتهم كمال إبراهيم في كتابه (أغلاط الكتاب) والأب انستاس الكرمليّ في كتابه (أغلاط اللغويين الأقدمين) ، وإبراهيم المنذر في كتابه (كتاب المنذر في نقد أغلاط الكتّاب) ، ومالت الدراسات اللغوية الحديثة في أحيان كثيرة إلى أطلاق مصطلح (الغلط) عند الحديث عن مصطلحي (الزلة) أو (الخطأ وأنواعه) ، وأمثلة هذا التداخل في المصطلح بين الغلط وغيره من المصطلحات كثيرة وجليّة في الدراسات اللغوية الحديثة [٢٧] .

٤- **الخطـــــأ** : يستعمل الصواب في مقابلة الخطأ، أورد صاحب التاج : (الخطأ) محركة (والخطاءُ) بالمد ..... ضد الصواب) [٢٨] ، وأورد أيضاً (يقال لمن أراد شيئاً وفعل غيره : أخطأ) [٢٩] ، والخطأ والصواب يستعملان في الفروع والمجتهدات [٣٠] ، فمن أراد شيئاً واتفق منه غيره يقال فيه أخطأ ، وإن وقع منه كما أراده يقال : أصاب [٣١] . وقد عرف بعض الدارسين الغربيين المحدثين الخطأ في ضوء اللغويات التطبيقية بتعريفات منها أنه استعمال متعلمي اللغة المادة اللغوية بصورة مخالفة لقوانينها ؛ لأن معرفتهم بهذه القوانين غير كاملة[٣٢].

هذه أهم المصطلحات التي تشير إلى الانحراف اللغوي التي وردت في التراث اللغوي العربي واستعملها المحدثون إلى وقتنا الحاضر ، هذا فضلاً عن انحرافات أُخرى عن اللغة لطائفة من مستعملي اللغة وهم الشعراء الذين قد يخرقون نظام اللغة ، ولكن اللغويين يتلقون تلك الخروقات بوصفها أمراً مسوغاً للشاعر للتعبير عمّا يصعب التعبير عنه وفق نظام اللغة القياسي ، فيتلمسون للشعراء عذراً محتجين بالضرورة أحياناً وغير متلمسين في أحيان أُخرى ، وأخبار ذلك في تراثنا كثير منها ما أورده أبو البركات كمال الدين الإنباريّ (ت ٥٧٧هـ) في إنكار عبد الله بن إسحاق الحضرميّ (ت ١١٧هـ) على الفرزدق رفع (مجلف) في قوله :

وعضّ زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتاً أو مجلفُ

إذ يرى الحضرميّ أن حقّ الكلمة النصب عطفاً على (مسحتاً) فلا يرضي ذلك الشاعر فيهجوه قائلاً :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فلا يلتفت الحضرميّ للهجاء ، ولكنه ينطلق من قواعد اللغة فيرى أن الشاعر أخطأ وكان ينبغي أن يقول : مولى موالٍ لكون (موالٍ) مضافاً إليه [٣٣].

وتبقى المصطلحات الأربعة التي أوردناها هي الغالبة في الإشارة إلى الانحرافات اللغوية قديماً ، وعند إمعان النظر نستطيع أن نحصر الاستعمال للإشارة إلى المخالفات اللغوية عند المحدثين بمصطلحي الخطأ والغلط ، إذ استعملهما المحدثون بدلالة واحدة مسايرين بذلك الأقدمين ، يقول الأستاذ الدكتور مصطفى جواد في مقدمة كتابه (قل ولا تقل) : (إنما نريد أن ننبه على الغلط ونذكر الصواب ، ونشير إلى الفصيح ، ونذكر الفصيح ، ونعيب على المصرّين على الخطأ خطأهم) [٣٤].

ولما كان البحث يسعى للوصول إلى مصطلح واحد واضح ودقيق للتعبير عن الانحراف اللغوي نجد من اللازم الوقوف على الفرق بين هذين المصطلحين ، وعند الرجوع إلى كتب الفروق اللغوية نجد أن أبا هلال العسكريّ فرّق بين اللفظين فقال : (الفرق بين الخطأ والغلط أن الغلط هو وضع الشيء في غير موضعه ، ويجوز أن يكون صواباً في نفسه ، والخطأ لا يكون صواباً على وجه .... لأن الخطأ ما كان الصواب خلافه وليس الغلط ما يكون الصواب خلافه بل هو وضع الشيء في غير موضعه)[٣٥] . والواضح من كلام العسكريّ أن استعمال الخطأ أكثر دلالة في التعبير عن الانحراف اللغوي ؛ لأن (مستعمل اللغة عندما يلحن يخرج عن سنن اللغة وقوانينها وأنظمتها فيوجب ذلك التنبيه على خطئه أمّا إذا كان كلامه موافقاً لذلك كله وإن خالف قصده فلا يستوجب التنبيه على خطئه) [٣٦] .

والباحث يميل إلى هذا ويطمئن إليه ، ويدعو إلى استعمال مصطلح (الخطأ اللغوي) بوصفه المصطلح الوحيد الذي يدل دلالة واضحة على الانحراف اللغوي بكل أنواعه ومستوياته ، هذا فضلاً عن أن هذا المصطلح صار الأكثر دوراناً وانتشاراً في الدراسات اللغوية التطبيقية الغربية فصارت دراسات المخالفات اللغوية تسمى بدراسات تحليل الأخطاء أو بدراسات الأخطاء اللغوية .

الهوامش:-

١. يُنظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٧ .
٢. يُنظر : الخصائص : ٢ / ١٠ .
٣. البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٢ .
٤. يُنظر : الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي : ٣٠ – ٣١ .
٥. لسان العرب : ١٣ / ٣٨١ .
٦. يُنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤ / ٢٤١ .
٧. البيت ليزيد بن النعمان ، يُنظر لسان العرب : ١٣ / ٣٨١ .
٨. يُنظر : سنن الترمذي – الأحكام - : ٦٢٤/٣ .
٩. ديوان القتّال الكلابيّ : ٣٢ ، ويُنظر : الصحاح : ٦ / ٢١٩٤.
١٠. سورة محمد : ٣٠ .
١١. القاموس المحيط : ١١٧٧ .
١٢. يُنظر : الأضداد في اللغة : ١٤١ .
١٣. يُنظر : لحن العامة والتطور اللغوي : ٢٩ .
١٤. الكليات : ٧٩٧ .
١٥. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٢ / ١٤٠٣ .
١٦. يُنظر : منهج البحث اللغوي : ٢٧٨ .
١٧. يُنظر : اللسانيات وأسسها المعرفية : ٤١ -٤٢ .
١٨. يُنظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : ١٠٣ .
١٩. القاموس المحيط : ٩٥٨ .
٢٠. محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة : ١٤ .
٢١. الفروق في اللغة : ٤٦ .
٢٢. عثرات اللسان في اللغة : ٤ .
٢٣. يُنظر : محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة : ١٤ .
٢٤. القاموس المحيط : ٦٢٩ .
٢٥. المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
٢٦. يُنظر : لسان العرب : ٧ / ٣٦٣ .
٢٧. يُنظر : الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي : ٣٧ – ٤١ .
٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس : ١٩ / ٥١٧ .
٢٩. المصدر نفسه : ١ / ٢١١ .
٣٠. يُنظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ١ / ٧٤٧ – ٧٤٨ .
٣١. يُنظر : الكليات : ٤٢٤ .
٣٢. يُنظر : الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي ٤٣.

٣٣. يُنظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ٢٧ – ٢٨ .
٣٤. قل ولا تقل : ٢٣ .
٣٥. الفروق في اللغة : ٤٥ .
٣٦. الجهود اللغوية عند الشيخ محمد جعفر الكرباسيَ : ٣٨ .

المصادر والمراجع :-

١. القرآن الكريم .
٢. الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي ، د.محمد أبو الرب ، دار وائل ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
٣. الأضداد في اللغة ، ابن بشار الإنباريّ (ت ٣٢٧هـ) ، ضبط وتصحيح : الشيخ محمد الرافعي ، والشيخ أحمد الشنقيطيّ ، المطبعة الحسينية ، مصر ، (د . ت) .
٤. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجيّ ، القاهرة ، ط٥ ، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥ م .
٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الحسني الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م .
٦. تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) ، إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت ٤٠٠هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلوم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م .
٧. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ م .
٨. ديوان القتّال الكلابيّ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
٩. سنن الترمذيّ ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧ م.
١٠. عثرات اللسان في اللغة ، عبد القادر المغربي ، مطبوعات المجمع العلمي ، دمشق ، ١٩٧٠ م .
١١. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د . ت) .
١٢. الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م .
١٣. القاموس المحيط : محمد يعقوب الفيروز أبادي (ت ٧١٨هـ -) ، تحقيق : د.يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .
١٤. الكليات ، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٩٢ م .
١٥. لحن العامة والتطوير اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٧م .
١٦. لسان العرب ، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
١٧. اللسانيات وأسسها المعرفية ، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ م .
١٨. محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة ، د. إبراهيم أنيس ، (د.ط) ، ١٩٦٠ م.
١٩. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ م .
٢٠. منهج البحث اللغوي ، محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
٢١. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانويّ ، تحقيق : رفيق العجم وآخرين ، (د.ت) .
٢٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات كمال الدين الإنباريّ (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : إبراهيم السامرائيّ ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ م .
٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : محمود الطناجيّ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

الرسائل الجامعية :-
*الجهود اللغوية عند الشيخ محمد جعفر الكرباسيّ ، أحمد جعفر داود الزبيديّ ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م .